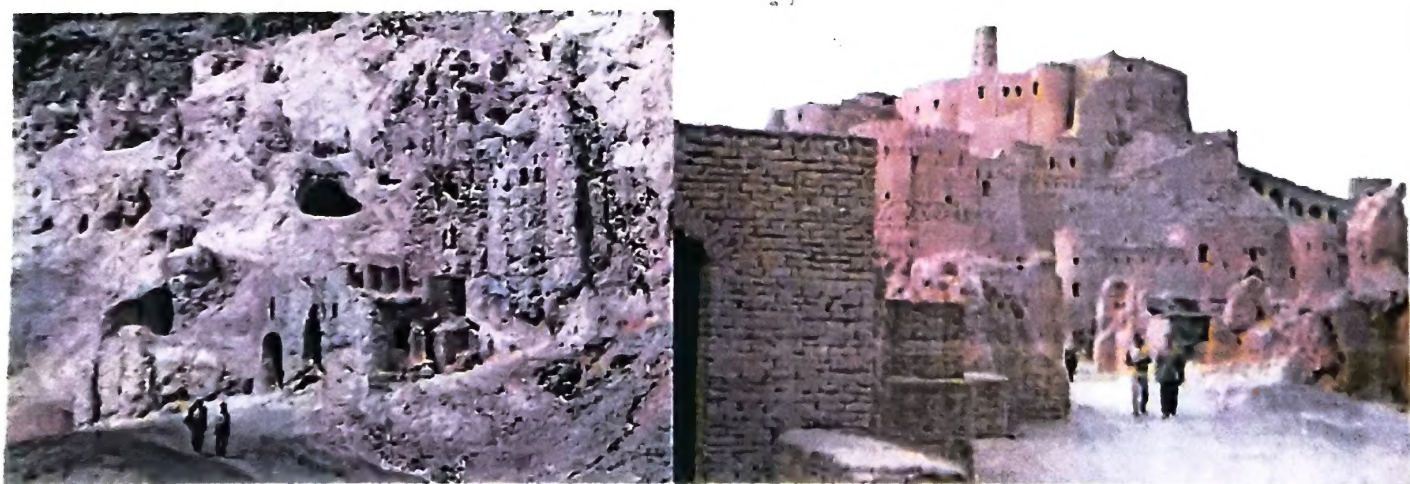


تاريخ ايران القديم



تاليف

الاستاذ

الدكتور

الاستاذ المساعد

طه باقر

فوزي رشيد

رضا جواد هاشم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

رئاسة جامعة بغداد

تاريخ ايران القديم

تأليف

الاستاذ المساعد
رضا جواد هاشم

الدكتور
فوزي رشيد

الاستاذ
طه باقر

طبع على نفقة جامعة بغداد

مطبعة جامعة بغداد - ١٩٧٩

فهرست المحتويات

الباب الاول :

مقدمة في تاريخ ايران القديم :	الفصل الاول
اهمية دراسة التاريخ القديم للشرق الادنى وايران :	المبحث الاول
جغرافية ايران واثرها في سير تاريخها :	المبحث الثاني
عرض موجز لمستوطنات الانسان في عصور ما قبل التاريخ :	الفصل الثاني
مقدمة في مصادرها عن تاريخ ايران :	المبحث الاول
عصور ما قبل التاريخ :	المبحث الثاني

الاقوام الارية في ايران

الباب الثاني :

العصور التاريخية :	الفصل الثالث
تاريخ بلاد عيلام :	المبحث الاول
اللؤلؤ والكوتيون :	المبحث الثاني
اصل اليرانيين وهجرتهم الى بلاد ايران :	الفصل الاول
اصل اليرين وهجراتهم :	المبحث الاول
الدولة الميديّة :	المبحث الثاني
الدولة الفارسية الاخمينية :	الفصل الثاني
قيام الدولة: عهد كورش وفتحاته :	المبحث الاول
اتساع الدولة الاخمينية - عهد قمبيز ودارا الاول :	المبحث الثاني
الحروب الفارسية اليونانية :	المبحث الثالث
نهاية الدولة الاخمينية :	المبحث الرابع
ظهور الاسكندر ونهاية الدولة الاخمينية :	الفصل الثالث
تدهور الدولة الاخمينية وسقوطها :	المبحث الاول
الاسكندر وفتحاته في الشرق :	المبحث الثاني
ايران في العهد السلوقي :	الفصل الرابع
تقسيم امبراطورية الاسكندر وقيام الدولة السلوقية :	المبحث الاول
ايجاز الخصائص الحضارية :	المبحث الثاني

الباب الثالث :

الفصل الاول	قيام الدولة الفرثية
المبحث الاول	اصل الفرثيين وتأسيس دولتهم
المبحث الثاني	النزاع ما بين الفرثيين والرومان
الفصل الثاني	موجز عن النظم الاجتماعية والادارية في الامبراطورية
المبحث الاول	الادارة
المبحث الثاني	المجتمع ومعتقداته الدينية

الباب الرابع :

الفصل الاول	ايران في عهد الساسانيين
المبحث الاول	قيام الدولة الساسانية
المبحث الثاني	ساسان جد الأسرة الساسانية
المبحث الثالث	عهد أردشير المؤسس الحقيقي للدولة الساسانية
المبحث الرابع	عهد شابور الاول واعماله العسكرية
الفصل الثاني	تدمير والحضر وعلاقتها بالساسانيين
المبحث الاول	فترة الضعف الاولى
المبحث الثاني	ظهور المانوية وأثرها في المجتمع الايراني
المبحث الثالث	عبد الملك هرمزد الاول وبهرام الاول والثاني والثالث ونرس
المبحث الاول	عهد الازدهار الاول
المبحث الثاني	عهد شابور الثاني
المبحث الثالث	الحروب ما بين الفرس والروم اسبابها ونتائجها

الباب الخامس

الفصل الاول	فترة الضعف الثانية
المبحث الاول	عهود الملوك اردشير الثاني وشابور الثالث وبهرام الرابع
المبحث الثاني	يزدجر الاول والمسيحية
المبحث الثالث	بهرام الخامس والمناذرة
الفصل الثاني	
المبحث الاول	يزدجر والمسيحية

المبحث الاول

(أهمية دراسة التاريخ القديم للشرق الادنى وايران)

(لتاريخ الشرق الادنى القديم ومنه تاريخ ايران مكانة بارزة في الدراسات التاريخية والانسانية في مناهج الجامعات والمعاهد العلمية في جميع انحاء العالم ، وذلك لأن المؤرخين والباحثين في تاريخ الحضارات مجمعون على ان في اقطار الشرق الادنى ، وفي مقدمتها وادي الرافدين ووادي النيل وغيرهما من الاقطار العربية وبلاد ايران التي سنوجز تاريخها ، نشأت الحضارات البشرية الاولى ووضعت فيها اسس الحضارة وال عمران من فنون وعلوم ومعارف وتم فيها انتقال الانسان من عصور همجية ما قبل التاريخ التي استغرقت من حياته زهاء ٩٩ بالمائة الى طور التمدن والتحضّر منذ اواخر الالف الرابع ق . م ومطلع الالف الثالث ق . م واشتقت من تلك الحضارات الاولى الحضارات البشرية اللاحقة الكثير من مقومات ثقافتهم وعلومها ومعارفهم . ويعود الفضل في الكشف عن هذه الحقيقة المهمة في تاريخ تطور الانسان الى المكتشفات المدهشة التي حققها علم الآثار (الاركيولوجيا) عن طريق التنقيبات والتحريات الأثرية في مواطن الحضارات في ربيع الشرق الادنى) وما صاحب ذلك من دراسات وبحوث لا تزال تشغل مكانا بارزا في حقل الدراسات الانسانية . وخلاصة القول يوقفنا درس التاريخ القديم ، وفي مقدمته دراسة تاريخ الشرق الادنى ، على اسرار تطور البشرية وكيف استطاعت اقوام الشرق الادنى ان تنقل البشرية من عهد الفطرة والتوحش الى المدنية والحضارة ، وكيف استمر تطور الانسان الحضاري عن طريق اقامة الحضارات اللاحقة أسس ثقافتها على منجزات الحضارات السابقة . وبعبارة أخرى تعيننا دراسة تاريخ الشرق الادنى القديم بوجه خاص والتاريخ القديم بوجه عام على فهم حاضر الانسان ، وكيف تطور هذا الحاضر المتميز بتقدم العلوم والمعارف والصناعات والمنجزات الصناعية المهمة . وان فهم اسس هذا الحاضر ومساوئ ، كما تظهر هذه الدراسات بجلاء ان ما يسميه الغربيون الآن بالحضارة الأوروبية أو الحضارة الغربية نسميه مضللة خاطئة من الناحية التاريخية ، لان الواقع التاريخي ان حضارات الشرق الادنى القائمة ثم الحضارة العربية الاسلامية قد اسهمت اسهاماً كبيراً في وضع اسسها وبنائها بحيث يجب علينا ان نطلق عليها الحضارة الانسانية المعاصرة .

كما ان دراسة تاريخ اولى الحضارات البشرية التي قامت في الشرق الادنى القديم اشرف علومها ومعارفها وقوانينها وآدابها وقوانينها ونظمها السياسية والاجتماعية وضعت في متناول ايدي الباحثين في تطور الحضارات وعلماء الاجتماع مادة فريدة وثنية ودراستهم المقارنة لم يستطعوا ان يكتشفوا عن استمرار التطور الحضاري وكيفية نمو الحضارات وظهور الدول وعلى تدهورها وانحلالها وسقوطها فنشأت مدارس مهمة في التاريخ كدراسة التاريخ فأتخذت الدراسات التاريخية مكانها اللائق بين العلوم الاجتماعية المستعانة بعلماء الاجتماع والباحثين الآخرين ان يستطاعوا القواعد والقوانين العامة التي المجتمعات وتعمل على تطويرها.

وامران كانت وما تزال قطرا سهما من اقطار الشرق الادنى وقامت بادوار
في تاريخ هذه المنطقة الواسعة منذ اقدم عصور التاريخ وسنوضح لنا مما سبقه من
تاريخها كيف نشأت فيها مستوطنات مهمة في عصور ما قبل التاريخ وكانت مضاهية
لما عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين وكيف تطورت تلك البدايات الحضارية الى
الحضارة الناصعة في مطلع التاريخ الحديث - وظهرت في الاجزاء الجنوبية ممر

١٠٠ في بلاد عيلام (منطقة عنستان او عبادان او الاحواز الان) حضارة شبيهة بحضارة وادي

وكانت علي

.....

عبد الواسي المرفدي (أبو) - محمداً فيها مثل البدوين والقبائل ، كما دخلت في علاقات

في حيرة وكثيرا ما يفتقدون الى الامانة التي كان الدول الكبير التي قامت في وادي الرافدين

.....

[illegible]

فصل في بيان كيفية العمل في هذه المسألة

تحت إشراف الأئمة الكبار من علماء الدين في الأندلس الأولى ق. م. أولادها وأقدمها دوله

الاحصيين

١٠٨٠ هـ - ١٢٦٠ هـ : تاريخ الفقه في مصر

المستشارين في الشؤون القانونية في دولتهم العرب المستقلات

مكتبة جامعة القاهرة - قسم المخطوطات والكتب النادرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(Handwritten signature)

... من بعد سقوطه ...

كورش (٥٣٩ ق . م) فتداخل تاريخ العراق القديم بتاريخ ايران في العصر الاخميني وكانت مدينة بابل العاصمة الثانية للدول الفارسية الاخمينية . وقبل قيام الدولة الاخمينية تحالف البابليون في عهد الملك البابلي (نبوبولاصر) [٦٢٦ - ٦٠٥ ق . م] مع الملك الميدي في اسقاط الدولة الاشورية وسقوط عاصمتها نينوى (٦١٢ ق . م) وقامت الاقواء الايرانية بدورهم في نشر الثقافة والمدنية الى الاجزاء الشرقية المتأخرة لايران بين الاقوام الغير المتحضرة فيما ساء النهر (نهر سيحون وجيحون) ، فكان ذلك عاملا في تضيق رقعة البداوة والتوحش في تلك الارحاء البعيدة من العالم ، واتساع رقعة التمدن والحضارة . ومد ملوك السلالة الاخمينية سيطرتهم على بلاد الاناضول (تركية) وضلت تحت سيطرتهم حقبة طويلة من الزمن ودخلت تحت تلك السيطرة المستوطانات اليونانية في الاجزاء الغربية من الاناضول وهي الاجزاء التي عرفت في تاريخ اليونان باسم بلاد « آيونية » وعرف اليونان فيها بأسم الآيونيين . والمعروف في تاريخ الحضارة اليونانية ان اول ظهور للعلوم والمعارف في تلك الحضارة كان في بلاد آيونية منذ القرن السادس ق . م فنتج عن اتصال الفرس الاخمينيين بهذه الاجزاء من بلاد اليونان تلاقح ثقافي بين الحضارة اليونانية وبين الثقافات الشرقية على ايدى الفرس ، كما نتج عن تلك السيطرة السياسية الحروب المشهورة في تاريخ اليونان بأسم الحروب الفارسية اليونانية (٤٩٢ - ٤٨٠ ق . م) ، وعلى الرغم من فشل الملوك الاخمينيين (درار الأول وخنویرش) في اخضاع بلاد اليونان الاصلية الا ان تلك الاتصالات الحربية ، شأنها في ذلك شأن الاتصالات الأخرى بين الشعوب المختلفة ، نتج عنها تأثيرات ثقافية متبادلة ما بين الشرق والغرب ، وكانت في مقدمة العوامل التي حفزت الاسكندر الكبير (٣٥٦ - ٣٢٣ ق . م) من بعد نحو قرن ونصف قرن على غزو الشرق وتحطيم الامبراطورية الفارسية في عهد آخر ملوك من الفرس الاخمينيين وهو دارا الثالث (٣٣١ ق . م) واثمرت اتصالات الاسكندر باقطار الشرق الادنى تفاعلا حضاريا مهما تمخض عن ظهور حضارة جديدة خليطة من التقاء حضارات الشرق الادنى بالحضارة اليونانية وقد اطلق على هذه الحضارة

المزيج اسم الحضارة الهلنستية (**Hellenistic**) اي الشبيهة بالهلينية وهي الحضارة الاغريقية الصرفة (**Hellenic**) وكان لها دور بارز في تطور الحضارة البشرية ، ودخلت بلاد ايران تحت حكم الملوك السلوقيين ، وهم خلفاء الاسكندر في حكم بلاد الشام والعراق وايران . واستمر التلاقح الثقافي ما بين الاقطار الشرقية ومنها بلاد ايران وبين الغرب وبعد حكم يناهز القرنين من الزمان استقلت ايران عن حكم السلوقيين ، وتأسست فيها سلالة حاكمة من الملوك الفرثيين او الارشاقيين امتد حكمهم الى بلاد وادي الرافدين حيث انتزعوا

حكمهما من السلوقيين . وقد نشأت بينهم وبين السلوقيين في بلاد الشام منازعات وحروب كثيرة استمرت إلى زمن الرومان وكان العراق وبلاد الشام مسرحاً لتلك الحروب . وقد ظهر في حدود هذا العصر في بعض الاقطار العربية عدة دويلات عربية مثل دولة الحضر وتدمر جنداء والدويلات النبطية في شمال الحجاز ، وكان بعضها تحت نفوذ الفريين وقد استمرت في الازدهار في العصر الفارسي الساساني الذي أعقب الدور الفارسي الفري : حيث قامت في ايران سلالة فارسية أخرى هي السلالة الساسانية التي امتد حكمها من العام ٢٢٦ م إلى حدود ٦٥٠ م . وسيأتي الكلام عليها في مباحث خاصة من هذا الكتاب . وقد نهضت بلاد ايران في عهدها بدور كبير في تاريخ العالم القديم فقد أسس ملوكها امبراطورية واسعة شملت العراق والجزء الشرقي من ايران ، وكان تاريخ العراق جزءاً من تاريخ هذه الدولة . من ناحية التأثيرات الدولية نشأت ما بين الفرس الساسانيين وبين الامبراطورية رومانية حروب كثيرة كانت امتداداً للتراث ما بين الفرس الفريين والرومان واستمرت إلى عهد الروم البيزنطيين وقامى العالم القديم ويلات كثيرة منها وعانت الشعوب منها بحيث استمر العالم دخيل في حقبة مظلمة من الاضطهاد والركود الحضاري ، فأخذ العالم والبشرية يظهر بين الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية التي حطمت تينك الامبراطوريتين واعادت التطور الحضاري البشري الى زخم وروح جديدين ، واسهمت بلاد ايران اسهاماً بارزاً في تلك الحضارة الجديدة ، التي ورثت من الساسانيين اموراً كثيرة ومهمة في اصول نظام الحكم والادارة فنون الفنون وغيرها من الواجه الحضارية المختلفة .

المبحث الثاني : جغرافية ايران واثرها في سير تاريخها

التسمية : ايران وفارس

(يسمى الفرس بلادهم « ايران » وهي تسمية مشتقة من كلمة « آريا » (Airiya))
 باردة في الافستا (الابستاق) التي تعني بلاد الآريين ، وتعني ايضاً في اللغة الفارسية القديمة
 سامي (او الميجيك) وكذلك يقال في اصل مصطلح آريين ويرجح ان يكون استعمالها
 قد بدأ منذ مجي الاقوام الآرية الى بلاد ايران واستيطانهم فيها منذ الألف الأول ق م .)
 قد ورد استعمال مصطلح بلاد ايران (Ariana) في كتابات الجغرافي
 (القسطنطين الثالث) (Eratosthenes) (القسطنطين الثالث)
 (م .) ولكن المراجع يبين ان ظهور هذا المصطلح كان قبل عهده ، ويوجه التحديد في العهد
 ساساني الاخميني (منذ القرن السادس ق م) حيث جاء ذكرها في التراثيل والصلوات
 دينية في الافستا ، كما اطلقت كلمة بلاد الآريين على البلاد المعروفة الآن بأسم افغانستان

أما كلمة فارسس وبلاد فارس فانها مشتقة من اسم احدى القبائل الابرانية الكبيرة التي استوطنت بلاد ايران منذ الالف الاول ق . م كما ذكرنا . وورد ذكر اسم هذه القبيلة بهيئة «برسا» (Parsa) و قبيلة ايرانية اخرى باسم ماداي او مادي (Madai) في اخبار حملات الملك الآشوري شيلمنصر الثالث في عام حكمه السادس عشر والرابع والعشرين اي في عام ٨٤٣ ق م و ٨٣٥ ق م . ولكن اطلاق مصطلح بلاد فارس يكاد ان يكون اسما له مقتصر على المصادر التاريخية العربية وعلى المصادر الغربية (Persia) واصلها من الكلمة الابرانية القديمة (برسا) (Parsh) برسيس (Persis) (ولاية فارس) ، والتي كانت مهد الاسرة الفارسية الاخمينية وتستعمل الايرانيون الآن مصطلح فارسي لاطلاقه على لغتهم .

صفة بلاد ايران الجغرافية

تقع هضبة ايران الشبيهة بالمثلث ما بين وادي دي نهر المسند شرقا ووادي دجلة غربا وهي محصورة ما بين منخفضين طبيعيين هما بحر قزوين شمالا والخليج العربي جنوبا ، وتكون بلاد ايران القسم الاكبر من هذه الهضبة ، أما الاجزاء الشرقية من الهضبة فتقع ضمنها افغانستان وبلوچستان وكلا هذين القطرين محاط بسلاسل جبلية عالية ، وتنقسم الاجزاء الغربية من الهضبة الى عدة وديان تولف زهاء ٣٠٠٠ مساحة البلاد وتترفع الهضبة في بعض الاماكن مثل كرمان وشيراز زهاء ٥٠٠٠ قدم ، وترتفع زهاء ٣٠٠٠ قدم في المناطق الابرانية الأخرى المشهورة مثل طهران ومشهد وتبريز . وترتفع اصفهان في الوسط الى اكثر من ٥٠٠٠ قدم وارتفاع يزد نحو ٤٠٠٠ قدم .

ولوقع ايران الطبيعي اهمية جغرافية خاصة فهي توصل ما بين آسية الوسطى وبين الشرق الاقصى وآسية الغربية وبلاد الشرق الادنى ، كما انها بمثابة جسر الى الاناضول والى اوربة الوسطى وراءها . وتحيط بهضبة ايران عدة سلاسل جبلية تختلف في ارتفاعها وتحيط بصحراء كبرى هي بقايا بحر داخلي مندرس تعرف باسم دشتي لوط . واشهر هذه الجبال السلاسل الاتية :
١ - الجبال الغربية وتعرف باسم زجروس التي تمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وطولها يربو على ٦٢٠ ميلا وعرضها نحو ١٢٠ ميلا وتراوح ارتفاعاتها ما بين ٥٥٧٠ ، ٣٢٨٠ ، ٥٥٧٠ قدما ، وتتألف من عدة سلاسل متوازية تقريبا وتتخللها اودية تتراوح ما بين ٦٠ الى ٣٠ ميلا وفي عرضها ما بين ١٢ الى ٦ أميال ، وتكثر في منحدرات هذه الجبال المراعي وغابات الاشجار مثل البلوط والبليوز والجوز والفسنق وتنمو في سفوح الوديان اشجار الكروم والتين والرمان ومزارع الحبوب والقطن وتتقل الرعاة بقطعانهم الى

المرتفعات العليا في فصل الصيف من جراء شدة الحر .
وتتفرع من السلسلة الوسطى من جبال زجروس لسان او ذراع يتجه الى الحدود
الشرقية من بلاد بين النهرين ويقترب من سهولها وسبب انحناء او انعطافها في نهر دجلة
جعله يقترب من الفرات عند منطقة بغداد بحيث لا تتعدى المسافة ما بين النهرين في هذا
المسار اكثر من ٢٥ - ٢٠ ميلا .

يصل تلك المرتفعات على سهول ما بين النهرين وكانت ولا تزال مصدر خطر كبير على العراق وتعرف
سنة المنطقة من بلاد ايران باسم « لورستان » او بلاد « اللر » وكثيرا ما غزت منها بعض الاقوام
جبلية وادي الرافدين مثل الكاشين في منتصف الألف الثاني ق . م .

٢ - السلاسل الجبلية الشمالية :

وتعرف باسم جبال « البرز » وتبلغ اعلى مرتفعات فيها زهاء ١٩٠٠٠ قدم ، وهو الجبل
المعروف بجبل « ديمانند » وقد ورد ذكره في المصادر السامرية ولا سيما المدونات الآشورية باسم
جبل بكيني « وتتأخم هذه السلاسل السواحل الجنوبية من بحر قزوين ، وتؤلف حاجزا مرتفعا
وصيفا يفصل ما بين المناطق الصحراوية الداخلية وبين المناطق الساحلية الغنية في نباتاتها . وتصل
الطرف الغربي من سلاسل جبال البرز باقليم « اذربيجان » الذي تقع في وسطه بحيرة « اورميا »
التي تتميز هذا الاقليم بكثافة سكانه وبيديانه الخصبة المزدهرة بزراعة غلال الحبوب والقطر
والرز والتبغ واشجار الخروع . ودخلت الى هذا الاقليم عبر عصور التاريخ المختلفة اقوام كثيرة واستوطنت
وبيدانه الخصبة مثل الميديين والفرس . وقد اهتمت الامبراطورية الفارسية الاخمينية بحراسة مداخل
هذا الاقليم لصد الاقوام الغازية التي كانت تندفع عبر القوقاز من المناطق الجنوبية من روسيا وقد
انامت فيها الحصون والايواب ولا تزال بقايا بعضها قائمة الى الآن .

وتتفرع جبال خراسان من جبال البرز في الجهة الشرقية وهي تتميز بسهولة عبورها وخصب
وبيدانه وكثرة اشجارها ونباتاتها بحيث يصح ان نطلق عليها « اهرآ » بلاد ايران . وتكون هذه
المنطقة المداخل الثانية لتغلغل الاقوام منها الى هضبة ايران ، وقد عبرت منها موجات متعددة من
الغزاة من سهول آسيا الوسطى الواسعة ، وغزتها قبائل تركمانية ودامت تلك الغزوات الى القرن
التاسع عشر .

٣ - السلاسل الجنوبية :

وهناك سلاسل جبلية جنوبية تعرف باسم جبال « مكران » ويخترق هذه السلاسل مدخلان
« مكران » يودي احدهما الى بندر عباس الذي كان مينا مشهورا على خليج عمان في السابق ويؤدي
الآخر الى بلوچستان .

ومن العوارض الطبيعية البارزة في جغرافية ايران المنخفض الصحراوي الواسع المعروف باسم « دشتي لوط » الذي مر ذكره ويعد من اشد صحارى العالم جفافا وملوحة . وقد ذكرت هذه الصحراء في اخبار البليديين العرب باسم « المفازة الكبرى » وقووصف من جازف في ارتياد هذه المفازة الكبرى من الرحالة والرواد على انها اشد جفافا من صحارى آسية الوسطى مثل صحراء « كوبي » (توبي) . وفي ضوء ما اوجزنه عن صفة بلاد ايزان الجغرافية تتضح لنا ظاهرة استيطان الانسان فيها وان هذا الاستيطان انحصر من الهضبة في السهول والوديان ما بين سلاسل الجبال وفي الواحات وتوجد سهول خصبة واسعة اشهرها سهل الاهواز والاحواز (عربستان) ، ويحدد هذا السهل بلاد عيلام او بلاد السوس التي يمكن عدها من الناحية الجغرافية والحضارية امتدادا لسهل وادي الرافدين الاسفل ، فهي مثلها مكونة من اراض رسوبية كونها نهر كارون وروافده واشهرها نهر « الكرخا » الذي يمر بالقرب من سوسة ، كما ان هذا السهل كان اقدم الاجزاء التي استوطنها الانسان وظهرت فيه اقدم ادوار حضارية منذ عصور ما قبل التاريخ ، كما سنبين ذلك ما بعد . ومن السهول المشهورة في بلاد ايران السهل المحاذي للجبال المتاخمة لبحر قزوين التي مر ذكرها ، وتتميز هذه الجبال باجتنابها للرياح الممطرة الى هذا السهل فاكسب خصبا وغزارة في انتاجه الزراعي بالاضافة الى كثرة احراشه وغاباته . اما السهول الاخرى فهي ليست على هذه الدرجة من الخصب ووفرة المياه بحيث لا يمكن زرعها الا بالارواء الاصطناعي الذي مورس في بلاد ايران منذ ابعد عصور التاريخ ، واتسع في العهد الاخميني حيث اقيمت شبكة واسعة من القنوات والكهاريز تحت الارض ، بطريقة بزل المياه وجذبها من سفوح الجبال وتجميعها في حفر عميقة تجري فيها المياه الى المواضع البعيدة فتروها .

ومع ان بلاد ايران ، كما رأينا ، محاطة بالجبال بيد انها مفتوحة من جهاتها الاربع بواسطة طرق ومسالك جبلية ، بعضها يذهب الى سهول ما بين النهرين ، وبعضها الى خليج العرب والى الهند وروسية كما تمر منها منذ اقدم الازمان طرق مواصلات عالمية تربط الشرق بالغرب واشهرها طريق تجارة الحرير الشهير الذي كان ايضا طريق الفتوحات والغزو . ومن الناحية الحضارية تقع بلاد ايران ما بين مركزين حضاريين مهمين هما بلاد ما بين النهرين ووادي نهر السند .

وتعتمد بلاد ايران في اقتصادها على الزراعة بالدرجة الاولى وفيها انواع كثيرة من الحيوانات وتنبت فيها اصناف كثيرة من الاشجار المثمرة . وفيها حبوب برية كالقمح والشعير وغيرها من الغلاف التي دجنها انسان ما قبل التاريخ الامر الذي مكن ظهور انقلاب العصر الحجري الحديث الاقتصادي بتعلم الانسان الزراعة وتدجين الحيوان مما سيأتي ذكره . وبلاد ايران غنية بانواع الاحجار الجيدة الصالحة للبناء والنحت مثل المرمر والرخام ، وطائفة من الاحجار الكريمة مثل حجر اللازورد

(Lapislazuli) والفيروز والبرجد (Turquoise) وقد استعمل الانسان

مثل هذه الاحجار للحلي منذ اقدم الازمان . وكانت بلاد ايران مصدرا مهما للملوك وادي الرافدين وحكامها لجلب هذه الاحجار منها ، وبدأت الاتصالات منذ ابعد العصور فتأثرت بحضارة وادي الرافدين منذ عصور ما قبل التاريخ ، كما أثرت ايران فيها . وتوجد في ايران خامات المعادن الضرورية مثل النحاس والحديد والقصدير والرصاص .

وتتكون سفوح جبال زجروس ومنحدراتها من حجارة الكلس التي تحتوي طبقاتها على

نفط الذي عرفه الانسان منذ اقدم الازمان

لكن ظاهرة الجفاف النسبي في ايران وضيق الاراضي الزراعية الممكن اوائها بالانهار منع امكان

نام وحدات اقتصادية كبرى . وكان يتحتم على الفلاحين ان يكونوا دائمي التنقل من السهول

لنوديان الان الى الجبال وبالعكس للمحافظة

على ماشيتهم ، ولهذا الاسباب وغيره تأخر ظهور الدول الكبرى

في بلاد ايران بخلاف وادي الرافدين . ويستثنى من ذلك الجزء منها المسمى بلاد عيلام التي مر

ذكرها والتي تأثرت بالعراق القديم بسبب قربها واتصالاتها الكثيرة .

لقد استوطن بلاد ايران عدة اقوام قبل مجيء الايرانيين (الآريين) اليها في مطلع الألف

لأول ق . م ممن سيأتي ذكرهم في مواضع اخرى من الكتاب . ولا يعلم الشيء الكثير عن اصل

لكثير من تلك الاقوام القديمة التي سبقت مجيء الايرانيين مثل العيلاميين ومن يليهم شمالا من

لاقوام الجبلية مثل الكشيين الذين اسسوا سلالة حاكمة في بلاد بابل من بعد سلالة بابل الأولى

حدود ١٥٠٠ قدم ، ويليهم اللولوبيون ثم الكوتيون الذين غزوا العراق وقضوا على الدولة الاكدية

في اواخر الألف الثالث ق . م .

الفصل الثاني

عرض موجز لمستوطنات الانسان في عصور ما قبل التاريخ

المبحث الاول : -

١ - مقدمة في مصادرنا عن تاريخ ايران :

قبل ان نوجز عرض تاريخ ايران في عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية يستحسن ان نمهد لذلك بذكر مصادرنا الرئيسية في معرفة ادوار التاريخ الايراني المختلفة ، واول ما نذكره التنقيبات والتحريرات الاثرية التي بدأت في أقطار الشرق الادنى ومنها ايران منذ منتصف القرن الماضي وما زالت مستمرة الى يومنا هذا . وقد اسفرت هذه التحريات عن نتائج مهمة تأتي في مقدمة مصادرنا عن تاريخ بلاد ايران منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ الى العهد الساساني بل الى ما بعد هذا العهد الى العصر الاسلامي . وسنشير الى النتائج المهمة لهذه التحريات الاثرية في أثناء كلامنا على ادوار تاريخ ايران . وبالإضافة الى هذا المصدر المعتمد على نتائج التنقيبات الاثرية يستند المؤرخون لمعرفة تاريخ ايران على مصادر اخرى مهمة ، نشأ الكثير منها من صلات ايران وعلاقاتها التاريخية بالاقوام الاخرى ولا سيما تلك المجاورة لها التي جاء في مدوناتها التاريخية امور كثيرة ومهمة عن احوال ايران ، ويأتي في مقدمة تلك المدونات من حيث القدم والأهمية الاخبار التاريخية الواردة في المصادر المسماة من حضارة وادي الرافدين منذ أقدم العصور التاريخية في الألف الثالث ق م ، حيث نشأت علاقات كثيرة منذ ما يسمى في تاريخ العراق القديم بعصر السلالات او عصر دول المدين **Early Dynastic Period** في حدود ٣٠٠٠ - ٢٣٠٠ ق م) ، وسنشير الى مثل هذه الصلات التاريخية في مواضع اخرى . واستمرت العلاقات بمقياس اوسع في العصور التالية مثل العصر الاكدي (منتصف الالف الثالث ق م) وسلالة اور الثالثة (اواخر الالف الثالث ق م) ، ونذكر ايضاً حملات الملوك الآشوريين المتعددة على بلاد ايران ولا سيما بلاد عيلام ، وقد وردت معلومات مهمة عنها في اخبار الملوك الآشوريين ولا سيما في عهد الامبراطورية الآشورية الأخيرة (منذ منتصف القرن التاسع ق م) ونذكر هنا كذلك ماورد من الاخبار عن بلاد ايران في التوراة ، وأهم من ذلك المصادر اليونانية والرومانية وفي مقدمة ذلك الاخبار الطريفة التي وردت في تاريخ المؤرخ اليوناني المشهور هيرودتس (القرن الخامس ق م) وهو مصدر مهم ومعاصر للاحداث التي نشأت على اثر غزو الملوك الاخمينيين لبلاد اليونان والاستيلاء على آسية الصغرى وعلى

بلاد آيونية اليونانية ، وهي الاجزاء الداخلية الغربية من الاناضول . ويحتوي تأريخ هيرودوتس السالف الذكر على مادة مفصلة ومهمة عن تأريخ ايران في العهد الميدي والعهد الاخمينسي ثم طان تطبيق اصول النقد التاريخي عليها وكثرت اخبار المؤرخين اليونان والرومان عن سلاسل ايران من بعد فتح الاسكندر الكبير لها (٣٣١ ق م) ، من امثال زينفون (٤٣٠ - ٣٥٥ ق م) الذي دون طائفة مهمة عن احوال العراق والامبراطورية الفارسية الاخمينية ، وكان زينفون قد التحق في آسية الصغرى (الاناضول) بحملة كورش الاصغر حاكم ولاية ليدية (في آسية الصغرى) وهو أخو الملك الفارسي « ارتخششتا الثاني » (Artaxeres) (٤٠٤ - ٣٥٩ ق م) الذي ثار عليه أخوه كورش وجرّد حملة عسكرية على العراق معظمها من مرتزقة اليونان ، وعرفت بحملة العشرة آلاف اغريقي (٤٠١ ق م) ومن مشاهير المؤرخين الكلاسيكيين (اليونان والرومان) نذكر المؤرخ (بوليبيوس Polybius) (٢٠٢ - ١٢٠ ق م) ، وكذلك الجغرافي الشهير « سترابو » (Strabo) (في حدود ٦٤ ق م - ١٩ م) الذي اشتهر بمولفة عن جغرافية العالم وعنوانه « الجغرافيا » (Geographica) ونذكر كذلك الكاتب الروماني « أريان » (Arrian) (٩٥ - ١٧٥ م) الذي دون حروب الاسكندر الكبير وفتوحه في كتابه المعنون حملة الاسكندر (Anabasis of Alexder) . وقد حوت مؤلفات الكتاب الرومان الذين ذكرنا بعضهم اخبارا كثيرة عن بلاد ايران حيث نشأت علاقات كثيرة وحروب عديدة بين السلالة الفرثية التي حكمت ايران في حدود ٢٤٧ ق م الى ٢٢٦ م) ، واستمرت تلك الحروب ابان الحكم الساساني (٢٢٦ - ٦٥٠ م) ومن المصادر المهمة عن تأريخ بلاد ايران ولاسيما في العهد الساساني المذكور اخبار المؤرخين والبلدانيين العرب وهي اخبار موثوق بها ومفصلة الى درجة كبيرة مثل تأريخ المؤرخ المشهور ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (٨٣٨ - ٩٢٣ م) وكتابة « اخبار الرسل والملوك » . والمسعودي (٩٥٦ م) وغيرهما من المؤرخين والجغرافيين واخيرا وليس آخرا زودتنا نتائج التنقيبات الاثرية في إيران التي نوهنا بها بالاضافة الى البقايا الاثرية المادية والفنية التي أقتبسها العلامةون والفرس والاعمينيون من حضارة وادي الرافديين

المبحث الثاني : عصور ما قبل التاريخ

اظهرت التحريات الجيولوجية والاثرية التي اجريت حديثا ان هضبة ايران كانت غزيرة لامطار ابان ما يسمى بالعصور الجليدية (Ice ages) في العصور

الحجرية القديمة (في المنتصف الثاني من دهر البلايستوسين الجيولوجي (Pleistocene)) حيث كان يسود فيها عصور ممطرة (Pluvial Periods) في حين كانت العصور الجليدية تعم الاصفاع الشمالية من الارض . اما في اثناء الفترات الجليدية (Inter Glaciations) فكان يحل فيها وفي الاجزاء الأخرى من الشرق الأدنى عصور جفاف ونحن نعيش الآن في آخر فترة جليدية حيث الجفاف هو الظاهرة السائدة في الاجزاء الوسطى والجنوبية من الارض . وكانت الصحراء الواسعة الملحة (دشتي لوط) التي ذكرناها في كلامنا هـ على جغرافية ايران ابان العصور الجليدية بحيرة ، كبرى او بحرا داخليا ينصب فيه كثير من الانهار والمجاري من المرتفعات الجبلية . واخذ المناخ والاحوال الجغرافية بوجه عام بالتبدل منذ قبل نحو ١٥٠٠٠ الى ١٢٠٠٠ أو (١٠٠٠٠ ق م) حيث حل محل آخر عصر جليدي أي عصر ممطر في ايران الفترة الجافة الحاضرة من تاريخ الأرض التي صار فيها الجفاف في ايران والاقطار الأخرى من الشرق الأدنى هو الظاهرة العامة . وعاش قبل هذه الفترة انسان العصر الحجري القديم (Palaeolithic) وقد عثر على بقايا ذلك العصر من الادوات الحجرية والبقايا العظمية الانسانية والحيوانية في جملة كهوف وملاجئ جبلية في ايران التجأ اليها الانسان ابان العصر الحجري القديم اتقاء البرد القارس ، وكان هذا الانسان همجيا يعتمد في حياته على جميع القوت (Food Gathering) عن طريق التقاط الجذور والنباتات البرية وصيد الحيوانات فلم يعرف بعد انتاج قوته بالزراعة وتدجين الحيوان كما انه لم يعرف استعمال المعادن . وقد استغرق الحجر القديم الجزء الأكبر من حياة الانسان على هذه الارض وتقدر بنحو ٩٨ / من حياته على الارض .

وتذكر من بين الكهوف والملاجئ التي عاش فيها انسان العصر الحجري القديم في ايران مما اجريت فيها التحريات الاثرية الكهف المسمى « تنكي بيــــــــــــــكدا » (Tangi Pabda) الواقع في جبال « بختيار » الى الشمال الشرقي من « ششتر » وكان اول كهف اكتشف في عام ١٩٤٩ وعثر فيه على بقايا انسان العصر الحجري القديم الذي عاش قبل نحو ١٠٠٠٠ عام .

ويتميز العصر الحجري القديم في ايران كما في المناطق الأخرى من الأرض بأنه مرّ بعدة اطوار او ادوار يتميز كل منها عن الآخر بانواع الادوات الحجرية وطرار صناعتها واختلاف اشكالها وبالفصائل البشرية البائدة التي عاشت فيها. ولما أخذ الجفاف يعم في نهاية العصر القديم من بعد العصور الممطرة كما نوهنا تأثرت حياة الانسان تأثرا كبيرا بذلك التبدل المناخي ولا سيما في تبدله لاماكن استيطانه ، حيث بدأ ينتقل من سفوح الجبال الى الوديان

والسهول الخصبة ، وهنا تم انقلاب العصر الحجري الحديث الذي سنوجزه فيما يلي .

انقلاب العصر الحجري الحديث

كانت الاحوال المناخية كما بيناهملائمة لذلك الانقلاب الذي حدث فيما يسمى بالعصر الحجري الحديث وهو الانقلاب الاقتصادي الكبير الذي بدل حياة الانسان تبديلاً جوهرياً ، اذ تعلم الزراعة وتدجين الحيوان قبل نحو ١٠.٠٠٠ عام ، وهو التبدل الذي مهد لظهور الحضارة والمدنية ونقل الانسان من حياة الهمجية وحياة جمع القوت Food Gathering التي عادت وسائل عيش الانسان في العصور الحجرية القديمة التي قلنا انها استغرقت القسم لا كبر من حياة الانسان على هذه الارض ، فنقل ذلك الانقلاب الاقتصادي الجديد عيش الانسان الى طور انتاج القوت بيده ومهد له الحياة المستقرة وظهر اولى القرى الفلاحية وتشييد بيوت السكن من الطين ثم من اللبن (الآجر المجفف بالشمس) . وقد اسفرت التخرينات الاثرية الحديثة في ايران الكشف عن مستوطنات الانسان من هذا العصر الحجري الحديث ، اشهرها الموقع الاثري المسمى « تبة سيالك » الواقع بالقرب من كاشان الى الجنوب من طهران (١) وهو موضع مهم ظل يستوطنه الانسان منذ العصر الحجري الحديث الذي تمثله البقايا الاثرية في طبقاته السفلى فوق ما يسمى في التنقيبات الاثرية بالارض البكر اى الارض الخلاء التي لا تحتوي على بقايا من سكنى الانسان ، ثم يلي الطبقات الممثلة لدور العصر الحجري الحديث وهو الدور الاول من تبة سيالك بقايا بقايا الادوار الحضارية التي اعقبت العصر الحجري الحديث والتي اطلق عليها الباحثون الآثاريون في اقطار الشرق الاذننى مصطلح العصر الحجرى المعدنية (Chalcolithic) . وقد عثر من مخلفات العصر الحجري الحديث على بقايا بيوت الطين التي اتخذها الانسان للسكن وبقايا عظام الحيوانات التي دجنها انسان ذلك العصر مثل الغنم والظأن والبقرة ، كما عثر على نوع من الاواني الفخارية المصنوعة باليد ، وبعضها ملون باللون الاحمر مع بقع سوداء ، ثم تعلم الانسان من بعد ذلك صنع الفخار الملون المنتظم في العصر الحجري المعدني الذي اشرنا اليه عثر على اقراص مغازل من الطين المقخور وبعضها من الحجارة وهي تشير الى معرفة دائية بالغزل والنسيج . وقد صنع الانسان معظم ادواته وآلاته من الحجارة مثل نصال السكاكين المناجل والفؤوس المصقولة والمقاشط وبعد زمن منذ نهاية العصر الحجري الحديث عرف الانسان (١) قسمت الطبقات الاثرية التي سجلها المتقنون في تبة سيالك الى خمسة ادوار حضارية ، وقد قلنا ان الدور الاول يمثل حضارة العصر الحجري الحديث ، ثم تمثل الادوار الاربعة التالية طور العصر الحجري المعوني ، وقد اظهرت الدراسات المقارنة ان هذه الاطوار تضاهي ادوار هذا العصر في وادي الرافدين ، فدور تبة سيالك الثاني هو دور حلف والعبيد في وادي الرافدين ، ثم ادوار الوركاء وجمدة نصر الممثلة في تبة سيالك بالدور

استعمال المعادن معرفة بدائية . .

وترينا الطبقات الاثرية التي سجلت في ثبة سيالك تدرج تقدم الانسان في تطوره الحضاري من العصر الحجري الحديث الى ادوار العصر الحجري المعدني التالي حيث تقسم في صنع الادوات وتعلم استعمال المعادن كما نوهنا ، واتقن فن تشييد بيوت السكن واتسعت القرى الفلاحية البسيطة التي ظهرت في العصر الحجري الحديث السابق ، كما تفنن الانسان في صنع الاواني الفخارية وتزيينها وتلوينها ، وعثر بالاضافة الى ثبة سيالك السالف الذكر على بقايا ادوار العصر الحجري المعدني في مواضع اخرى من ايران اشهرها الطبقات السفلى من موضع مدينة « سوسة » الشهيرة (عاصمة بلاد عيلام) ، كما عثر على اثار مهمة ومثلة لعصور ما قبل التاريخ الايراني في الموضع المسمى بـ « كيان » بالقرب من نهاوند (جنوب همسدان) وفي « ثبة حصار » بالقرب من دمنغان ، وعدة مواقع اخرى في « لورستان » وفي الموضع الاثرى الشهير « بوسويليس » بالقرب من « اصطخر » وهي عاصمة الدولة الفارسية الاخمينية .

بداية العصور الشبيهة بالتاريخية :- مصطلح الدور الشبيه بالتاريخي Proto Historic

أو الشبيه بالتدويني (Proto literate) اطلقه الباحثون في تاريخ الشرق الادنى القديم حديثا ولا سيما على تلك الاطوار في حضارة وادي الرافدين التي ظهرت فيها اولى طلائع للتدوين بنوع من الكتابة الصورية (Pictographic) وخصص لهذا الدور في تأريخ العراق القديم الطبقة الرابعة من الوركاء وطور جمدة نصر .

وظهرت في بلاد ايران اطوار مضاهية في طبقات اثرية في سوسة وهي الطبقات التي اختفت منها انواع الفخار الملون الشبيه بفخار دور العبيد في حضارة وادي الرافدين وحل محله نوع جديد من الفخار ذو لون واحد (احادي اللون Monochrome) ومنه

النصف الثاني من الألف الرابع ق م ، ويمثله الدور الخامس في الموضع « ثبة سيالك » الذي اشرنا اليه وبضاهي هذا الفخار الجديد الاحادي اللون الفخار الذي ظهر في حضارة وادي الرافدين في طور الوركاء الرابع ، وهو الدور الذي قلنا انه اصطلح عليه مع دور جمدة نصر التالي مصطلح العصر الشبيه بالتاريخي فقد ظهرت الكتابة فيه لأول مرة ، وكانت اوائل واصل الكتابة المسماة في بلاد وادي الرافدين ، اما في بلاد ايران فانه بعد فترة غير طويلة وعلى وجه التحديد في عصر جمدة نصر الذي اعقب دور الوركاء ظهر في بلاد عيلام التي سننجز تأريخها خط صوري مشابه للخط الصوري المسماري الذي ظهر في العراق قبل ذلك في دور الوركاء وكان حافظا لظهوره وقد اطلق عليه الباحثون مصطلح الخط العيلامي الصوري او القديم (Proto Elamite) وسيأتي الكلام على هذا الخط في

الفصل الثالث

المبحث الاول : تاريخ بلاد عيلام

الموقع الجغرافي والتسمية :

سبق ان حددنا اقليم بلاد عيلام بانه مؤلف بالدرجة الاولى من السهول الجنوبية والجنوبية الشرقية من بلاد ايران ويمثله الآن اقليم خوزستان او الاحواز او عربستان ومنه منطقة عبادان الان الى شرق وادي دجلة الاسفل واشتهرت بلاد عيلام بعاصمتها القديمة « سوسة » الواقعة بالقرب من دزفول ولذلك عرف الاقليم ايضاً باسم بلاد السوس كما جاء في المصادر الكلاسيكية (اليونانية - الرونية) « سوسيانة » . . .

(وتعد بلاد عيلام كما نوهنا سابقا من الناحيتين الجغرافية والحضارية جزءاً من بلاد وادي الرافدين ، فانها لا تبعد في الواقع عن بلاد سومر (السهل الرسوبي في العراق) أكثر من مائة ميل ، وكثيراً ما صارت بلاد عيلام ولاية تابعة الى الدول المعظمة التي قامت في العراق القديم) ، كما انها غزت العراق أكثر من مرة في أزمان الضعف السياسي في وادي الرافدين ، وكانت بلاد عيلام على أهمية كبرى من ناحية الاتصالات الحضارية بين الشعوب القديمة ، فكانت مثلاً واسطة للاتصالات ما بين حضارة وادي الرافدين وبين اجزاء بلاد ايران المختلفة وبين الهند والتركستان وحتى بعض اجزاء الشرق الانفصلي

(وقد اطلق السومريون في وادي الرافدين على اقليم عيلام اسم « نم » (NIM)) الذي يعني في اللغة السومرية « الارض المرتفعة » او « النجد » وسماه الاكديون (الساميون) باسم « ايلامتو » (عيلامتو) ولا يعلم بوجه التاكيد صلة هاتين التسميتين أحدهما بالآخرى ، وإيهما أصل للآخرى . ولعل التسمية الاكدية تصحيف عن الكلمة السومرية « نيم » او « انتة » (ENIM) ذكر اسم الاقليم في القوراة بكلمة مضاهية على هيئته « عيلام » وان « عيلام » بحسب التوراة كان الابن البكر لسام بن نوح (سفر التكوين : : ٢٢) وانه كان ابا العيلاميين والفرس (كذا) (سفر عزرا : ٩) . (على ان العيلاميين سمو انفسهم وبلادهم باسم يختلف عن ذلك) فقد جاء في اللغة العيلامية المدونة بالخط المسماري بهيئة « خاورتي »

او « خافرتي » (KHAWIRTI) على انه يجوز قراءة المقطع الأوسط

بهيئة « تام » (TAM) فتكون التسمية المحتملة « خاتمتي » وذكر اقليم

عيلام في المصادر الفارسية المتأخرة بهيئة « اوفاجا » (UVAJA) و « هوفاجا »

(HUVAJA) ، ومنها المصطلح الوارد في المصادر العربية بهيئة

« خوز » و « خوزي » و « حوزة » و « خوزستان » اما اليونان فسموا بلاد عيلام والعيلاميين

عاصمتهم التاريخية « سوسة » فاطلقوا على القطر « سوسيانا » كما قلنا . وذكرت المصادر القديمة المسمارية وغيرها قسماً مهماً من بلاد عيلام باسم « أنشان » (Anshan) و « أنزان » (Anzan) وقد اطلق هذا القسم في حالات كثيرة على جميع بلاد عيلام ، وجاء ذكره في اخبار ملوك سلالة اور الثالثة السومرية وغيرهم . (اما العيلاميون اى القوم الذين استوطنوا البلاد التي سمينها بلاد عيلام فتلاعنرف اشياء مؤكدة عن اصلهم ، وجل مايمكن قوله بهذا الصدد ان العيلاميين لم يكونوا من الاقوام الايرانية التي هاجرت الى بلاد ايران في مطلع الألف الأول ق . م ، ومنهم الميديون والفرس الذين سنوجز تاريخهم ، فيكون العيلاميون قد سبقوا مجيئ اولئك الايرانيين بما لا يقل عن الفي عام ، ولعل اصلهم من المنطقة الجبلية في جبال زجروس وهي المنطقة التي تناخم سهول عيلام في الشمال والشرق) وكذلك سهول وادي الرافدين ، ويرجع الى هذه المنطقة اصل اقوام أخرى يرجح ان يكونوا اقرباء العيلاميين وهم الكشيون واللوبيو (منطقة شهرزور) والكوتيون (اقليم الزاب الاسفل) ، ومن الباحثين من يرجح اصل اللغة الكيشية الى اللغة العيلامية ، ويجعلونها من عائلة لغوية قديمة منقرضة كان اصلها في جنوبي القوقاز . وظلت اللغة العيلامية مزدهرة في الاستعمال زهاء اربعة آلاف عام ، وأقدم ما دون بها يرجع الى حدود بداية الالف الثالث ق . م . ومما يجدر ذكره بهذه الصدد ان الجغرافي العربي الاصطخرى (منتصف القرن العاشر الميلادى) يروى ان اهل خوزستان (وهي بلاد عيلام كما بينا) كانوا يتكلمون في زمنه باللسان « الخوزى » الى جانب اللسان الفارسي . وقد سبق ان نوهنا ان مصطلح اللغة الخوزية استعمل في زمن الفرس الاخمينيين لا طلاقاً على اللغة العيلامية وقد حلت رموز اللغة العيلامية بخطها المسماري مقتبس من حضارة وادي الرافدين في النقوش الكتابية التي دون بها الملك الفارسي دارا الاول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق . م) اعماله في وجه الجبل الشاهق في بهستون وقد دونت في ثلاث لغات هي البابلية والعيلامية والفارسية الاخمينية ، وقد دونت اللغتان الاخيرتان بخط مسماري مقتبس من الخط المسماري في حضارة وادي الرافدين كما قلنا ، وكانت هذه النقوش التي تدون نصاً تاريخياً واحداً مفتاح حل رموز الخط المسماري الخاص بحضارة وادي الرافدين على ما هو معروف في تاريخ العراق القديم .

ولعل ابرز تأثيرات يحددها الباحث من حضارة وادي الرافدين في ايران بوجه عام وبلاد عيلام بوجه خاص ان العيلاميين تأثروا بالخط الصوري الذي ظهر في العراق في عصر الوركاء (الطبقة الرابعة) واوجدوا لهم خطاً سورياً ، مضاهياً في العصر التالي لعصر الوركاء ، وهو درجمدة نصر (في حدود ٣٠٠٠ ق . م)

وقد سبق ان اشرنا الى هذا الخط بمصطلح الخط العيلامي القديم (Proto Elamite) وقد جاء منه عدة مشات من الواح الطين وجدت في مدينة سوسة وظل في الاستعمار والتطور الى العصر الاكدي (منتصف الألف الثالث ق م) ولكن لم تحل رموز هذا الخط الصوري العيلامي القديم ، كما ان العيلاميين نبذوا استعماله في منتصف الألف الثالث ق م ، واوجدوا بدلا منه خطا مسمارية مشتقا من الخط المسماري العراقي حيث حوروا علامات مسمارية لتلائم اصوات لغتهم واختصروا في عدد العلامات المستعملة بحيث لم تتعد زهاء (١٣١) علامة مقطعية (اي علامات تستعمل اصواتا على هيئة مقاطع) ثم زهاء (٢٥) علامة رمزية اي ان Syllables كلا منها تقوم مقام كلمة ثم (٧) علامة دالة ، واختزلوا في عدد العلامات الصوتية المقطعية مرة اخرى في زمن لاحق فجعلوا قوامها زهاء ١١٣ علامة (١) .

ملخص تاريخ عيلام

بدأت امارات الحياة السياسية في بلاد عيلام فظهر في الثلث الاول من الألف الثالث ق م ، بعض السلالات الحاكمة ، كما ان عيلام اخذت منذ هذا العهد تزودنا بشيء من مصادرها الوطنية عن تاريخها ، على ان مصادرها المهمة عن ذلك تستند بالدرجة الاولى على المدونات التاريخية التي جاءت الينا من حضارة وادي الرافدين حيث بدأت العلاقات التاريخية منذ العصر الذي سميناه في تاريخ العراق بعصر السلالات ولا سيما عصر السلالات الثالث (في حدود ٢٥٠٠ - ٢٤٠٠ ق م) . وقد وجد نقش كتابي باللغة السومرية في منطقة ميناء بوشير وهي تعود الى احد الامراء العيلاميين الذين اسسوا سلالة حاكمة حكمت منطقة واسعة وبضمنها منطقة خليج بوشير . وتشير حقيقة كون تلك الوثيقة قد دونت بالخط المسماري وباللغة السومرية الى ما سبق ان نوهنا به مرارا من التأثيرات الحضارية الكثيرة في بلاد عيلام وايران من حضارة وادي الرافدين . وبالإضافة الى هذه الوثيقة وردت اشارات مهمة في كتابات الحكام السومريين من عصر السلالات الثالث ولا سيما حكام سلالة لجش ومعظمها يشير الى غزوهم بلاد عيلام ، فقد ذكر مثلا حاكم لجش المسمى « ايانا تم » (Eannatum) بانه غزا بلاد عيلام « الجبل الكثير الاشجار » . ومما لا شك فيه ان غزوات مماثلة قام بها العيلاميون لبلاد سومر ابان فترات الضعف ولكن لا نتوقع ان نجد لها ذكرا صريحا في اخبار الحكام السومريين باستثناء اشارة واحدة من اواخر عصر السلالات ذكر فيها العيلاميون بأنهم « نهبوا لجش » .

Gelb, A. Study of Writing.

وثبتت السيطرة السياسية لبلاد وادي الرافدين على عيلام على هيئة ضم منتظم في العصر الذي يعرف في تاريخ العراق القديم باسم العهد الاكدي (٢٣٣٤ - ٢١٥٤ ق م) ، حيث ظهر في تاريخ العراق سلالة سامية حاكمة أسسها الملك الشهير سرجون الاكدي (٢٣٣٤ - ٢٢٧٩ ق م) الذي قضى على آخر حكام عصر السلالات او عصر دول المدن السومري المسمى « لوكال زاجيزي » يوحد البلاد في مملكة كبرى ضمت اجزاء العراق المختلفة وامتدت بالفتوح الاجنية الى امبراطورية شملت اجزاء مهمة من بلاد الشام والاناضول ودخلت بلاد عيلام موضوع بحثنا ضمن ولاياتها التابعة حين عين سرجون حاكما تابعا له وظلت كذلك في عهد ابنه وخلفته « مانشتوسو » الذي قام بحملة حربية بحرية - برية اجتاز بها الخليج العربي ليسيطر على الطرق التجارية التي كانت تجلب بواسطتها المواد الخام كالآخشاب والاحجار من الجبال الايرانية وجاء في احد نصوصه التاريخية ان « مانشتوسو . . . بعد ان اخضع « أنشان » و « شريختم » (كلاهما في بلاد عيلام) عبر البحر الاسفل في سفن فحارب ٣٢ ملكا من ملوك المدن الواقعة في الجانب الآخر من ذلك البحر واخضعهم واستولى على اقاليمهم وبلغ مناجم الفضة والجبال الواقعة فيما وراء البحر الاسفل وجلب الاحجار الجيدة منها ، ونحت تماثالا وقدمه الى الاله « انليل » .

بدو ان حكم الملك الاكدي مانشتوسو انتهى بقتله في مؤامرة داخلية وخلفه حكم الامبراطورية الاكدي ابنه نرام - سين (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق م) اما بلاد عيلام بها ثارت على السلطة الاكدي في اثناء ثورة كبيرة امتدت من عيلام الى الزاب ولكن نرام - سين اخضعها بقوة وقسوة ، فلم تتمتع بلاد عيلام باستقلالها سدا طويلا حيث ضمت الى حكم نرام - سين الذي عين في العاصمة « سوسة » كما تابعا بمثلها وقد شيد هذا الحاكم مبان عامة مهمة في سوسة تخليدا لسيده بالإضافة الى ذلك التسلط السياسي الاكدي طغت الثقافة الاكدي ومنها اللغة كدي على بلاد عيلام حيث حلت محل اللغة الوطنية العيلامية . . . ووجد في سوسة عملة مآثر بنائية مهمة تدل على تبعية حكام بلاد عيلام الى الدولة الاكدي ومن بين تلك الآثار المختوم بالخط المسماري واللغة الاكدي باسم نرام - سين مع اسماء بعض الحكام العيلاميين التابعين . وتشير ماجريات الاحوال الى ان العيلاميين ركنوا سياسة صائبة ازاء فاتحيهم فابدوا الخضوع والرضوخ فحصلوا على رضا فاتحيهم لموا من التدبير والتخريب ، بحيث ان « نرام - سين » لم يخش ان يعين على بلاد

عيلام واليا منهم خلفا للحاكم الاكدي الذي عينه من قبل . وقد انتهز هذا الحاكم العيلامي واسمه « بوزر - انشوشناك » ثقة سيده نرام - سين ورضاه وشرع ببذر بذور الحركة القومية واستطاع ان يكتب النصوص الرسمية باللغة العيلامية والخط المساري العيلامي الى جانب اللغة الاكدية الرسمية ، واشتهر بنشاطه في الاعمال العمرانية في مدينة « سوسة » واستطاع ان يغزو جملة اقاليم في الجهات الشمالية من بلاد عيلام حتى وصل الى منطقة الكوتيين (في الاقليم الجبلي شرق الزاب الاسفل) وكان يتظاهر في هذه الفتوحات بأنها كانت لحماية بلاد عيلام التابعة الى الدولة الاكديّة . ولما انتهى حكم الملك « نرام - سين » ، وهو اقوى ملوك السلالة الاكدية ، انقضى بل ذلك الحاكم العيلامي القوي في عهد خليفة « نرام - سين » المسمى « شاركا لي شري » واعلن استقلال بلاده ، ولم يكتف بذلك بل تشير الاخبار القليلة الى انه غزا بلاد بلاد بابل نفسها في عهد الضعف والاضطراب اللذين حلا فيها ، وقد بلغ في تقدمه الى مدينة « أكد » نفسها ، وقد عانى خلفاء نرام - سين في رده على اعقابه وطرده .

المبحث الثاني : - / اللولوبو والكوتيون

لم يدم الازدهار السياسي الذي حققه بوزر - انشوشناك « أمداً طويلا فقد تعرضت بلاد عيلام وبلاد بابل معها الى اخطار خارجية من الاقوام الجبلية المجاورة وقد ورد ذكر هؤلاء الاقوام في مصادر حضارة وادي الرافدين باسم « لولوبو » ثم اعقبهم الكوتيون وقد سبق لهؤلاء الاقوام ابان السلالة الاكديه ان تحرشوا بالاكديين الذين صدوهم وحطموهم ، ولا سيما نرام - سين (١) ولكن استطاع الكوتيون من بعد اللولوبو القضاء على السلالة الاكدية على ما هو معروف في تاريخ العراق القديم .

(استوطن اللولوبو الاقليم الواقع بالقرب من الطريق التجاري التاريخي المؤدي من بغداد الى كرمشاه ثم الى همدان وطهران اي الطرق التجارية المهمة الواصلة ما بين وادي الرافدين وايران فكان اولئك الاقوام الجبلية يستيطرون بحكم موقعهم على طرق القوافل التجارية المهمة . ومع انهم كانوا اعداء بلاد بابل الطبيعيين بيد انهم كانوا واسطة مهمة في تزويد بلاد بابل بالمواد والبضائع المهمة . وقد تأثر حكام اللولوبو وامراؤهم بحضارة وادي الرافدين واساليب الحكم الاكدي وقلدوا ملوك الاكديين في اقامة انصابت لتخليدهم)

فقد خلف احد ملوك اللولوبو المسمى « تارا - لوني » نصبا في وجه الجبل في المنطقة المسماة « سري بولي . زهاب » في هوزن شيخان وهي تضاهي منحوتات نرام - سين وفيها كتابة (١) وقد خلد نرام - سين انتصاره الساحق على اللولوبو والكوتيين في تحت جبلي شهير في المجاز الجبلي في جبال

قرده داع والمعروف باسم « دريندي كاووز » .

مشوهة بالخط المسماري واللغة الاكديه فيها اسم الملك الذي ذكرناه اى « تاز - لوني »
حلف صبح ملك آخر من ملوك اللولوبو واسمه « آنو - بانيني » منحوته جبليه اهم من الاولى
ترب من قرية « سري - بول » ، وفيها كتابة باللغة الاكديه والخط المسماري باسم هذا
ملك وتآلف المنحوتة من حقلين يرى في الحقل الاعلى الملك « آنو - بانيني » ملك اللولوبو
هو يدوس بقدمه على احد الاعداء ويتسلح الملك بقوس وسيف ويقف قدام الآلهة « نينسي »
نانا - عشتار ، الهة الحرب البابلية) وقد مثلت وهي مادة احدى ايديها

الى الملك وتمسك باليد الاخرى عدوين مربوطين بالحبل . هذا ان النصبان من بين أهم الآثار
في بلاد ايران من هذا العهد من تاريخها وهو عهد قديم ومظلم لم يأتنا منه آثار مهمة ،
ستدل من هاتين المنحوتين على اشياء مهمة عن الاحوال الثقافية لاقوام ايران القديمة ،
من ذلك انهم لم يكن عندهم وسيلة للتدوين بل اقتبسوا الخط المسماري وحتى اللغة الاكديه
تدوين مآثرهم ، كما اتخذوا عبادة كثير من الآلهة البابلية القديمة وكل ذلك يشير الى مدى
مغلغل التأثيرات الحضارية من وادي الرافدين في هذه المناطق الجبلية من بلاد ايران ، وقد سبق
أن رأينا التأثيرات الحضارية الواسعة في بلاد عيلام نفسها . وقد تركت هذه المنحوتات آثارا
رائعا بعيدا لدى الاجيال الآتية في بلاد ايران فقد حدا حذوهما غير واحد من حكامها وملوكها لما
خذوا اساليب النحت الاكديه .

اما الكوتيون الذين قضوا على السلالة الاكديه فقد استوطنوا في الجهات الجبلية الى
شرق من الزاب الاسفل ، وتشير ماجويات الاحداث الى ان هؤلاء الكوتيين بسطوا سلطتهم على
بلاد عيلام من بعد قضائهم على الحكم الاكدي .

وبعد طرد الكوتيين من قبل الامير السومري « اوتو - حيكال » حاكم الوركاء قامت
في العراق سلالة اور الثالثة السومرية (٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق م) وأنشأت امبراطورية واسعة
حل ضمنها معظم اجزاء الشرق الادنى ومن بين ذلك بلاد ايران وبلاد عيلام وظلت كذلك
الى القرن الواحد وهي مدة هذه السلالة في الوجود ، حتى قضت عليها جموع الاقوام السامية
ربية التي سماها العراقيون القدماء باسم الاموريين (وبالسومرية مارتو) الذين اندفعوا بموجات
برى من القبائل من بوادي بلاد الشام وتأسست على انقاض سلالة اور الثالثة عدة سلالات
العراق اشهرها سلالتان ايسن ولارسا ثم سلالة بابل الأولى التي اشتهرت بملكها السادس ،
نوراسي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م) وانتهز الامراء العيلاميون فرصة الفوضى والاضطرابات
سياسية في بلاد بابل فاستقلوا وتدخلوا في شؤونها حتى انهم اسهموا في سقوط سلالة اور
ثالثة وتأسيس سلالة « لارسا » وظهرت في هذه الاحداث سلالة ايرانية
الملكة المسماة مملكة « سماش » ولعل اصلها من المنطقة الجبلية الى الغرب من

مشوهة بالخط المسماري واللغة الاكديه فيها اسم الملك الذي ذكرناه اى « تاز - لوني » ،
حلف صح ملك آخر من ملوك اللولوبو واسمه « آنو - بانيني » منحوتة جبلية اهم من الاولى
ترب من قرية « سرى - بول » ، وفيها كتابة باللغة الاكديه والخط المسماري باسم هذا
ملك وتآلف المنحوتة من حقلين يرى في الحقل الاعلى الملك « آنو - بانيني » ملك اللولوبو
نو يدوس بقدمه على احد الاعداء ويتسلح الملك بقوس وسيف ويقف قدام الآلهة « نينسي »
نانا - عشثار ، الهة الحرب البابلية) وقد مثلت وهي مادة احدى ايديها

الى الملك وتمسك باليد الاخرى عدوين مربوطين بالحبل . هذا النصبان من بين اهم الآثار
في بلاد ايران من هذا العهد من تاريخها وهو عهد قديم ومظلم لم يأتنا منه آثار مهمة ،
ستدل من هاتين المنحوتين على اشياء مهمة عن الاحوال الثقافية لاقوام ايران القديمة ،
ن ذلك انهم لم يكن عندهم وسيلة للتدوين بل اقتبسوا الخط المسماري وحتى اللغة الاكديه
تدوين مآثرهم ، كما اتخذوا عبادة كثير من الآلهة البابلية القديمة وكل ذلك يشير الى مدى
غلغل التأثيرات الحضارية من وادي الرافدين في هذه المناطق الجبلية من بلاد ايران ، وقد سبق
أن رأينا التأثيرات الحضارية الواسعة في بلاد عيلام نفسها . وقد تركت هذه المنحوتات آثارا
رائعا نبغدا لدى الاجيال الآتية في بلاد ايران فقد حدا حذوها غير واحد من حكامها وملوكها لما
خذوا اساليب النحت الاكديه .

اما الكوتيون الذين قضوا على السلالة الاكديه فقد استوطنوا في الجهات الجبلية الى
شرق من الزاب الاسفل ، وتشير ماجويات الاحداث الى ان هؤلاء الكوتيين بسطوا سلطتهم على
بلاد عيلام من بعد قضائهم على الحكم الاكدي .

وبعد طرد الكوتيين من قبل الامير السومري « اوتو - حيكال » حاكم الوركاء قامت
في العراق سلالة اور الثالثة السومرية (٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق م) وأنشأت امبراطورية واسعة
حل ضمنها معظم اجزاء الشرق الادنى ومن بين ذلك بلاد ايران وبلاد عيلام وظلت كذلك
ماء القرن الواحد وهي مدة هذه السلالة في الوجود ، حتى قضت عليها جموع الاقوام السامية
ربية التي سماها العراقيون القدماء باسم الاموريين (وبالسومرية مارتو) الذين اندفعوا بموجات
برى من القبائل من بوادي بلاد الشام وتأسست على انقاض سلالة اور الثالثة عدة سلالات
العراق اشهرها سلالتان ايسن ولارسا ثم سلالة بابل الأولى التي اشتهرت بملكها السادس ،
سورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م) وانتهز الامراء العيلاميون فرصة الفوضى والاضطرابات
سياسية في بلاد بابل فاستقلوا وتدخلوا في شؤونها حتى انهم اسهموا في سقوط سلالة اور
لثة وتأسيس سلالة « لارسة » وظهرت في هذه الاحداث سلالة ايرانية
المملكة المسماة مملكة « سماش » ولعل اصلها من المنطقة الجبلية الى الغرب من

اصفهان ، وبسطت هذه السلالة سلطتها على سوسة وبلاد عيلام ، ولكن بعد ان توطدت سلطة السلالات الحاكمة في بلاد ولا سيما سلالة « ايسن » استطاع البابليون تصفية نفوذ سلالة « شماس » السابقة الذكر فانزعزت عيلام منها ، وقد بسط حمورابي سلطته على بلاد عيلام ، ولكن قامت فيها من بعده سلالة وطنية مستقلة وقبيل ازدهرت في حياتها السياسية واعتاد ملوك هذه السلالة ان يلقبوا انفسهم ملك عيلام او الشان وملك سوسة ، واستمرت عيلام في التمتع باستقلالها ابان العهد الكشي في العراق (عهد سلالة بابل الثالثة التي اعقبت سلالة بابل الاولى اى سلالة حمورابي) . ولكن الثقافة البابلية كانت هي المسيطرة فقد استعملوا اللغة الاكدية والخط المسماري لكتابة الوثائق المهمة الى جانب لغتهم الوطنية ، وعمت في عهد هذه السلالة عبادة بعض الآلهة العيلامية مثل الآلهة « شالا » وزوجها الاله « انشوشناك » وكانت عبادتهما اعم من عبادة الآلهة الوطنية . واستمرت بلاد عيلام في استقلالها وازدهارها ابان العهد الكشي في العراق .

وقامت في مطلع القرن الثالث عشر ق . م سلالة جديدة من الحكام بلغت بلاد عيلام في عهدها ازدهارا كبيرا وكان مؤسسها الملك المسمى « اونتاش - خويان (اونتش كال) وقد تميز هذا العاهل بنشاطه الواسع في البناء والتعمير حيث أسس عدة مدن جديدة واعاد بناء بناء المدن القديمة ، وازدهر الفن في عهد هذه السلالة ولا سيما الفنون المعدنية ، كما يستدل على ذلك من التمثال المعدني الذي عثر عليه والذي يمثل زوجة الملك « اونتاش - خويان » المسماة نابواسو (**Napirasu**) . واعقب الملك اونتاش - خويان القوى ملوك اقوياء ايضا هم « شوترك نختي » (**Shutruk-Nahunte**) وكونر - نختي (**Kutir-Nahunte**) وشلهاك انشوشناك (**Shilhak Inshushinak**) . وبلغت عيلام درجة من القوة

بحيث انها استطاعت ان تسجل انتصارا عسكريا على الجيش الآشوري الذي جاء لمساعدة الكيشيين . وبلغت عيلام اوج قوتها في عهد الملك « شوترك نختي الاول » (١٢٠٧ - ١١٧١ ق . م) الذي اشتهر بانه شيد معابد في معظم مدن المملكة . وقد استطاع هذا الملك القوى ان يسبق الآشوريين فيغزو بلاد بابل ويخلع آخر ملك من الملوك الكشيين

ونصب ابنه بدلامنه وهو « كونر نختي » الذي نقل من بابل تمثال مردوخ ومسله شريعة حمورابي الشهيرة وبعض المآثر المهمة مثل مسلة النصر لنرام - سين . وقد عثرت عليها بعثة التنقيبات الفرنسية في سوسة ، عاصمة عيلام ، وبلغت عيلام في عهد الملك العيلامي « شنهاك - انشوشناك » (١١٦٥ - ١١٥١ ق . م) اقصى درجة مه

القوة والنفوذ فقد بلغت جيوشها حوض نهر دبالى ومنطقة كركوك حتى مدينة آشور ومبنت
بلى منطقة الخليج ومرتفعات زجروس ، ودخلت ضمن الدولة العيلامية جميع الاجزاء الغربية من
ن . وقد صاحب هذا التوسع العسكرى والسياسى انتعاش وحياء للثقافة العيلامية الوطنية
- انحصر التدوين تقريباً باللغة العيلامية وبالخط العيلامى القديم ، وتركزت الديانة
على الاله العيلامى القومى « انشوشناك » ، وشمل هذا الاحياء التراثى الفن والعمارة ،
نمت العاصمة سوسة اوج عظمتها وازدهارها .

على ان هذا الازدهار السياسى والحضارى لم يدم أمدا طويلا فقد حلت في بلاد عيلام
رة تدهور ، وقد صادف ذلك انتعاش جديد في بلاد بابل فقد قامت فيها سلالة قوية
بمدينة « ايسن » هي سلالتها الثانية وعدت السلالة البابلية الرابعة التي حكم
ها ستة ملوك دام حكمهم زهاء القرن الواحد (١١٦٢ - ١٠٤١ ق م) ، وقد سايرت
لاحوال السائدة هذه السلالة في تعاظمها ولا سيما ضعف الدولة الآشورية والدولة
ميلامية ، فطردت الحامية العيلامية وبلغ ملكها الرابع المسمى « نبوخذ نصر » (الاول
١١٢٤ - ١١٣١ ق م) من القوة بحيث انه جهز حملة عسكرية غزا فيها بلاد عيلام
تولى على عاصمتها سوسة وخلف لنا خبر انتصاره منقوشا في حجرة حدود « كدورو »
ارجع تمثال الاله « مردوخ » ، كبير الهة بابل الذى اخذه الملك العيلامى عند
وه لمدينة بابل وقد اسهب في كتابته التاريخية السالفة الذكر في وصف الاحتفال
بى اقامه بمناسبة اعادة التمثال الى معبده في مدينة بابل .

واستمر الضعف والتدهور يعمان بلاد عيلام من بعد ذلك زمنا طويلا ، فلم تستعد
ابق عهدها من القوة والازدهار ولا حتى استقلالها وتفاقت الامم اكثر ابان تعاظم
ولة الآشورية التي اخذت تسدد ضرباتها المتلاحقة على بلاد عيلام من بعد ان بسطت
ذها السياسى على بلاد بابل . وكانت آخر ضربة مميتة وجهت على العيلاميين
الملك الآشورى « آشور بانيبال » (٦٦٨ - ٦٢٦ ق م) اذ على الرغم من ضعف بلاد
م فان حكامها وامراءها لم يتخلوا عن التدخل في شؤون بلاد بابل وتحريض اهلها على السلطة
رية ، وقد ثار على آشور بانيبال اخوه ملك بابل « شمش - شم - اوكتشن »
بى ناصره العيلاميين وبعد ان قضى آشور بانيبال على اتباع اخيه وجه حملة كبرى على
عيلام في عام ٦٣٩ ق م فدمرها ونهب العاصمة سوسة وخرب معابدها وحطم
ثيل آلهتها ونشبت قبور ملوكها ونقلت عظامهم الى بلاد آشور لكي يحرم اشباح الموتى
الاستقرار فتشكل بالاحياء ، ونثر الملح على انقاض المدن المدمرة وبحسب تعبير النصوص
حارية أحل الدمار في بلاد عيلام مسافة طويلة ، شهر ٢٥ يوماً . وكانت هذه ضربة ماحقة لم
من بعدها لبلاد عيلام قائمة ، اذ دخلت من بعد ذلك تحت سلطات السلاطات الايرانية
كئة وهي الدولة الميديّة ثم الاخمينية مما سنعرضه في الصفحات الآتية .

الباب الثاني

الاقوام الارية في ايران

الفصل الاول

استيطان الايرانيين في بلاد ايران

المبحث الأول : اصل الايرانيين (الآريين) وهجراتهم

مرّ بنا موجز تاريخ بلاد عيلام والعيلاميون في السهول الجنوبية من بلاد ايران وقلنا ان العيلاميين لم يكونوا من الاقوام الابراتية او الآرية التي كونت منذ الألف الأول ق.م القسم الاكبر من سكان ايران وكونت الدول والسلالات الحاكمة فيها واقدمهم الميديون (الماذيون) ثم الفرس الاخمينيون والفرثيون والساسانيون (تولّف هجرة هؤلاء الايرانيين الى بلاد ايران جزاً من هجرات اقوام تاريخية كثيرة عرفت بعدة اسماء اشهرها الاقوام « الهندية - الاوربية » او الاقوام الآرية التي كونت الغالبية العظمى من سكان اوربة التأريخين والهند ، ثم الفرع الايراني المهم السدي قلنا انه دخل بلاد ايران في مطلع الأنف الأول ق.م وعرفت تلك الاقوام ايضا بعائلة لغاتها الواسعة وهي عائلة اللغات « الهندية - الاوربية » او الهندية - الجرمانية ، وهي احدى عائلات اللغات البشرية الكبرى في سعة انتشارها وسعة الاقوام الذين تكلموا بها ، ويجدر ان نذكر بهذا الصدد العائلة اللغوية الكبرى الاخرى التي تكلمت بها اقوام تاريخية مشهورة في الشرق الادنى واقطار الوطن العربي وقد اطلق عليها اسم عائلة اللغات السامية التي تمثلها لغات تاريخية مشهورة مثل العربية واللهجات العربية القديمة والاكديّة في العراق (البابلية والآشورية) واللغات السامية الغربية واشهرها الكنعانية والفينيقية والآرامية والعبرانية .

كبدأت تلك الاقوام الهندية - الاوربية في هجراتها في ازمان تاريخية مختلفة منذ منتصف الألف الثالث ق.م من مهدها وموطنها الأصلي الذي لا يمكن تعيينه بوجه الدقة وانما يمكن تحديده بوجه عام في المناطق الكائنة جنوبي روسية او في منطقة تمتد من جنوب شرقي اوربة عبر الاجزاء الجنوبية من بحر البنط (Pontus) ، ومن اواسط اوربة الى غرب الاورال في الشرق ، والوديان العليا في الانهار الكبرى وهي الفستولا والاوولاد والالية والويزر .

(وكانت تلك الاقوام في دور حضاري من عصور ما قبل التاريخ يعرف باسم العصر الحجري المعدني (Chalcolithic) حيث عرفوا استعمال النحاس والبرونز وكانوا يمتنون

الزراعة وتدجين الحيوان ولكنهم كانوا متنقلين وغير مستقرة الاستيطان بل اشته ما تكون بالسند وكان شغلهم الشاغل الحرب والفروسة ، وقد ساعدتهم الخيول والعربات على التنقل والحرب وكانت كما قلنا تعيش على هيئة قبائل يحكم كل قبيلة رئيس او ملك ينتخبه الرجال من بين الاكفاء المحاربين ومن الاسر النبيلة ، وبساعده في الحكم مجلس شورى من الرؤساء والمحاربين وشرعت هذه القبائل في هجراتها بسبب كثرة السكان وضيق موارد العيش في موطنها الاصلي منذ الألف الثاني ق.م وقد سلكت في هجراتها اتجاهات مختلفة ، ودخل كثير منها اقطار الشرق الادنى بالاضافة الى اوربة ، واقدام تلك الاقوام الحثيون في بلاد الاناضول التي كان يستوطنها اقوام آسيوية هم « الخاثيون » وبدأت تثبت اقدامها منذ منتصف الألف الثاني ق.م ، وتعد اللغة الحثية بلهجاتها المختلفة اقدم اللغات الهندية الاوربية .

وذهبت مجموعات اخرى من القبائل الآرية حول البحر الاسود عبر البلقان الى بلاد اليونان منذ منتصف الألف الثاني ق.م ، وقد قضت على الحضارة المينية التي ازدهرت في جزيرة كريت وغيرها من الجزر وهم الاقوام اليونانية المختلفة في التاريخ كما ذهب فرع مهم آخر الى ايطالية وهم الاقوام اللاتينية (الرومانية) وجاءت قبائل اخرى من الآريين الى شمالي ما بين النهرين الى المنطقة التي كان يستوطنها ما يسمى بالحوريين وهم اقوام آسيوية قديمة ولغتهم ليست من اللغات الهندية الاوربية بل تصنف في عائلة واحدة مع لغة ارمينية القديمة المسماة « اورارطو » وأنشأ هذا الفرع من الاقوام الهندية الاوربية مع الحوريين دولة « ميناني » التي كان حكامها من الآريين واشتهرت هذه الدولة في تاريخ المنطقة وتاريخ العراق القديم فقد بلغت من القوة في القرن الرابع عشر درجة كبيرة بحيث انها فرضت سلطتها على الدولة الاشورية الى ان استطاع الملك الآشورى « آشور - اوبالط » الاول (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق م) ان يخلص بلاد آشور من تسلطها .

١ ومن الهجرات الكبرى التي يجدر ذكرها عن الآريين الاقوام التي ذهبت الى الهند حيث كان يستوطنها الاقوام السود من الدرافيديين بالدرجة الاولى وقضوا على حضارة حضارة وادي نهد السند الشهيرة التي تمثلها المواقع التاريخية « هرا ابا » و « موهنجودارو » وبالنسبة الى موضوعنا دخول الايرانيين الى بلاد ايران اتجهت اقوام اخرى من الاقوام الهندية - الاوربية او الآرية الى بلاد ايران وكانت من القوة بحيث انها حافظت على كيائها القومي واستطاعت بمرور الزمن ان تسيطر على معظم البلاد وتكون لها منذ القرن التاسع كيانات سياسية اشرها الميديون (الماذيون) والفرس الاخمينيون كما سنبين ذلك في الصفحات التالية .

المبحث الثاني:

الدولة الميديّة

اول ما يجدر ذكره عن الدولة الميديّة واحوال بلاد ايران في عهدهما ان مصادرنا عن ذلك قليلة جداً ، وتكاد تنحصر في الاشارات الواردة في مدونات الملوك الآشوريين واقدام ما جاء بنا من ذلك يرقى الى القرن التاسع ق . م ، في اثناء حملاتهم الحربية على بلاد ايسران واتصالهم ببعض قبائلها وفي مقدمتهم الميديون والفرس ، وبالإضافة الى مثل تلك الاشارات التاريخية جاء في تأريخ هيوودنس الشهير (القرن الخامس ق . م) نصف واخبار طريفة عن قيام الدولة الميديّة ، واكثر من ذلك عن الدولة الفارسية الاخمينية التي خلفتها كما جاءت اخبار قصيرة واشارات الى الميديين في مدونات الملوك الاخمينيين ولا سيما في الكتابات الشهيرة التي نقشها الملك دار الاول (٥٢١ - ٤٨٦ ق . م) في وجه الجبل الشاهق في بهستون مما مر ذكره بنا . هذا ولم تجر لحال التاريخ تحريات وتنقيبات مهمة في بعض المدن او الاماكن الميديّة القديمة ولا سيما في بقايا العاصمة الميديّة المسماة « اكبتانا » (همدان) .

فيبدو من الاشارات التاريخية القليلة الواردة في مدونات الملوك الآشوريين من القرن التاسع ق . م أن القبائل الايرانية كانت في حالة التنقل والتجوال في انحاء ايران المختلفة وانها لم تبدأ بالاستقرار الا من بعد اوائل القرن التاسع ق . م . (وان اول اشارة تاريخية مهمة الى القبائل الميديّة والفارسية ما ذكره الملك الآشوري شليمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق . م) في حملاته الحربية على المناطق الجبلية في ايران وجبال زجروس في عام حكمه السادس عشر (اى عام ٨٤٤ ق . م) وعام حكمه الرابع والعشرين (٨٣٦ ق . م) حيث اتصلت الجيوش الآشورية في حملاتها على حملاتها على جهات ايرانية بقبائل ايرانية كبيرة ، وقد ورد ذكر الفرس (فارسوا Parsua) في حملة عام ٨٤٤ ق . م ، والميديين (ماداي Madal) في حملة عام ٨٣٦ ق . م ، ولكن سبق ذكر

القبائل الفارسية في الحملات الآشورية لا يعني بالضرورة ان هذه القبائل سبقت في هجراتها الميديين (الماذيين) ولعله يمكن الاستنتاج من هذه الاشارات التاريخية المهمة ان القبائل الفارسية في هذه الفترة كانت متركزة الى الغرب والجنوب الغربي من بحيرة « اورمية » وان الميديين كانوا في الجهات الجنوبية الشرقية في منطقة اقليم همدان (اكبتانا القديمة) التي اتخذوها عاصمة لهم فيما بعد . ولا يمكن الاستنتاج بالتأكيد على ان التسميتين الواردتين في الاخبار الآشورية تشيران الى اسم قومي ، بل الأرجح انهما اسمان جغرافيان حيث تركّز فيهما اول اسنيطان لاولئك الاقوام الايرانية في منتصف القرن التاسع ق . م . على ان

هذا لا يعني ان هجرات اولئك الاقوام قد انقطعت بالمرة . فالمرجح ان موجة من هذه القبائل استوطنت في حدود ذلك الزمن في شمال العراق وانها فرع من الميديين وان الاكراد كانوا من هذه الموجة بالاستناد الى التشابه اللغوية ما بين اللغة الكردية واللغة الميديية القديمة . وهناك قبائل ايرانية اخرى ورد ذكرها في المصادر المسماة بميثية زكرتو **Zikirtu** .
 السكارتيسون في المصادر اليونانية **Zagratans** وقد استوطنت في الجهات الشرقية الى اطراف تبريز . واتجه فرع من الميديين الى اصفهان حيث صد تقدمه العيلاميون . واتجهت قبائل اخرى الى الشرق وعرفت باسم الاقليم الذي استوطنته (بنو) **Parthva** . ومنهم الفرثيون في التاريخ فيما بعد وقد استوطنت حوالى جهات قزوين .

وتقرأ في اخبار الملك الآشورى شمشي - أدد الخامس (٨٢٣ - ٨١٠ ق م) الذى خلف شليمنصر الثالث انه غزا جهات ايران ودحر أحد رؤساء القبائل الايرانية في الجهات الشمالية من بحيرة اورمية ، واستولى على ١٢٠٠ مدينة من مدنه ، وشير هذا رغم المبالغة الواضحة الى ظهور الحصون والمدن المحصنة عند القبائل الايرانية (١) . وظهرت في حدود مطلع القرن التاسع ق . م دولة قوية في بلاد ارمينية القديمة هي مملكة « اورارطو » وكان النزاع والصراع شديدين بين هذه المملكة والدولة الاشورية ، وقد اتسعت مملكة اورارطو وامتدت الى الشرق من ملتقى فرعي الفرات ويضمن ذلك منطقة بحيرة سيحون وكان الارارطو اصلهم القومي واللغوي قريبن من الحوريين الذين استوطنوا شمالي ما بين النهرين .
 وقد اثر تعاظم هذه المملكة على القبائل الايرانية وحال دون تأسيسهم كيانات سياسية قوية ولكنها كانت في الوقت نفسه تقتبس منهم الحضارة واساليب الحرب كما سببت نوعاً من الصراع العنيف ما بين الدولتين الاشورية والاورارطية حيث ماليت الكفة الى جانب الآشوريين منذ عهد الملك الآشورى القوى « تجلا تيليزر » الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق م) الذى استطاع ان يستعيد جميع الاقاليم التي استولت عليها الدولة الاورارطية من بعد ان دحر ملكها المسمى « سردورس » الثاني (**Sardurus**) . وجرى عدة حملات حربية الى منطقة زجروس ، وهجم على مستوطنات الماذايين الى الشمال الغربي من منطقة همدان وكذلك مستوطنات الفرس ووصلت الجيوش الاشورية الى جبال « ديماوند » الوارد ذكره في الاخبار الاشورية باسم بكني (**Bikini**) .
 والى تخوم البحيرة الملحة الكبرى ، كما ورد في اخبار ذلك الملك الآشورى انه جلب أسرى من الميديين ٦٥٠٠ أسيراً واسكنهم في منطقة ديبالى في حدود الدولة الاشورية .

(وقام في حدود هذا الزمن من بين الميديين (الماذهين) زعيم حربي قوى هو « ديوكو »)
 (Daiku) الذي لا شك في انه نفس الملك الذي ورد في تاريخ هيرودتس باسم
 « ديوكس » (Dioces) وانه كان مؤسس المملكة الميديه (١) ، وقد حالف
 دولة « اورارطو » وعندما اغتلي عرش الدولة الآشورية الملك القوي سرجون الثاني
 (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) الذي اشتهر بقضائه على دولة
 اسرائيل ، ونقل كثيرا من سكانها واسكنهم في بلاد الميديين) وجاء الى العرش
 ملك قوي اسمه « روساس » الاول ، فجرت بينه وبين الآشوريين حروب قاسية استطاع سرجون
 ان يلحق به ضربات ماحقة وأشهرها حملته الثامنة ، واستطاع سرجون ان يحطم حلفا من
 المملكة اورارطو ومن الميديين وملكهم « دياكو » المذكور ويبدو ان سرجون اسره في المعركة ونفاه
 مع اسرته الى حماة في سورية ، ولعله أعيد الى موطنه من بعد ذلك ، واشتهر هذا الملك الذي
 بدأ حكمه في حدود ٧٠٨ ق.م بقوته في الاخبار الآشورية بحيث انهم اطلقوا على عاصمة
 المملكة الماذهية (اكبتانا = همدان) « بيت دياكو » واعقبه عقبه على عرش الدولة الميديه ابنة الوارد
 ذكره في تاريخ هيرودتس بهيئة « فراورطيس » (Phraortes) (٦٥٥ - ٦٣٣ ق.م)
 ولكن يرجح انه اسمه الصحيح هو « خشاثريتا » (Khshathita) الوارد في نقوش الملك
 الفارسي الاخميني دار الاول في بهستون . وقد بلغ هذا مبلغا من القوة استطاع ان يوحد تحت
 حكمه معظم القبائل الميديه ، وصادف حكمه تراخي الضغط الآشوري على بلاد ايراة في عهد
 خليفة سرجون ، اي الملك سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م) بسبب انشغاله عسكريا في بلاد
 بابل وبلاد عيلام وبلاد الشام فحينئذ استمر الميديون في قوتهم في عهد الملك اسرحدون خليفة
 سنحاريب (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) وتم نوع من التحالف بين الدولة الآشورية وبعض الامراء
 الميديين كما جاء ذلك في المعاهدة السياسية التي ابرمها هذا الملك مع رؤساء الاقاليم التابعة
 للامبراطورية في اخذ ولاية العهد لابنه آشور بانيبال وقد وجد نص المعاهدة في تنقيبات البعثة
 الاثرية البريطانية في نمرود « كالح القديمة » في عام ١٩٥٥ ، وبلغ الملك الميدي « خشاثريتا »
 درجة من القوة بحيث ان الملك الآشوري اسرحدون ارسل له رسل صداقة واستطاع ان يضم تحت

(١) يروي هيرودتس (القرن الخامس ق. م) رواية طريفة عن ظهور اول ملك على الماذهين وهو ديوكس السانف
 الذكر فيقول ان المدين كانوا زراعا يعيشون في قرى وليس لهم حكومة مركزية وملك وكان ديوكيس يعيش
 في احدى تلك القرى وقد اشتهر برجاجة العقل النزاهة في اصدار الاحكام بين المتخاصمين مما جعل الناس
 يقصدونه للاحتكام في القرى المجاورة ، ولما رأى ازدحام الناس عليه امتنع عن الاستمرار في القضاء فيما
 بينهم وعندئذ عمت الفوضى بين الناس وكثرت اعتداءات بعضهم على بعض ، فاجتمع الميديون في مجلس شورى
 وعرضوا عليه ان ينصبوه ملكا عليهم ، فانتخب ملكا باكثر الاصوات ولم يكتف ديوكيس بذلك بل انه
 طلب ان يبنى القوم له قصرا خاصا لسكناه ، ولما تم له ذلك تبدلت سيرته وسلك اسلوب الاستبداد والتحكم
 في رعيته .

سلطته معظم القبائل الميدية ، وقبائل اخرى ايرانية اهمها السميرون او الكيميريون (Cimmerians) والاسكيثيون (Scythians) وجعل القبائل الفارسية تابعة له من الذين استقروا منذ نهاية القرن الثامن ق.م في الجهات الجنوبية الشرقية من ايران ، وبلغت الجراة بهذا الملك المادي درجة بحيث انه قرر الهجوم على نينوى . وكان هذا عملا طائشا متسرعا ، فان الاسكيثيين الذين دخلوا في تحالف مع الآشوريين هاجموه من الخلف فبحر في المعركة ومات فيها (عام ٦٥٣ ق.م) ، وعندئذ هجم الاسكيثيين على بلاد مادي وبقيت تحت سلطتهم نحو عشرين عاما (٦٥٣ - ٦٢٥ ق.م) كما يروي المؤرخ اليوناني « هيرودتس » واتجه الاسكيثيين من بعد ذلك بغزواتهم الى الغرب وقلبو لحلفائهم الآشوريين ظهر المجن ونشروا الدمار في بلاد آشور وقد اشتركوا مع « الكيميريين » الذين نجوا من حملات آشور بانيبال فدمروا مدن آسية الصغرى وشمالى سورية وفينيقية ووصلوا الى دمشق وفلسطين .

١ واعقب الملك الميدي « فراوطوس - حشاثرينا » ابنه المسمى « كي - اخسار » (Cyaxares) او « كي خسرو » (Kai - Khosru) ، وكان هذا اعظم الملوك الميديين (٦٣٣ - ٥٨٤ ق.م) وقد تمكن من التخلص من تبعته الاسمية الى الاسكيثيين ، كما فرض سيطرته على بلاد فارس) وقد عمل كي اخسار على تنظيم جيشه وادخل النبالة أي رماة القسي والسهام والمشاة وجعلهما صنفين متميزين ، ومما لا شك فيه اقتبس بعض اساليب القتال من الاسكيثيين الذين امتازوا بسرعة الحركة والمناورة ، وجعل عاصمته الدائمة آكتانا التي تقوم فوق انقاضها مدينة همدان الآن ، والمرجح ان اسمها يعني في المادية « ملتقى الطرق » او مجلس الاجتماع ونقع في واد خصب جميل ، وكان يجمال العاصمة القصر الملكي الواسع ، وبقيت المدينة عامرة الى العهد الفارسي الاخميني والسلوقي وقد نهيت ابان فتح الاسكندر لبلاد ايران .

٢ وبعد ان وطد كي اخسار حكمه في مملكته وجه نشاطه الى غزو الدولة الآشورية من بعد الهجوم الفاشل الذي شنه عليها ابوه من قبل ، ويبدو ان حلفا بينه وبين نبوبولاصر الكلداني (٦٢٧ - ٦٠٥ ق.م) قد عقد وكان نبوبولاصر هذا واليا على بلاد بابل من قبل الملك الآشوري

(١) الاسكيثيون وقد ورد ذكرهم في المصادر الآشورية بهيئة اشكوازي والكيميريين ذكروا باسم كيميـراي من القبائل الايرانية او الهندية الاوروبية الذين انتشروا في هجراتهم عبر القوقاز في القرن الثامن الى بلاد ايران وسببوا اضطرابا كبيرا في هذه المناطق وفي معظم انحاء الشرق الادنى ، وتنسب الى فرسانهم المنقلين ، المجموعات المهمة من الادوات الفنية والحربية المصنوعة من البرونز والتي عرفت باسم برونزيات لورستان حيث وجدت منها مجموعات كبيرة في القبور المنتشرة في المناطق الشمالية من كرمشاه ، وترجع في ازمانها الى القرن الثامن ق.م ، وعثر الفلاحون ايضا على كنوز مماثلة من الحلبي الذهبية والبرونزية في الموضع المسمى سكين الى الجنوب من بحيرة اورمية ، ولعلها كنوز ملكية تعود الى ملوك الاسكيثيين وتحتل برونزيات لورستان مكانة مهمة في معظم المتاحف العالمية ، ويوجد نماذج منها في المتحف العراقي .

آشور بانيبال ولكنه استقل وانسلخ عن تبعية للآشوريين وشارك الملك الميدي الهجوم على الدولة الآشورية . وقد وجه الملك الميدي هجومه على بلاد آشور في عام ٦١٥ ق.م حيث زحف على نينوى ولكنها قاومته مقاومة عنيفة ، فاتجه الى مدينة آشور العاصمة الآشورية القديمة وفتحها ، وهنا اسرع نبوبولاصر للالتقاء بكلي - اخار وابرم الحلف بين بابل وماذى ، وتم بموجبه ترويج نبوخذ نصر ابن نبوبولاصر بحفيدة الملك المادي المسماة « أميتس » . وتعزى الاخبار القديمة سبب فشل كلي أخسار في هجومه الاول على نينوى بان الاسكيتيين صدوه ، ولكن اعيد الهجوم مرة اخرى من جانب الحلفاء في عام ٦١٢ ق.م فسقطت العاصمة المعظمة نينوى والتهمتها النيران ، وانسحبت فلول الجيش الآشوري بقيادة آخر ملوكهم المسمى « آشور اوبالط » الى حران في عام ٦١٠ ق.م ، ولكن تحطم هذا الجيش نهائيا وهكذا زالت من الوجود اعظم امبراطورية عرفها العالم القديم ، وتقاسمت زعامة ذلك العالم اربع دول كبرى هي الدولة البابلية الحديثة والدولة المأذية والدولة المصرية ومملكة ليدية في آسية الصغرى . وغدت الدولة المأذية في عهد كلي - اخسار امبراطورية كبيرة اقتسمت مع الدولة البابلية املاك الآشوريين فشملت بلاد ماذى وفارس وبلاد آشور الى تخوم آسية الصغرى ، ودخلت في حوزة الامبراطورية بلاد بابل وبلاد الشام وفلسطين . بيد ان الامبراطورية التي انشأها كلي - أخسار لم تدم زمنا طويلا من بعده ، وقد خلفه في الحكم ابنه المسمى « استياكز » (Astuages) (واسمه بالايروانية القديمة « ارشتفاكا ») Arishtivaiga (ومعناه رامي الرمح) الذي كان آخر ملوك المأذيين حيث انتقل حكم بلاد ايران من بعده الى الفرس الاخميني (في حدود ٦٠٠ ق.م) ، وكان استياكز جد الملك الفارس الاخميني لامه كور ش الاكبر الذي انتزع منه الحكم على ما سنين ذلك فسي الفصول الآتية . وتنسب الاخبار القليلة ولا سيما اخبار هيرودتس الى الملك المأذي الاخير استياكز انه اسرف في التبذير وحياة الدعة والبذخ ، وترك في عهده الميديون المتقشفون الاشداء حياة الخشونة والتقشف ، وهكذا كانت حياة المملكة المأذية قصيرة الامد ، فلم تساهم من الناحية الحضارية مساهمة كبيرة في تاريخ الحضارات القديمة ، على ان الميديين اثروا تأثيرات كبيرة في الفرس الاخمينيين ورجح انهم اخذوا عنهم بعض العناصر الفنية المعمارية وفي مقدمتها الاعمدة ، كما انهم اقتبسوا بعض طرق الادارة والتنظيمات الادارية من الآشوريين ، مثلما تأثر بها الفرس الاخمينيون الذين اعقبوا المأذيين في حكم ايران .

والجدير بالتنويه في ختام كلامنا على المأذيين ان قبورا في بعض الكهوف في شمالي العراق في منطقة السليمانية يرجح ان بعضها تعود الى المأذيين وان احدها قبر ملكي مثل الكهف المسمى « اشكوتي قزقيان » والكهف المسمى « كروكج » (كهف البنت والولد) الكائن في وجه الجبل خلف قرية شرناخ ، ويرى الباحث الاستاذ كميون بانه قبر الملك المأذي « فراطورس »

« ديوكسن » وابو « كي - اخسار » وجدت ايضا قبور جبلية للميديين بالقرب من « سري - بول » السفوح الغربية من جبال زجروس وهي كذلك منحوتة في الجبال وزينت واجهاتها بالنحت من المشاهد الدينية .

والى هذه الآثار الميدية القليلة تفيدنا بعض المنحوتات الآشورية في تصوير الازياء المبدية نحت في بعضها اشخاص عاديون وهم ملتحمون وذووشوارب ، وتغطي البستهم جلود من حيوانات ويرتدون احذية عالية واطرافها الامامية معقوفة الى الاعلى . كما ان الآثار البروتزية مبسطة التي عثر عليها في سقيز ترينا بعض الجوانب المهمة من الفن الميدي وفيه تأثيرات من الحضارات القديمة ، وننهي هذه الملاحظات الوجيزة عن القطع القليلة التي جاءت البنا الفن الميدي بذكر نحت ضخم يمثل اسدا بالحجم الكبير وجد في عاصمتهم اكبثانا (همدان) .

القسم الثاني
تاريخ ايران في العهد الاخميني
والى
مطلع العهد السلوقي

الفصل الثاني

الدولة الفارسية الاخمينية

المبحث الاول

قيام الدولة على يد مؤسسها كورش الثاني - حملاته

المسكينة على ليدية (الاناضول) وبابل

سبق ان نوهنا كيف ان مصادرنا عن تاريخ الفرس القديم قليلة جدا وتعتمد بشكل رئيسي على الاشارات المتناثرة في الكتابات الملكية الآشورية والبابلية ، مضافا اليها ما كتبه المؤرخون اليونانيون عن التاريخ المذكور . ومن الجدير بالذكر هو اننا لانستطيع الاعتماد كلياً على مادونه اليونانيون عن الفرس ، لان معلوماتهم متضاربة وتحتوى على الكثير من الخيال .

ان اقدم ذكر للفرس كما مر بنا سابقا ظهورهم في النصوص المسمارية الآشورية التي تعود بتاريخها الى القرن التاسع قبل الميلاد . حيث ذكرنا ان كتابات الملك شلمنصر الثالث ٨٥٨ - ٨٢٤ ق م قد اشارت الى انهم كانوا يسكنون آنذاك المنطقة المسماة « بارسوا - Parsua » الواقعة الى الجنوب الغربي لبحيرة اورمية .

وفي حدود ٨٠٠ ق م هاجر الفرس من منطقة « بارسوا » بسبب ضغط الاورارطيين عليهم ، وساروا باتجاه الجنوب وسكنوا المنطقة المسماة « سقّيز - Saqqax » وهي حالياً في منطقة « ايران - كردستان » . ومع هجرتهم هذه فان خضوعهم للآشوريين قد اسكر حتى في منطقتهم الجديدة . اذ يبدو واضحاً من كتابات الملك الاشورى سرجون الثاني ٧٢١ - ٧٠٥ ق م ان الفرس كانوا حتى عام ٧١٤ ق م لا يزالون خاضعين للسيادة الاشورية .

هذا وان المعلومات المتوفرة تشير الى ان القبائل الفارسية قد سكنت في حدود ٧٠٠ ق م السهول الممتدة على طول جبال بختياري . وفي هذه السهول القريبة من منطقة عيلام استقرت القبائل المذكورة دولتها الاولى وكانت تسمى « بارسوماش - Parsumas » .

وان المعلومات المتناثرة عن تأسيس الفرس لدولتهم الاولى تؤكد ان ذلك قد حدث بعد اتحاد القبائل الفارسية في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد . وتزعم هذه الدولة رجل كان

اسمه على اغلب الظن « اخمينس - Achaimenes » (١) ونسبة

الاخمينيين هي نسبة لأسم هذا الملك . ومن المحتمل جدا ان فترة حكم هذا الملك كانت ما بين الربع الاخير من القرن الثامن وحتى بداية القرن السابع قبل الميلاد . ويعتقد كذلك بان مقر حكم الملك اخمينس كان يقع ضمن سهول جبال بختياري وبعد مسافة ٤٠ كم من « شستر Sustar » (٢) . وبعد تأسيس

لدولة الفارسية بفترة قصيرة بدأ الفرس بالنسّل الى منطقة عيلام ، فاخضعهم العيلاميون الى سلطتهم . اذ ان النصوص الملكية العيلامية في القرن السابع قبل الميلاد اشارت الى دفع القبائل الفارسية الجزية لحكام سوسة عاصمة العيلاميين . وان دل هذا على شيء فانما يدل على دخولهم خلال الفترة المذكورة تحت السيادة العيلامية وتمردهم على السلطة الاشورية . ومما يؤكد ذلك هو ان الفرس قد دخلوا عام ٦٩١ ق . م

بابلين والاراميين في تحالف مع ملك عيلام « خمبان نيمينا Humban Nimena » الذي ورد في النصوص الاشورية بصيغة « اومان مينانو - Umman Minanu »

حاربوا سوسة الملك الاشوري سنحاريب في الموقع المدعو « خالولة - Halule » الذي يقع بالقرب من مدينة سامراء الحالية . هذا ويبدو من الاشارات الخاصة بالفرس ان رجلا كان يدعى « جشيش - Cispis » قد خلف الملك اخمينس

على حكم الدولة الفارسية . وفترة حكمه كانت في حدود ٦٧٥ - ٦٥٠ ق . م . وقد يد اسم هذا الملك في النصوص اليونانية بصيغة « تيسبس - Teispes » .

كان جشيش ايام حكمه تابعا الى الملك الميدي « فراورطيس - Phraortes » هذه الحقيقة تشير الى ان الدولة الميديّة اخذت تضم تحت سلطانها اتباع الدولة العيلامية . ومع ذلك فقد وقعت الدولة الميديّة ايام الملك فراورطيس تحت سيادة الاسكيثيين .

ما حفز ذلك الملك الفارسي جشيش على احتلال منطقة « فارس - Parsa » التي كانت مشكونة في السابق من قبل العيلاميين .

الف الملك جشيش ولدين . الاول يدعى كورش ، الذي ندعوه في كتب التاريخ بكورش اول . والثاني « ارياراما - Ariyarama » . وبعد وفاة والدهما ، صار

(ورد هذا الاسم في كتابات بهستون .

(شستر وهو كهف من الكهوف الاثرية في جبال بختياري . تم الكشف عن هذا الكهف عام ١٩٤٩ م . انظر :

R. Chirshman, Iran, p.27.

كورش الاول ملكا على منطقة «بارسوماش» وذلك في حدود ٨٥٠ - ٦٠٠ ق م .
 اما اخوه الصغير «اربارامنا» فيعتقد انه صار ملكا على منطقة فارس التي تمكن والده من
 احتلالها على أثر دخول الميديين تحت سلطان الاسكيثيين . غير ان مسألة تولي اربارامنا
 العرش على منطقة فارس امر لم يثبت صحته حتى الوقت الحاضر . اذ ان اللوح الذهبي
 المدون بالخط المسماري الاخميني والذي يحتوى على القاب الملك اربارامنا شكوك في اصلته
 وانه قد اكتشف بطريق الصدفة في همدان . هذا وبسوء النصوص الاشورية بان الملك
 كورش الاول قد تحول في ولائه نحو الاشوريين . اذ انه ارسل اثناء هجوم الملك اشور
 بانيبال على دولة عيلام ، عام ٦٤٢ ق م ابنه «اركو» - **Arsama** مع
 بعض الهدايا الى مدينة نينوى رمزا لولائه لهذا الملك . غير ان الميديين
 قد تمكنوا ابام حكم ملكهم المدعو «كياخار» - **Kyaxares** خلال النصف
 الاخير من القرن السابع قبل الميلاد من جعل بلاد ايران كلها تحت زعامتهم . وخاصة
 بعد ان تمكن الملك المذكور من خلال تحالفه مع البابليين من القضاء على الامبراطورية
 الاشورية واحتلال العاصمة نينوى عام ٦١٢ ق م .

وبعد وفاة الملك كورش الاول خلفه في الحكم ابنه قمبيز . اما اخوه الصغير اربارامنا
 فيفترض على ابنه «ارشاما» - **Arsama** قد صار من بعد وفاته
 ملكا على الجزء الشرقي من بلاد فارس . ويعتقد المؤرخون في الوقت الحاضر بان قمبيز
 قد اخذ السلطة من الملك ارشاما ووجد ايسران تحت زعامته . وبعد وفاة الملك قمبيز
 جاء الى حكم الدولة الفارسية الاخمينية ابنه كورش الثاني الملقب بكورش الكبير .

كورش الثاني ٥٥٨-٥٢٠ ق م :

كان كورش في السنوات الاولى من حكمه تابعا للملك الميدي استياجز ابن الملك كباخوس
 ولكن تبعته هذه استمرت ثمان سنوات فقط حيث ثار من بعدها بوجه الملك الميدي (١)

(١) يروي هيرودتس في تاريخه (الكتاب الاول الفقرة ١٠٧ فما بعد) رواية طريفة عن علاقة كورش الاول بآخر
 ملوك الميديين اي استياجز بانه كان ابن ابنته المسماة مندادة التي لم يشأ ان يزوجها من احد الامراء
 الميديين لانه رأى حلما فسره المجوس ان ابنها سيأخذ منه العرش ولذلك زوجها من احد الامراء الفرس
 التابعين له وهو قمبيز ومع ذلك فان نذر الاحلام استمرت في تحذير استياجز ان ابن ابنته من الامير الفارسي
 سينتصب منه العرش فقرر ان يقضي على الطفل الوليد فكلف احد قواده المسمى هرباخوس ان يتولى قتل
 الطفل ولكن هذا رقى له وصادف ان ولدت زوجته ابنا ميتا فأخذه بدلا عن الطفل كورش ورماه في البرية
 فترى كورش في بيت القائد ولكن الملك الميدي اكتشف الخدعة فانتقم من قائده هرباخوس وارسل كورش
 الى امه وايه في مقاطعة فارس ، ويروي هيرودتس ان كورش ثار من بعد ذلك على جده لانه بتحريض
 هرباخوس واستطاع انتزاع الملك منه .

سكن في عام ٥٥٠ ق. م من احتلال بلاد ميديّة . هذا وان المعلومات المتوفرة عن هذا الاحتلال
ير الى ان كوروش الثاني قد سلب خزائن قصور العاصمة الميديّة اكبتانة ونقلها الى مقر حكمه
مدينة « بزر كادة » واخذ معه ايضا الملك استياجز اسيرا . واطافة الى ذلك فقد بد
رش بلقب نفسه بلقب الملوك الميديين ، مما دعى ذلك الشعب
خرى مثل اليونان والمصريين وغيرهم ان يدعوا الاخمينيين بالميديين .

بناء على ذلك يمكننا ان نقول بان الدولة الفارسية الاخمينية قد خرجت في هذه
رة بالذات من عصرها المظلم عصر التبعية وظهرت على مسرح التاريخ . اذ ان كوروش لم
ن بأحتلاله لبلاد الميديين بل استمر في احتلال جميع المناطق التي كانت تابعة الى الدولة
ية . واحتل المنطقة التي سكنها الفريوني ، ومن بعدها على ما يبدو قد سيطر على جميع
لق الواقعة الى الشرق من بلاد ميديّة .

و بعد هذه الانتصارات التي حققها كوروش الثاني توجه بانظاره لاحتلال بلاد ليديّة في القسم
ني من (بلاد الانضول) ، وقد تم له ما اراد عام ٥٤٦ ق. م . هذا وبدوا ان احتلاله لبلاد
كان سريعا بحيث ان حلفاء ليديّة ، وهم البابليون والمصريون واسبارطة لم يتمكنوا من تقديم
عدة لها . ويظهر من الاخبار اليونانية ان كوروش الثاني قد غامل ملك ليديّة قارون (كرويسس -
Croesus) معاملة حسنة بينما الاخبار البابلية تؤكد على ان كوروش قد حكم
على الملك كرويسس وسمح لجنوده بنهب العاصمة الليديّة « سارديس - Sardes » .
م من اختلاف الروايات حول هذا الموضوع الا انها تتفق على ان كوروش الثاني قد سلب
السكان الليديين وجلبها الى خزينة دولته . وبعد ان حقق ذلك توجه لاحتلال المدن
ية الواقعة في آسيا الصغرى القريبة من ليديّة .

افة الى ذلك فقد استطاع كوروش بين عامي ٥٤٥-٥٣٩ ق. م من السيطرة على بلاد
ستان واقليم سيجون وجيحون وقنندهار وبذلك وصلت حدود الدولة الاخمينية حتى الحدود
لية الغربية لبلاد الهند .

واستنادا الى الاخبار اليونانية توجه كورش الثاني لاحتلال مدينة بابل بعد هذه الفتوح التي حققها في اواسط آسية . اما المصادر البابلية فتشير الى ان كورش قد توجه لاحتلال مدينة بابل مباشرة بعد احتلاله بلاد ليدية . وهذه المعلومات اوردها المؤرخ البابلي « بيروسس - Berossus » ، الذي عاش في مطلع القرن الثالث ق . م ويبدو ان معلوماته تعتمد على المصادر البابلية الاصلية التي دونت ايام احتلال كورش لمدينة بابل وذلك لانها قريبة في مضمونها الى كتابات كورش الثاني نفسه . وعليه فان اخباره اكثر امانة من كتابات هيرودوتس عن احتلال مدينة بابل ، تلك الكتابات التي لا يعتمد عليها كثيرا ويصعب علينا تصديقها .

يذكر هذا المؤرخ البابلي بان الجيش الاخميني قد تقابل في شهر آب من عام ٥٣٩ ق . م مع الجيش البابلي في مدينة اوسس الواقعة على نهر دجلة . وقتل خلال المعركة ابن الملك البابلي نبونيد المدعو « بيل - شار - اوصبو » الذي كان على رأس الجيش البابلي . وبعد هذه المعركة التي قتل فيها ابن الملك نبونيد لم تحصل معارك كبيرة اخرى . حيث ان قائد الجيش الاخميني المدعو « كوبرياس - Gobryes » قد استولى على مدينة سبار في العاشر من شهر تشرين الاول من العام نفسه ودخلها من دون قتال . وبعد يومين من هذا التاريخ احتل مدينة بابل واخذ الملك نبونيد اسيرا معه . وفي ٢٩ تخذت من الاول دخل الملك كورش الثاني الى مدينة بابل .

ان معلوماتنا عن هذا الموضوع تشير الى ان كورش الثاني قد اتهم الملك نبونيد بعدم احترامه لالهة بلاده . وسبب هذه التهمة يرجع الى ان الملك نبونيد قد قام بكل المحاولات الممكنة لصد خطر الاخمينيين الذي كان يواجه مملكته . فعمل جاهدا على توحيد القبائل الارامية . وارضاء لهذه القبائل فقد أدخل طقوس اله القمرسين الى مدينة بابل . وبني لهذا اله معبدا في بابل وحران ، فخلق ذلك تدمراً لدى كهنة مدينة بابل مما جعل كورش الثاني يستغل هذا التدمر ويوجه مثل هذه التهمة الى نبونيد بعد احتلاله لبابل .

وقد قام كورش ارضاء لاهل بابل وكهنتها باعادة تماثيل الالهة الرئيسة لبابل الى معابدها الخاصة . كما كان يقوم بتقديم القرابين الى الاله « مردوخ » ، الاله الرئيسي لمدينة بابل . وزيادة على ذلك فان المعلومات المتوفرة تشير الى ان كورش كان يرسل رداة الخاص ليلبسه ممثله في بابل اثناء احتفالات عيد رأس السنة البابلية .

وتذكر من اعمال كورش الاخرى في مدينة بابل معاملته الحسنة للأسرى صبح الموجودين

فيها حيث سمح لهم بالعودة الى بلادهم . الا ان بعضا من المؤرخين يؤكدون على ان هذا التسامح لم يشمل جميع الاسرى وانما شمل اليهود فقط وذلك لأنهم كانوا يمثلون الطابور الخامس لكوروش في مدينة بابل . وأنهم اى اليهود قد عملوا بكل ما لديهم من الاساليب الخبيثة على اسقاط الحكم البابلي . ومع ذلك فان الاخبار جميعها تؤكد ان كوروش الثاني قد عامل سكان مدينة بابل معاملة حسنة ولم يغير في علاقاتهم العامة واحوالهم الاقتصادية ولم يغير كذلك النظام الاداري في بابل وعلى ما نعتقد ان سبب ذلك يرجع الى انه كان نظاما متكاملا .

هذا وقد لقب كوروش نفسه بلقب « ملك البلدان وملك بابل » كما أنه عين واحدا من اهل مدينة بابل يدعى « نابو - اخي - بولط » حاكما عليها . غير ان السلطنة الحقيقية كانت بيد قمبيز الثاني كان يقيم في بابل . وقد منح الملك كوروش ابنه قمبيز عام ٥٣٠ ق . م لقب « ملك بابل » بعد ان اختار لنفسه لقب « ملك البلدان » . وهذه الحقيقة قد وردت في النصوص البابلية بالصيغة التالية :

kam - bu - zi - ia - sar - babilī ina u - mu - mu -
su - ma - ku - ra - as - abu - su - su sar matati

وترجمتها : - في ايام قمبيز ملك بابل ، كان كوروش الثاني ، ابو ، ملك البلدان هذا وقد استطاع كوروش في عام ٥٣٥ ق . م من توحيد بلاد ما بين النهرين وسورية وفلسطين ومن ثم توجه لاختضاع الاسكيثيين ومن بعدهم قاتل قبائل الساجا البربرية عبر نهري شيوخ وجيحون . وفي اواخر عام ٥٣٠ ق . م فشل كوروش في احدى معاركه ضد القبائل المذكورة ولقي حتفه هناك ويعتقد انه خسر في هذه المعارك ٢٠٠,٠٠٠ جندي . اما اخبار زينفون فتذكر ان كارش الثاني قد مات موتا طبيعيا وهو في قصره . والواقع ان الاخبار متضاربة حول موت الملك كوروش .

المبحث الثاني

اتساع الدولة الاخمينية في عهد قمبيز ودارا الاول

تنظيمات دارا السياسية والادارية

قمبيز الثاني ٥٣٠-٥٤٢ ق . م .

(في شهر آب من عام ٣٥٠ ق . م توج قمبيز ملكا على الدولة الاخمينية . وبعد خمس سنوات من توليه الحكم توجه لاحتلال مصر ، وكان ذلك في عام ٥٢٥ ق . م . لان والده كوروش

الثاني كان واضعا في خطته فكرة السيطرة على بلاد مصر . وعندما اقترب الجيش المذكور من الجيش المصري تخلي اليونانيون والليبيون العاملون في الجيش المذكور كمرتزقة عن مسؤولياتهم وسلموا انفسهم للجيش الاخميني . وزير سادة على ذلك

فان قائد الجيش اليوناني « فانيس » Phanes

الذي كان في خدمة الفرعون المصري بسماتيك الثالث قد سلم نفسه ايضا الى الملك قمبيز . وبعد هذه الانشقاقات التي حصلت في الجيش المصري تمكن الجيش الاخميني من ابادته القوات المصرية بحيث ان قائد القوة البحرية المصرية قد سلم نفسه واسطوله من دون قتال الى الملك قمبيز .

وفي ٢٩ مايس (ايار) من عام ٥٢٥ ق . م توج قمبيز ملكا على بلاد مصر فكون بهذا التتويج السلالة ٢٧ من السلالات الفرعونية . هذا ويبدو من الكتابات المصرية نفسها ان قمبيز قد عامل بلاد مصر معاملة حسنة وقد ساير خلالها التقاليد والشعائر المصرية ، بحيث ان تتويجه ملكا على مصر قد جرى وفق الطقوس الدينية المصرية . كما انه امر باستمرارية استخدام التقويم المصري . وازضافة الى ذلك فقد لقب نفسه بلقب « ملك مصر ، ملك البلدان وسليل رع و « اوسيرس » . وعمل كذلك على تقديم القرابين المنتظمة الى الالهة المصرية .

هذا ويبدو من نفس الكتابات المصرية ان قمبيز لم يحاول اطلاقا احداث أية تغييرات كانت في حياة مصر السابقة ، اذ تشير الكتابات الى ان قمبيز قد سلك اثناء حكمه في مصر نفس السياسة التي كانت متبعة من قبل السلالة ٢٦ التي كانت تحكم مصر قبل احتلاله لها . حتى انه لم يحاول تغيير الزي المصري للملك . اذ صور الملك قمبيز في احدى المشاهد المصرية وهو يرتدي اللباس المصري . وازضافة الى ذلك فقد عين قمبيز موظفا مصرية كبيرا على ادارة البلاد وكان الموظف يصف نفسه في الكتابات المصرية على انه اليد اليمنى للملك قمبيز .

(ان تتويج قمبيز ملكا على القطر المصري قد دعى الكتاب المصريون الى تأليف الاساطير الملفقة بغية منحه صفة شرعية لأن يكون ملكا على مصر ، حيث اشارت احدى هذه الاساطير الى أن كورش الثاني قد تزوج من الاميرة المصرية « نيتيتس » Nitetis ابنة الملك

المصري « ابريس » Apries وان الملك قمبيز الثاني قد ولد من هذه الزيجة) وعليه فهو من اصل مصري . ومثل هذه القصص المصرية هي التي دفعت المؤرخ « كتيسياس » Ktesias الى ان يرفض ما ذكره هيرودوتس وزينفون عن زواج الملك قمبيز الاول من « مندانة » ابنة الملك الميدي استياجز وان كورش الثاني كان نتيجة لهذا الزواج (١) كما ذكرنا .

(١) انظر حول تفاصيل قصة هذا الزواج : الاستاذ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الثاني الطبعة الثانية (١٩٥٥) ، ص ٣٩٩-٤٠٣ ، ورواية هيرودوتس في الكتاب الاول ، الفقرة ١٠٧ فما بعد

ويعتقد هؤلاء المؤرخون اليونانيون بان صلة القرى هذه بين كورش الثاني واستياجز هي التي دعت له لمعاملة استياجز معاملة حسنة عند احتلاله بلاد مديدة . وبعد احتلال الملك قمبيز للقطر المصري بدأ يخطط لارسال حملتين في آن واحد . الاولى كانت تقصد واحة « آمون » الموغلة في بادية طرابلس للسيطرة على الطريق المؤدي الى ليبيا . ويبدو من اخبار هيرودوتس بان الجيش الاخميني قد اخفق في احراز نتيجة مهمة بسبب العواصف الرملية الكثيفة .

اما حملته على الحبشة فقد قادها بنفسه وكانت بدايتها ان قام بتقوية المدن الواقعة على طريق الحملة . واثناء تقدمه تشير الاخبار الى انه قد زار مدينة اسوان . واستنادا الى الرواية التي ذكرها هيرودوتس لم تكن الحملة التي جهزها قمبيز كاملة الاستعدادات بل كانت تعاني من نقص في المؤن . وازضافة الى ذلك فان جيشه قد قابل وهو في طريقه الى الحبشة مجموعة من الزنوج آكلي لحوم البشر ، ولذلك فقد اضطر قمبيز على ان يتخلى عن غايته . ومما يؤيد صحة اخبار هيرودوتس حول فشل هذه الحملة هو ان الحبشة لم تخضع للحكم الاخميني الا في زمن الملك دارا الاول .

وفي نهاية عام ٥٢٤ او بداية عام ٥٢٣ ق . م عاد قمبيز الى مدينة منفس بعد فشل حملته في الحبشة . وقد اخمد في رجوعه الثورة التي نشبت في المدينة المذكورة ضد السيطرة الاخمينية وحكم على الملك المصري بسماتيك الثالث بالموت .

وفي شهر آذار من عام ٥٢٢ ق . م بلغته اخبار ثورة اخيه « بارديا » الذي عين نفسه ملكا على الدولة الاخمينية . فقرر قمبيز العودة الى بلاد فارس الا انه مات وهو في طريق عودته . ويعتقد بعض المؤرخين بان قمبيز مات مسموما بتدبير من الملك دارا الاول .

الملك الدعي بارديا ٥٢٢ ق . م :

تشير الاخبار والمعلومات المتناولة الخاصة والتاريخ الاخميني الى ان الملك قمبيز الثاني قد دبو قبل احتلاله مصر امر اغتيال اخيه بارديا ، وذلك بسبب اشتراكه في الثورات التي نشبت في السنوات الاولى من حكم قمبيز . وتشير نفس هذه المعلومات الى ان الشخص الذي ثار على

الملك قمبيز اثناء وجوده في مصر هو رجل غريب عن البيت الحاكم يدعى « كوماتا » Gaumata المجوسي ولكنه كان يشبه بارديا () وقد استطاع هذا الدعي ان يستولي على الحكم

واعلن نفسه ملكا عام ٥٢٢ ق . م . وان معظم الولايات الاخمينية قد اعترفت بهذا الدعي ، الذي ارضى الجماهير بان اعفاهم من الضرائب مدة ثلاثة سنوات . غير ان الشخص الذي انقد

البلاد من حكم هذا الدعي كما تشير المعلومات السابقة كان الملك دارا الذي كان آنذاك حاكما على ولاية بلاد الفرتيين . والحقيقة ان المؤرخين اليونانيين وغيرهم لم يوضحوا اطلاقا هل ن

دارا قد قتل فعلا شخصا دعيا كان اسمه كوماتا المجوسي ، او انه قتل بارديا ابن كورش الثاني واخ الملك قمبيز ، فان اخبارهم متضاربة بهذا الخصوص . وازضافة الى ذلك فلوراجعنا جميع المصادر الخاصة بمقتل بارديا فاننا لانجد ان اخاه قد قتله ، ولا نستطيع كذلك ان نحدد الفترة التي قتل فيها . غير ان الشيء الذي يلفت الانتباه هو ان هذه المصادر قد اكدت ان الدعي «كوماتا» المجوسي كان كثير الشبه في بارديا كما ذكرنا وبسبب هذا الشبه الموجود بين بارديا وكوماتا المجوسي اعتقد عدد من المختصين بالتاريخ الاخميني ان دارا قد ثار على بارديا الحقيقي بعد ان انكر شخصيته ووصفه بأنه الدعي كوماتا المجوسي . ويرر نكرانه لشخصية بارديا حقيقة ادعائه بان كوماتا المجوسي يشبه بارديا شبا كبيرا بحيث لا يمكن التمييز ما بينهما وعليه فيظهر ان كوماتا المجوسي كان شخصية وهمية لا وجود لها وقد فرضت على باردا حتى يرر دارا ثو ته عليه . لان «بارديا» وأخاه قمبيز كانا يتمتعان بجماهيرية عالية لكونهما ابناء الملك كورش الثاني مؤسس الامبراطورية الاخمينية . وبسبب ما تقدم يبدو ان الشخص الذي ثار على قمبيز اثناء وجوده في مصر هو اخوه بارديا وليس المدعو كوماتا المجوسي . ويبدو ايضا بان استيلاء بارديا على العرش الاخميني لم يأت من رغبته الحقيقية في الثورة على اخيه . وانما جاء من شعوره بوجود مؤامرة داخلية استغلت غياب الملك قمبيز عن البلاد واستغلت كذلك فشل حملاته على واحة آمون والحيشة ، فاستبق بارديا هذه المؤامرة باستيلائه على مقاليد الحكم . وقد يجيز كذلك ان بارديا لم يثر على اخيه اطلاقا وان انباء ثورته التي وصلت الى الملك قمبيز هي اخبار ملفقة وتمثل حلقة في سلسلة المؤامرة التي وضعها دارا للوصول الى الحكم اذ ان بعض النصوص البابلية التي جات من زمن هذا الملك تذكر بارديا على انه ملك بابل ولكن الحقيقة تستوجب ان نذكر بان هناك نصوصا اخرى بابلية وصفته بملك البلدان . غير ان الاحتمال ممكن بان تكون هذه النصوص ملفقة ايضا .

وعلى كل حال فان الفقرة التي يعتقد بان بارديا قد قضاها ملكا على الدولة الاخمينية كانت قصيرة جدا ودامت من ١١ آذار - الى ٢٩ ايلول من عام ٥٢٢ ق . م .

الملك دارا الاول ٥٢٢-٤٨٦ ق . م :

(لقد تبين من حديثنا عن الملك بارديا أن دارا قد اعد خطة محكمة استطاع بواسطتها القضاء على بارديا وعلى اخيه قمبيز ايضا) والحقيقة ان هذه الخطة لم تنفذ من قبل دارا وحده بل تشير كتابات المؤرخين اليونانيين وكتايات دارا نفسه الى ان ستة آخرين من نبلاء الفرس قد ساعدوه في تنفيذ هذه الخطة . ومما يؤكد ان ثورة دارا كانت موجهة ضد بارديا ، وان كوماتا المجوسي عل ما يبدو شخصية وهمية ابتدعتها خطة دارا تلك الثورات التي قامت بها جميع ولايات الامبراطورية الاخمينية في وجه دارا ، في حين ان هذه الولايات قد ايدت كوماتا

دارا قد قتل فعلا شخصا دعيا كان اسمه كوماتا المجوسي ، او انه قتل بارديا ابن كورش الثاني واخ الملك قمبيز ، فان اخبارهم متضاربة بهذا الخصوص . واطافة الى ذلك فلوراجعنا جميع المصادر الخاصة بمقتل بارديا فاننا لانجد ان اخاه قد قتله ، ولانستطيع كذلك ان نحدد الفترة التي قتل فيها . غير ان الشيء الذي يلفت الانتباه هو ان هذه المصادر قد اكدت ان الدعي «كوماتا» المجوسي كان كثير الشبه في بارديا كما ذكرنا وبسبب هذا الشبه الموجود بين بارديا وكوماتا المجوسي اعتقد عدد من المختصين بالتاريخ الاخميني ان دارا قد ثار على بارديا الحقيقي بعد ان انكر شخصيته ووصفه بأنه الدعي كوماتا المجوسي . ويرر نكرانه لشخصية بارديا حقيقة ادعائه بان كوماتا المجوسي يشبه بارديا شبا كبيرا بحيث لا يمكن التمييز ما بينهما وعليه فيظهر ان كوماتا المجوسي كان شخصية وهمية لا وجود لها وقد فرضت على باردا حتى يرر دارا ثورته عليه . لان «بارديا» وأخاه قمبيز كانا يتمتعان بجماهيرية عالية لكونهما ابناء الملك كورش الثاني مؤسس الامبراطورية الاخمينية . وبسبب ما تقدم يبدو ان الشخص الذي ثار على قمبيز اثناء وجوده في مصر هو اخوه بارديا وليس المدعو كوماتا المجوسي . ويبدو ايضا بان استيلاء بارديا على العرش الاخميني لم يأت من رغبته الحقيقية في الثورة على اخيه . وانما جاء من شعوره بوجود مؤامرة داخلية استغلت غياب الملك قمبيز عن البلاد واستغلت كذلك فشل حملاته على واحة آمون والحيشة ، فاستبق بارديا هذه المؤامرة باستيلائه على مقاليد الحكم . وقد يجوز كذلك ان بارديا لم يثر على اخيه اطلاقا وان ابناء ثورته التي وصلت الى الملك قمبيز هي اخبار ملفقة وتمثل حلقة في سلسلة المؤامرة التي وضعها دارا للوصول الى الحكم اذ ان بعض النصوص البابلية التي جات من زمن هذا الملك تذكر بارديا على انه ملك بابل ولكن الحقيقة تستوجب ان نذكر بان هناك نصوصا اخرى بابلية وصفته بملك البلدان . غير ان الاحتمال ممكن بان تكون هذه النصوص ملفقة ايضا .

وعلى كل حال فان الفقرة التي يعتقد بان بارديا قد قضاها ملكا على الدولة الاخمينية كانت قصيرة جدا ودامت من ١١ آذار - الى ٢٩ ايلول من عام ٥٢٢ ق . م .

الملك دارا الاول ٥٢٢-٤٨٦ ق . م :

(لقد تبين من حديثنا عن الملك بارديا أن دارا قد اعد خطة محكمة استطاع بواسطتها القضاء على بارديا وعلى اخيه قمبيز ايضا) والحقيقة ان هذه الخطة لم تنفذ من قبل دارا وحده بل تشير كتابات المؤرخين اليونانيين وكتابات دارا نفسه الى ان ستة آخرين من نبلاء الفرس قد ساعدوه في تنفيذ هذه الخطة . ومما يؤكد ان ثورة دارا كانت موجهة ضد بارديا ، وان كوماتا المجوسي عل ما يبدو شخصية وهمية ابتدعتها خطة دارا تلك الثورات التي قامت بها جميع ولايات الامبراطورية الاخمينية في وجه دارا ، في حين ان هذه الولايات قد ايدت كوماتا

المجوسي . لان كوماتا المجوسي هو باردبا نفسه ، أي انه من صلب البيت الحاكم ، ذلك البيت
الذي تمكن من تحرير الفرس من نير التبعية وكون لهم الامبراطورية الاخمينية المتوامة الاطراف .
من اولى الثورات التي قامت بوجه دارا الثورة التي نشبت في ميلام وتلتها ثورة اخرى
في ولاية « ماركيانا » غير ان هذه الثورة قد قضى عليها في الابل اما الثورة « نيدنتوبيل » البسدي
سمى نفسه نبوخذ نصر الثالث . **Nidintu Bel**

هذا وان ثورتي عيلام وبابل صارتا سببا في قيام بقية الثورات على الملك دارا . والحقيقة
ان من اخطر هذه الثورات واهمها بالنسبة للملك دارا كانت الثورة التي نشبت في بابل . لان
انفصال بابل عن جسم الامبراطورية الاخمينية صار سببا في فصل كل الولايات الواقعة في
الجهة الغربية من الامبراطورية المذكورة . ولهذا السبب فقد جهز دارا حملة كبيرة على بابل وقاد
هذه الحملة بنفسه . وفي اليوم الثالث عشر من شهر كانون الاول من عام ٥٢٢ ق . م تمكنت
قوات الملك دارا من عبور نهر دجلة واتجهت نحو مدينة بابل . وعند موقع يدعى « ززنا - **Zazana**
وقعت المعركة بين الجيشين الاخميني والبابلي وكان النصر فيها الى جانب الاخمينيين ، وأخذ
على اثرها الثائر البابلي نيدنتوبيل .

وبينما كان دارا في مدينة بابل حدثت ثورات اخرى في بلاد فارس وبلاد ميديا واشور
وسورية وعدد آخر من الاقطار . وازضافة الى ذلك فان المعلومات المتوفرة تؤكد على ان بابل قد
ثارت مرة اخرى بقيادة شخص اسمه « اركسا - سمي نفسه نبوخذ نصر الرابع -
وثورة اركسا قد حدثت في شهر آب من عام ٥٢١ ق . م . اي بعد حوالي ستة اشهر
من احتلال دارا لمدينة بابل .

ومع كثرة هذه الثورات التي قامت بوجه دارا ، الا انه تمكن من اخمادها في فترة عام
واحد رغم ان عمره آنذاك لم يتجاوز الثامنة والعشرين . وان دل هذا على شيء فانما يدل على قدرة
دارا وبراعته السياسية والعسكرية .

(فمن اولى الاعمال التي قام بها دارا بعد تسلمه مقاليد الحكم زواجه من ابنة الملك كورش
الثاني « اتوسا - **Atossa** » وتقريبه لجميع افراد عائلتها . اذ يعمل هذا قد جعل من
افراد البيت الحاكم السابق اتباعا واعوانا له . وازضافة الى ذلك يبدو ان دارا حاول باساليب ذكية
خدمة المؤرخين من اجل ارجاع اصله الى سلالة البيت الحاكم . اذ اكد في كتاباته على ان
الده هستانس كان ابن الملك ارشما . وكما ذكرنا في بداية هذا الفصل كان ارشما ابن الملك
اريارامنا ، الذي لا يوجد لدينا بخصوصه سوى اللوح الذهبي المشكوك في اصله . وعليه يمكننا
ان نفترض في هذا المجال على ان الملك اريارامنا وابنه ارشما هما كذلك من ابتداع الملك دارا

نفسه . وان اللوح الذهبي المذكور هو من صنع دارا كذلك .

ان هذه المعلومات عن دارا رغم ما فيها من التزوير التاريخي تشير الى ذكائه وقدرته على تحمل اعباء الحكم . وذلك اضافة الى ما حققه خلال فترة حكمه من انتصارات سريعة في جميع الولايات التي ثارت عليه واصلاحات ادارية سوف نتحدث عنها في مجال آخر .

ومن اعمال دارا العسكرية الاخرى حملاته على القبائل الاسكيثية التي كانت تسكن المنطقة الواقعة ما بين بحر ارال وبين بحر قزوين . لان هذه القبائل كانت تهدد باستمرار أمن الجبهة الشمالية الشرقية من الامبراطورية الاخمينية ولذلك قرر دارا في عام ٥١٣ ق . م الهجوم على هذه القبائل عن طريق القارة الاوربية . هذا وقد تعاونت مع الملك دارا في هذه الحملة بعض الفرق (اليونانية) كما ان المهندس الايوني المدعو « ماندروكلس Mandrokles » قد اقام جسرا لهذه الحملة على مضيق البسفور . فربط بهذا الجسر لأول مرة القارة الاسيوية بالقارة الاوربية . فعبرت عليه القوه الاخمينية ووصلت في سيرها الى الدانوب والبولخا ، الا ان القبائل الاسكيثية لم تشتبك مع الجيش الفارسي في اية معركة واضطر ذلك الجيش الاخميني على الرجوع . وبالرغم من عدم استطاعة هذه الحملة من تحقيق النجاح في اخضاع القبائل الاسكيثية الا انها مكنت الفرس من السيطرة على « تراقيا - Thrakien » وهذه السيطرة قد قربت حدود الامبراطورية الاخمينية من حدود بلاد اليونان .

(ومن الاعمال التأديبية الاخرى التي قام بها الملك دارا اخضاعه الثورة التي قامت بها المدن الايونية تلك الثورة التي لا نعرف دوافعها الحقيقية ، غير انها قد نالت تأييد اليونان ومساعدتهم . مما جعل دارا يصمم على احتلال اليونان) . وبدأ ذلك بان بعث رسله الى جميع المدن اليونانية والى اسبارطة واثينا يطلب منهم ان يمنحوه مزيدا من الاراضي والممرات المائية في تلك المنطقة . وقد وافقت على طلبه جميع المدن اليونانية ما عدا اسبارطة واثينا ، حيث قامت بقتل رسل الملك دارا ، الامر الذي دفع بالملك الفارسي الى ارسال حملة عام ٤٩٠ ق . م وتقابلت هذه الحملة مع الجيش اليوناني في موقعة مراثون ، تلك الموقعة التي انتصرت فيها الجيوش اليونانية . وسوف نتكلم بالتفصيل عن هذه المعركة في كلامنا عن الحروب الفارسية اليونانية . ولقد سجل دارا انتصاراته العسكرية على الملوك والولايات التي ثارت عند تسلمه مقاليد الحكم في منحوتة جبلية تعرف بأسم « بهستون » وقد نقشت هذه المنحوتة على الوجه الصخري الحاد لجبل بهستون القريب من مدينة كرمناشاه الحالية وبأرتفاع يتراوح ما بين ١٣٠ و ١٤٠ م . ويشاهد في هذه المنحوتة الملك دارا وفوقه صورة الاله « اهورا مزدا » رمز حمايته له ويخرج رأسه هذا الاله وكتفاه من قرص الشمس المجنح وهو شعار شبيه بشعار الاله اشور ، وقد وضع الملك قدمه على جسم ما اسماء بالثائر الدعي كوماتا (بارديا) ، ويقف خلفه ثمانية من الملوك الذين ثاروا عليه وهم مريوطون

بالجبال . ودون دارا حول هذه المشاهد باللغة الاخمينية والعلامية والبابلية اخبار اخماده للثورات العديدة بعون الأله « اهورا مزدا »

ان الاخبار المدونة في منحوتة بهستون لا يمكننا الاعتماد عليها كليا . اذ يبدو منها واضحا بان دارا قد وصف كل خصومه بالكذب واعتبر نفسه الصادق الوحيد في الوقت الذي نجد فيه بان الملك دارا نفسه كان عارفا بان الناس سوف لا يصدقون بما جاء في هذه الكتابات من اخبار ، بحيث ضمن كتاباته لعنة الاله اهورا مزدا لكل من يشك في صحة الاخبار الواردة فيها والحقيقة ان سبب اتهام الملك دارا لخصومه بالكذب وان لعنة الاله اهورا مزدا تحل على كل من يشك في صحة اقواله ، راجع الى كونه يعرف جيدا بان حكاية نسبه وقصة كوماتا المجوسي كانت تلفيقا ضد الملك بارديا . وان الثورات التي قامت ضده كانت بسبب اعتدائه على حرمة البيت الحاكم ، الذي اسس الامبراطورية الاخمينية . ولهذا السبب عمل دارا جاهدا على تمويه حقيقة وصوله الى الحكم . وان اهتمام دارا بهذا الموضوع دفعه الى تدوين ما جاء في منحوتة بهستون باللغة اليونانية كذلك . ووزع تلك الكتابات بين المدن الايونية . اذ عثر في بعض هذه المدن المذكورة على عدد من النصوص المدونة باللغة اليونانية وتحتوي في مضمونها على بعض من اخباره المثبتة اعلى منحوتة بهستون .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه بخصوص الكتابات المذكورة في بهستون انها صارت مفتاحا في حل رموز الكتابة المسمارية . اذ ان احد الضباط الانكليز العاملين في الجيش الايراني والمدعو هنري رولنسون قد قام بعمل قالب لهذه الكتابة رغم ارتفاعها الهائل . والطريقة التي اختارها رولنسون لعمل القالب تعتبر بحد ذاتها من المغامرات المحفوفة بالمخاطر . اذ لم يكن بإمكانه الوصول الى المستوى الذي كانت عليه المنحوتة لعلوها الشاهق ولذا فقد صعد الى قمة جبل بهستون من الجهة التي يمكن الصعود منه . ومن قمة الجبل كان يدلي نفسه بالجبال الى مستوي المنحوتة . وبهذه الطريقة الخطرة تمكن من عمل قالب لكل كتابات بهستون . علما بان ارتفاع قمة الجبل عن مستوى المنحوتة يقدر بحوالي ٦٠ م . وازضافة الى هذا العمل الجبار فان هنري رولنسون قد تمكن كذلك عام ١٨٣٥ م ان يتوصل الى حل رموز الكتابة المسمارية الاخمينية التي كانت منقوشة على المنحوتة .

تنظيمات دارا الادارية

لقد اجرى الملك دارا خلال الفترة ما بين عامي ٥١٨ - ٥١٤ ق . م عددا من التنظيمات الادارية . وكانت هذه التنظيمات تهدف بلا شك الى وضع نظام يمكنه من ادارة الاجزاء الواسعة من الامبراطورية الاخمينية .

والحقيقة ان قدرة الملك دارا الادارية قد مكنته من الوصول الى تنظيم يمتاز بالمرونة من ناحية وبالتماسك من الناحية الاخرى) وان صفة المرونة والتماسك التي يمتاز بها نظامه الاداري الجديد

هي قدرته على التوفيق بين طبيعة النظام الاقطاعي القديم وبين مركزية الحكم الذي فرضته السيادة الاخمينية على جميع البلدان التي خضعت لها .

وتتلخص تنظيمات دارا الادارية في انه قد قسم الامبراطورية الاخمينية الى عدة ولايات . ووضع على كل ولاية من هذه الولايات حاكما يدعى باليونانية **Satrap** وكلمة « ساتراب » تعني حرفيا « مظلة الحكم » . هذا وان المعلومات المتوفرة عن التاريخ الاخميني تؤكد ان نظام الولايات ومنصب الـ « ساتراب » كان متبعا كذلك في زمن الملك كورش الثاني . وعليه يعتقد ان اصل هذا النظام يرجع الى بلاد ميديا . اذ ان الفرس باحتلالهم لميديا تعلموا منها الكثير واخذوا تنظيماتها الادارية ، تلك التنظيمات التي كانت متأثرة بدورها بالتنظيمات الادارية الاشورية ، غير ان الفرق في تنظيمات الملك دارا وبين تنظيمات الملك كورش الثاني يتميز في حجم الولايات ، اذ اصبح في زمن دارا اصغر نسبيا من حجم الولايات التي كانت في زمن كورش الثاني .

هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فقد منح دارا لحكام ولاياته الحرية المطلقة فسي ادارة ولاياتهم ولكنه في الوقت ذاته ابقى حكام من حكامه ان يقدم سنويا النسبة المفروضة على ولايته من الضرائب . وبهذا الاسلوب يكون دارا قد حافظ نسبيا على حرية النظام الاقطاعي القديم ولكنه في الوقت نفسه ربطه بالسلطة المركزية من خلال الزامه بتقديم نسبة مقررة من الضريبة السنوية . وان هذه الحرية التي منحها الملك دارا لحكام ولاياته ادت الى خلق علاقة ودية بينه وبين حكام تلك الولايات بحيث ان حبههم وطاعتهم له كانت طوعية وليست قسرية . لانها كانت تعتمد على الثقة المتبادلة بين الطرفين .

وكانت هذه الناحية بالذات مشجعة لحكام الولايات لتقديم خدماتهم بكل جدية واخلاص .

وعلى الرغم من ان الملك دارا قد وضع السلطة الحقيقية بيد الفرس فقط ، لان حكام الولايات وقادة الجيش لجان يجب ان يكونوا من العنصر الفارسي . الا انه ترك بقية الوظائف الاخرى في الولايات لسكان الولايات الاميليين . وبهذا العمل يكون دارا قد اعطى للقوميات الاخرى من غير الفارسية الحق كذلك في ادارة شؤونهم الخاصة بأنفسهم .

ونذكر في ادناه عدد الولايات التي قسمت اليها الامبراطورية الاخمينية خلال الفترة التي دونت بها كتابات بهستون . لان العدد الذي سنورده يعتمد كليا على عدد الولايات التي اشارت اليها الكتابات المذكورة . كما ينبغي علينا ان نضع بعين الاعتبار ان عدد هذه الولايات لم يبق ثابتا خلال فترة حكم الملك دارا بل كان خاضعا لزيادة والنقصان .

١ - ولاية فارس ٢ - ولاية عيلام ٣ - ولاية بابل ٤ - ولاية آشور ٥ - ولاية منطقة جزيرة ٦ - ولاية مصر ٧ - ولاية المنطقة الجنوبية من آسيا الصغرى ٨ - ولاية سارديس عاصمة ليدية ٩ - ولاية الجزر الايونية ١٠ - ولاية ميديا ١١ - ولاية ارمينية ١٢ - ولاية منطقة الفريين ١٣ - ولاية درانكينا ١٤ - ولاية قوقاسية ١٥ - ولاية خسوارزم ١٦ - ولاية كبدوكية ١٧ - ولاية افغانستان ١٨ - ولاية منطقة الصغد ١٩ - ولاية ندهار ٢٠ - ولاية منطقة الاسكيشين ٢١ - ولاية مساغيتا ٢٢ - ولاية ارخوسيسن ٢٣ - ولاية ماکا .

وبعد ذلك استحدثت ولايات اخرى مثل : ٢٤ - ولاية ليبيا ٢٥ - ولاية النوبة ٢٦ - ولاية تراقية .

اما ما يتعلق بنسبة الضرائب التي كانت تدفعها كل ولاية من هذه الولايات ، فان كتابات المؤرخين اليونانيين وخاصة كتابات هيرودوتس تشير الى ان ولاية بابل كانت تدفع ايام حكم الملك دارا اعلى نسبة من الضرائب وتقدر بألف وزنة (تالدت) من الفضة . علما بان التالدت الواحدة تساوي ٣٠٠ ر ٣ كغم . وهذا يعني ان ولاية بابل وحدها كانت تدفع سنويا ثلاثين الف طن و ٣٠٠ كغم من الفضة . وولاية مصر كانت تدفع ٧٠٠ كغم من الفضة مع كمية من الحبوب . وغالبا ما كانت تدفع هذه الضرائب على شكل آنية معمولة من المعادن الثمينة او ملابس او حيوانات . اما الولايات التي تتوفر فيها الخيول فقد كانت معظم ضرائبها من الخيول التي كانت تستخدم عادة للأغراض الحربية ونقل البريد .

وفيما يخص اللغة المشتركة التي كانت تستخدم في المعاملات التجارية والادارية بين الولايات المختلفة فان نتائج التنقيبات التي اجريت في بعض اجزاء بلاد فارس قد بينت لنا على ان اللغة العيلامية والخط المسماري العيلامي قد استخدموا لهذا الغرض في الفترة الاولى من حياة الامبراطورية الاخمينية وخاصة بعد احتلال كورش الثاني لبلاد عيلام . وبعد فترة من ذلك بدأت اللغة الارامية والخط الارامي يستخدم لمثل هذه الاغراض وذلك لسعة انتشار اللغة الارامية وسهولة الخط الارامي . اما الكتابات الملكية والكتابات التذكارية فقد كانت تكتب على الاغلب باللغات الاخمينية والعيلامية والبابلية ومخطوط هذه اللغات الثلاثة المسمارية . وفي بعض الاحيان كان يستخدم الخط الارامي واللغة الاخمينية في الكتابات التذكارية . ومن احسن الامثلة على ذلك كتابات الملك دارا في « نقش رستم » .

هذا وان السبب الذي دفع الفرس الاخمينيين الى استخدام هذه المخطوط الغريبة عنهم ولم يستخدموا خطهم الخاص يرجع الى ان الخط الاخميني المسماري قد ابتكر على ما يرجح ايام حكم الملك كورش الثاني . فهو والحالة هذه خط لم تألفه شعوب المنطقة ولا الفرس انفسهم .

دراسة شكل العلامات المسمارية للخط الاخميني بيد محابانه لا يمثل مرحلة تطويرية المراحل التي مرت بها الكتابة المسمارية وانما هو خط ، ولكنه كان متأثرا جدا بالخط الهيروغليفى . ولهذا السبب فانه خط نصف هجائي ويمن (٤٢) علامة مسمارية وعلى اغلب الظن ان نسبة قليلة جدا من الفرس الاخمين كانوا يجيدون هذا الخط وعليه صر استعماله على الكتابات التذكارية كما هو الحال مع . المسماري العيلامي والبابلي .
كـ تنظيمات المهمة الاخرى للملك دارا التنظيمات الخاصة . وبالرغم من ان البريد الهجائي كان متأثرا بأسلوب البريد الاشوري . الا ان دارا قد ان التنظيمات الاشورية وذلك انه اجزاء الامبراطورية الاخمينية بطرق عديدة . ومن هذه الطرق الطريق الذي وصفه دتسن بالطريق الملكي . اذ كان يمتد من سارديس عاصمة اى ولاية كبديكية ومن كـ يمتد باتجاه نهر دجلة ويمر ساحة جبال زاكروس ويصل سوسة عاصمة عيلام . هذا الطريق يغير من الطريق الاخرى مزودا بعدد كبير من محطات التي يتم فيها ابدال اـ وعمال البريد انفسهم بعد ان يكونون قد قضوا المسافة التي عليهم وتتعب جيادهم كذلك . وان الدراسات التخمينية حول سرعة البريد جعلت بعض الباحثين يعتقدون ان عمال البريد كان باستطاعتهم ان يقطعوا في النهار الواحد مسافة تزيد عن ثلاثماية كيلومتر . ومعنى ذلك الرسالة التي تبعث من سوسة الى مدينة سارديس في اسيا غرى تستغرق فترة نقلها اسبوعا لا اكثر . والحقيقة ان فترة اسبوع واحد ليست طويلة جدا ما وضعنا بنظر الاعتبار بعد امة بين المدينتين المذكورتين . هذا وان الاسكندر المقدوني كما عجا بتنظيمات البريد الاخمينية عليها مثالا يقتدى به .

واضافة التنظيمات التي اوردناها في اعلاه والتي كانت تهدف في حملها الى ربط الولايات المتعددة سلطة الاخمينية المركزية ، اوجد دارا جهازا امنيا يزوده بالامارات التي تتعلق بسلامة وأمن امبرورية . وكان الافراد العاملون في هذا الجهاز الامني مرتبطين مباشرة مع الملك وكانوا يدعون قبل الشعب بعيون وآذان الملك . وبالرغم من ضرورة مثل هذا الجهاز الامني الا انه كان يسبب في بعض الاحيان مضايقات للحكام الولايات باعتبار ان افراد الجهاز المذكور يجعلون انفسهم على م المساواة مع هؤلاء الحكام . كما انهم كانوا يسيئون في تقاريرهم الى بعض الحكام الذين لم يكونوا على وفاق تام مع افراد الجهاز الامني . وكانت هذه الاساءة تغش الملك وتفقدته ثقته بحكامه . ومن السلبيات الاخرى التي كانت تعاني منها الى ما الامبراطورية الاخمينية تتمثل بالاضاع الاقتصادية . اذ انها لم تكن على مستوى موحد في جميع الولايات . ففي اسية الصغرى (ليدية وبابل ومصر) كان نظام التعامل الاقتصادي النظام القدي الذي كان يستخدم المسكوكات الذهبية في الوقت الذي كانت فيه بقية الولايات تتعامل بنظام المقايضة .

ن الملك دارا حاول ازالة هذا الفرق في نظم تعامل ولاياته المختلفة لذلك سلك عمله ذهبية خاصة
مبراطورية الاخمينية ، وذلك من اجل ان تحل تدريجيا محل نظام المقايضة المتبع في عدد
قليل من ولايات الدولة الاخمينية .
ما يخص اعمال الملك دارا في المجال الديني فان كتاباته قد وضحت انه كان يقدر الاله
هورا مزدا » ، في الوقت الذي تشير فيه الكتابات القديمة الى ان الفرس كانوا يعبدون الاله
شرا » اله العدل والممثل بالشمس ويعبدون ايضا الهة المياه والخصب الالهة « اناهيتا » ولهذا
سبب يمكننا ان نقول بان دارا قد ادخل اثناء حكمه الديانة الزرادشتية وجعلها دين الدولة الرسمي
ان كتاباته المنقوشة في جبل بهستون ونقش رستم قد أكدت ان انتصاراته على اعدائه كانت
ن الاله هورا مزدا .

Zarathustra

وكان اول من بشر بالزردشتية شخص يدعى زراثوسترا
تعتقد ان ظهور هذا المبرشر بالديانة الجديدة كان في اواخر القرن السابع اوفي بداية القرن
سادس قبل الميلاد . وكانت ديانتته تدعو الى عبادة اله واحد هو الاله هورا مزدا اله العدل
خير والاحسان ومع هذا فان الزردشتية تعترف بوجود مبدأ الشر الذي أسماه زراثوسترا بأسم
« اهريمان » وخيرت الناس في اتباع احد المبدأين ولكنها تعتقد بأن مبدأ الخير هو الذي
ينتصر في النهاية . كما أنها تؤمن بيوم الحساب الذي سيكون فيه هورا مزدا الديان الاعظم
يساعده فيه زراثوسترا الذي سيقود الصالحين عبر السراط الفاصل بين النعيم والجحيم .
ما اعمال دارا في مجال التشريعات القانونية فلم نثر له على اية شريعة .
ان كتاباته الملكية كانت تحمل الكثير من الاشارات التي يمكننا ان نعتبرها الاسس
التي كانت تقوم عليه الشريعة في زمانه . ومن دراسة هذه الاشارات يبدو واضحا الشبه الكبير
بوجود بينها وبين ما جاء في شريعة حمورابي . ومن الامثلة الجيدة على ذلك هو مضمون
ضحا الشبه الكبير الموجود بينها وبين ما جاء في شريعة حمورابي . ومن الامثلة الجيدة على
ذلك هو مضمون كتابته على نقش رستم التي جاء فيها : -

بعون الاله هورا مزدا . انتي من اصدقاء الحق ولست من انصار الرذيلة . وانتي لا ارضى
بستغل القوى الضعيف او ان ينتصر الباطل على الحق . وما دمت قويا فانا المحارب الجيد .
والحقيقة ان من يقرأ مقدمة شريعة حمورابي يجد فيها كذلك الدعوة لحماية الضعيف من استغلال
القوى والعمل على نشر الحق والقضاء على الرذيلة . هذا ويبدون الملك دارا قد اخذ
تقواع القانونية البابلية عن طريق العيلاميين . اذ ان ملكهم
المدعو شتروك ناخونتي قد غزا مدينة بابل في حوالي ١١٧١ ق . م ونقل منها شريعة حمورابي
الى مدينة سوسة عاصمة عيلام لتكون المثل الذي يهتدى به في مجالات التشريع العيلامية .

المبحث الثالث

الحروب الفارسية اليونانية

(ان المعلومات المتوفرة لدينا عن الحروب الفارسية اليونانية تعتمد بشكل رئيس على المصادر اليونانية وخاصة ماذكره هيرودوتس عنها .
والحقيقة ان كتابات هيرودوتس بهذا الخصوص افضل من بقية الاشارات الاخرى المتعلقة بالحروب الفارسية اليونانية بالرغم من اعتقادنا بأنه قد يتحيز احيانا الى الجانب اليوناني باعتباره يوناني الاصل . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى فان هيرودوتس قد عاش خلال الفترة التي حكم فيها « بوبلكس » (١) على اليونان . فلا بد وان راعى في كتاباته مشاعر هذا الحاكم . ومع ذلك فان افضلية اخبار هيرودوتس تعود الى كونه قد عاصر الاشخاص الذين شاركوا في تلك المعارك . لان ولادته كانت في عام ٤٨٠ ق م ووفاته في عام ٤٢٤ ق م . ومعنى ذلك انه قد حصل على معلوماته من شهود العيان لأحداث تلك المعارك . ومن الادلة الاكيدة التي توضح ان هيرودوتس قد تحيز الى الجانب اليوناني وكان مراعيًا في كتاباته مشاعر « بوبلكس » مبالغاته بالارقام المتعلقة بخسائر الفرس . اذ ان جميع الباحثين يـــــــرون ان الارقام التي وردت في كتاباته مبالغ فيها ولا يمكن ان تطابق الواقع المنطقي . ومـــــــع ذلك فاننا مضطرون الى الاعتماد على ما ذكره هيرودوتس وبقية المؤرخين اليونانيين بخصوص الحروب المذكورة لان الفرس الاخمينيين لم يذكروا لنا شيئا عن اخبار تلك المعارك ، ذلك لأن نتائجها لم تكن تتناسب ومكانة الامبراطورية الاخمينية آنذاك .

ان البداية الاولى للحروب الفارسية اليونانية تتمثل بالثورة التي قامت بها المدن الايونية ضد حكم الملك دارا . وفي حديثنا عن اعمال دارا الحرية اشرنا الى ان السبب الحقيقي لثورة المدن الايونية غير معروف تماما . الا ان بعض المؤرخين اليونانيين قد اشار الى ان حاكم هذه المدن والمدعو اريستاكوراس Aristagores قد اتفق مع حاكم ولاية سارديس الفارسي على احتلال جزيرة « ناكسوس » Naxos وان الحملة التي

(١) ان تاريخ اليونان القديم قد مر بأربعة عهود وهي ما يلي . - ١ - عهد الملوك ١١٠٠ - ٧٥٠ ق م . ٢ - عهد النبلاء ٧٥٠ - ٦٢٥ ق م . ٣ - عهد الطغاة ٦٢٥ - ٥٢٥ ق م . ٤ - عهد الديمقراطية ٥٢٥ - ٤٠٠ ق م . ويريكلس حكم في العهد الرابع من عام ٤٦٠ - ٤٣٠ ق م حيث بلغت الديمقراطية ايام حكمه انفضج مراحلها . ولكنها بدأت بالانهيار بعد انتهاء حكمه .

نيزها هذان الحاكمان قد فشلت في تحقيق الهدف ولذلك فان حاكم المدن الايونية قد خاف
ناب الملك داريوس بسبب فشل الحملة المذكورة فقرر الثورة على الحكم الفارسي لأنه اي
اريساكوراس « قد وجد في ثورته الخلاص الوحيد في عقاب دارا ». والحقيقة ان هذا السبب
الذي ذكره المؤرخون اليونانيون بخصوص ثورة المدن الايونية يعتبر من الاسباب المقنعة ولذا اعتقد
بعض المؤرخين المحدثين بان السبب المباشر لثورة المدن المذكورة ربما يكمن في المضايقة التي
صلت للسفن التجارية الايونية من جراء احتلال قمبيز لمصر ومن جراء سيطرة الملك
دارا على مضيق البسفور والدردنيل وذلك عندما ارسل حملته ضد القبائل الاسكثية . اذ سبق
ان قلنا بان الحملة لم تحقق اهدافها ولكنها مكنت الملك دارا من السيطرة على اقليم تراقية
واقع في الضفة الاوربية من البسفور . ومع وجاهة هذا السبب فإنه كذلك لم يكن في اعتقادنا
سبب الحقيقي في ثورة المدن الايونية . لان هذه المدن قد شاركت ببعض فرقها مع حملة
دارا على القبائل الاسكثية . وازافة الى ذلك فقد سبق وان رأينا بان المهندس الايوني « ماندروكلس »
قام ببناء جسر على البسفور ربط به لأول مرة القارة الآسيوية بالقارة الاوربية ، وبواسطته عبرت
إت الملك دارا الى الضفة الاوربية من مضيق البسفور . وعليه فنعتقد ان ثورة المدن الايونية
لما جاءت بتحريض من اليونان ، لان المدن المذكورة لا تستطيع الوقوف لوحدها بوجه القوة
فارسية الاخمينية . اذ ان المعلومات لدينا عن ثورة المدن الايونية قد اشارت الى ان اريساكوراس
حاكم هذه المدن قد سافر عام ٥٠٠ ق . م الى اثينا وتشاور مع رجالاتها حول ثورته ، وان اثينا
وعدهته بتقديم اسطولها الحربي مساندة منها لثورته . والسبب الذي دعى اثينا الى الاصطدام
مع الدولة الاخمينية من خلال مساعدتها للمدن الايونية يرجع بالتأكيد الى تخمينهم الصائب
ان الفرس الاخمينيين سوف يهجمون على اثينا عندما تحين الفرصة المناسبة لذلك . وعلى
أساس هذا التخمين فقد قررت اثينا اثارة الاضطرابات بوجه الامبراطورية الاخمينية كي لا
سمح لها باحتلال اثينا في الوقت الذي يختاره الفرس انفسهم . لان قرار الملك دارا في محاربة
قبائل الاسكثية عبر القارة الاوربية يبدو انه كان حجة مكنته من السيطرة على الضفة الاوربية
ضيق البسفور من اجل ان يمهّد الطريق لاحتلال اثينا . ومما يجعل هذا الاحتمال راجحاً
هو ان حملة الملك دارا لم تنصدم مع القبائل الاسكثية اطلاقاً بحجة ان القبائل المذكورة
كانت تتحاشى الجيش الفارسي . وعلى كل حال فقد بدأ الايونيون ثورتهم ضد الفرس الاخمينيين
احتلال مدينة سارديس عاصمة ولاية ليديّة وأبادتها بالسيف والحريق . كما انهم طلبوا من
جميع المدن اليونانية ان تعلن الحرب على الفرس . وقد لبّت المدن المذكورة النداء فقامت بحرق
لمدن الواقعة ما بين البسفور وجزيرة قبرص . ونتيجة ذلك فقد جهز الملك دارا حملة عسكرية

على هذه المدن الثائرة . واستطاعت هذه الحملة في بدايتها ان تحرز النصر على بعض المدن اليونانية مثل قبرص وغيرها ، وكانت المقاومة التي ابدتها المدن اليونانية شديدة ولكن مع ذلك استطاعت هذه الحملة في النهاية احتلال ملبطية **Milletes** عاصمة المدن الايونية . وعلى اثر ذلك قام الفرس بتهمجير سكانها الى المناطق الواقعة على نهر دجلة في اسيا الصغرى ، وازافة الى ذلك قام الجيش الفارسي ايضا باعادة تقسيم المدن الايونية بغية تشتيت اليونانيين الذين تسبوا في نشوب الثورة .

(ان مساعدة اثينا لثورة المدن الايونية صار سببا مباشرا للملك دارا لأن يبدأ بوضع الخطة المناسبة لاحتلال اثينا والاثنا سوف تكون دائما السبب المباشر في اثاره الاضطرابات بوجه الامبراطورية الاخمينية) . وقد بدأ عمله كما رأينا فيما سبق بان بعث رسله الى جميع المدن اليونانية والى اسبارطة وأثينا كذلك يطلب منها ان يمنحوه مزيدا من الاراضي والممرات المائية في تلك المنطقة . وقد وافقت على طلبه جميع المدن اليونانية ماعدا اسبارطة واثينا ، حيث قامت بقتل رسل الملك دارا . وبطبيعة الحال اغاض هذا العمل الملك الفارسي كثيرا فقرر محاربة اثينا في الحال ، وكان ذلك في عام ٤٩٠ ق م . وفي هذا التاريخ المذكور رفعت السفن الفارسية الموجودة في ولاية كلبيكية اشروعها بعد ان حملت بالجنود المشاة والخيالة المهيبين للقيام بالانزال على الاراضي اليونانية . هذا وقدر عدد الجنود المشاركين في هذه الحملة بـ ٢٥٠٠٠ جندي . وكان هدفها الرئيس كما تذكر المصادر اليونانية معاينة سكان اثينا على مساعدتهم لثورة المدن الايونية والسيطرة كذلك على جميع المدن اليونانية التي لم تتعرف بالسيادة الاخمينية . لان سيطرة الفرس على جميع المدن اليونانية سيساعدهم على تثبيت اقدامهم في المدن الايونية ومنعها من القيام بالاضطرابات .

بدأت الحملة الفارسية هجومها باحتلال عدد من الجزر اليونانية تمهيدا لاحتلال اثينا . وفي هذا الاثناء كانت اثينا تستعد لمقابلة الجيش الفارسي . وكان اعتقاد رجال اثينا بان الفرس سيقومون بانزالهم على الاراضي اليونانية من خليج « فاليرون - **Phaleron** »

الواقعة الى الجنوب من اثينا . ولكن القوات الفارسية اختارت سهل « مراثيون » فقامت بانزال قواتها فيه وبعد ان علمت اثينا بانها الانزال قرر مجلسها الشعبي وفقا لنصيحة « ميلتيادس - **Miltiades** » احد قواد اثينا العسكريين ، ان تخرج

قوات اثينا وتواجه الجيش الفارسي وعدم الانتظار لحين وصوله ومحاصرته للمدينة . لان اثينا لم تملك الاستعدادات الكافية لمجابهة الحصار الذي ستعرضه القوات الاخمينية عليها . وبالفعل فقد خرجت القوات الاثينية من المدينة وسارت لمواجهة الجيش الفارسي في سهل

اثون وعندما حدثت المعركة بين الطرفين استطاع الجيش الاثيني وفق التوزيع الذي فرضه
ميليادس على القوات الاثينية ان يحدث خسائر كبيرة في الجيش الاخميني مما اضطره
الى التراجع الى سفنه . ويذكر هيرودوتس بان خسائر

الجيش الفارسي قد بلغت ٦٤٠٠ جنديا بينما كانت خسائر الجيش الاثيني ١٩٢ جنديا فقط .
من الطريف ذكره في هذه المعركة ان الجيش الاسبارطي حليف اثينا قد وصل بعد حدوث المعركة
م. واحد . وقد اعتذر الاسبارطيون عن هذا التأخير بعذر هو ان لم يكن من المسموح لهم ارسال
جيش الى المعركة ما لم يصبح القمر بدرا . وازافة الى حجة الاسبارطيون في وصولهم متأخرين
فمؤعد المعركة فان كتابات المؤرخين اليونانيين تشير الى ان احد الاشخاص الاثينيين الذي شاهد
صار قوات اثينا قد ذهب راكضا من مكان المعركة حتى مدينة اثينا ليخبر سكانها بالنصر الذي
حققه الاثينيون وهزيمة الجيش الفارسي . وعندها وصل

هذا الراكض الى مدينة اثينا وتبلغه لسكانها
بغير الانتصار سقط ميتا من شدة التعب . وعلى ما يبدو ان سباق الركض للمسافات الطويلة والذي
يطلق عليه سباق المراثون كان نتيجة لهذه الحادثة . هذا ويبدو من المعلومات المتوفرة عن هذه
معركة بان خسائر الفرس فيها لم تكن جسيمة بحيث انهم قرروا الهجوم على اثينا بعد رجوعهم
شرة الى السفن وذلك عن طريق خليج فاليريون الواقع كما قلنا الى الجنوب من اثينا . وازافة الى
ذلك فانهم حاولوا في هذا الهجوم ان يسبقوا الجيش الاثيني في الوصول اليها . وعلى هذا الاساس
كننا ان نفترض بان اختيار الفرس لسهل مراثون مكانا للمعركة وتراجعهم فيها كان جزءا من الخطة
كانت ترمي الى سحب الجيش الاثيني بعيدا عن المدينة حتى يتمكنوا من الالتفاف عليه
طريق خليج فاليريون . غير ان خبرة ميليادس ومعرفته بالتكتيك الفارسي جعلته يتوقع ان القوات
الفارسية سوف تعيد هجومها عن طريق خليج فاليريون ، فنصح القوات الاثينية بالتراجع سريعا الى
خليج المذكور . وبالفعل استطاعوا الوصول الى الخليج المذكور قبل القوات الفارسية . وعندما
أخذ الاسطول الاخميني وصول قوات اثينية الى خليج فاليريون قبله قرر الانسحاب والتراجع الى
البحر الصغير (وكانت معركة الماثون في الواقع حسب ما ذكرنا لا تمثل خسارة كبيرة للجيش
اخميني ولا تعتبر كذلك هزيمة بالنسبة له ، الا انها بينت للفرس الاخمينيين بان احتلال اثينا
تطلب حملة اكثر قدرة من الحملة التي ارسلها الملك دارا . كما انها في نفس الوقت قد منحت
اثينيين ثقة بانفسهم وبقدراتهم . ولذلك فقد جهز الاثينيون في ربيع عام ٤٨٩ ق . م حملة
بحرية بقيادة ميليادس لاحتلال جزر بحر ايجة التي كانت اغلبها واقعة تحت السيطرة الفارسية) .
اول معركة لها جرح ميليادس واضطر الاسطول الى الانسحاب . وان فشل هذه الحملة التي
ها ميليادس على جزر بحر ايجة فسح المجال امام منافسه « تميستوكلس - Themistokles »

Artemision الذي يمثل الرأس الشمالي لجزيرة « يوبيا - Euboa » ونفسه

هناك بعمل الحواجز التي تعيق مرور الاسطول الفارسي .

وعندما ما اقترب الاسطول الاخميني من مضيق ترمبولي صادفته عاصفة قوية اضرت بالكثير من سفنه وادت كذلك الى وقوع خمس عشرة سفينة اخمينية عن طريق الخطأ بأيدي ثقات اليونانية . ومع ذلك فان الاسطول الاخميني قد اصالح الاضرار بسرعة وقام بهجومه على المضيق المذكور فقابلته ملك اسبارطة ومعه زهاء ٥٠٠٠ جندي واستطاع الملك المذكور ان يخرم الهجوم يوما كاملا بعد ان ابعدت جسامته استبسالا عظيما فسي القتال . غير ان القوات الفارسية قد قامت بعملية التفاف حول اسبارطة وجنوده . وبهذه العملية استطاعت قوات احشوريش ان تقضي على الملك المذكور وجميع الجنود الذين كانوا معه . وازضافة الى ذلك فقد امر الملك الاخميني بنطح رأس الملك الاسبارطي عن جثته ورماه الى القوات الاثينية .

وفي اليوم الثالث من بدأ معركة ترمبولي تقابل الاسطولان الفارسي والاثيني في « ارتيميسيون » . انتهى اللقاء بتراجع الاسطول الفارسي لمناعة الحواجز وثبات الاسطول الاثيني . والحقيقة ان تراجع الاسطول الفارسي لا يعد هزيمة بالنسبة للحملة الفارسية لان الحملة المذكورة كانت تعتمد في هدفها على الجيش البري الذي ظل مهددا لمدينة اثينا بحيث ان الاثينيين اضطروا الى اخلاء المدينة وارسلوا النساء والاطفال الى جزيرة سلاميس وجزر اخرى . اما القادرون على حمل السلاح فقد تجمعوا على سفن الاسطول الاثيني بعد ان قرروا عدم الاستسلام للفرس لان استسلامهم سوف يسبب ضياع بلاد اليونان . وبعد عملية الاخلاء هذه احتل الفرس اثينا من دون مقاومة تذكر . اما الاسطول الاثيني فقد تجمع عند مضيق جزيرة سلاميس وكان على ظهره كل الرجال تقاديرين على حمل السلاح .

وبعد فترة من احتلال الجيش الفارسي لمدينة اثينا التقى الاسطولان الفارسي والاثيني في مضيق سلامين . وعلى اثر غلطة قامت بها سفن الاسطول الفارسي حينما اغرقت سفينة فارسية اثناء تعقبها لسفينة يونانية فسبب هذا الخطأ الارتباك بين سفن الاسطول الفارسي بحيث ادت سفنه تضايق بعضها البعض مما ساعد ذلك الاسطول الاثيني على ايقاع الخسائر الكبيرة في الاسطول الفارسي واضطروا على التراجع بعد معركة دامت حوالي اثنتي عشرة ساعة . ويعتقد ان سبب خسارة الاسطول الفارسي في مضيق سلاميس يرجع الى ان مساحة هذا المضيق كانت ضيقة بالنسبة لحجم الاسطول الفارسي ولذلك صارت السفن الفارسية تترك بعضها البعض . وضافة الى ذلك فان معركة سلاميس كانت بالنسبة لليونانيين معركة حياة او موت ولذلك ابدوا بها صمودا اضطروا الفرس على التراجع .

ومع هذه الخسارة التي مني بها الاسطول الفارسي في سلاميس فان الملك احشويرش الاول لم يتخل عن قراه في احتلال بلاد اليونان فان جيشه البري كان لا يزال يمثل مصدر خطر على اليونانيين وزيادة على ذلك فان خسائر الجيش الفارسي لا تمثل اندحارا لقواته إنما كانت تنتج من عدم استطاعته من القضاء نهائيا على الاسطول اليوناني . وعلى هذا الاساس الفارسي « ماردنيوس Mardonios » موقع « بلاتية - Platea » كمكان مناسب لقواته الخيالة . وفي هذا المكان بالذات هاجمته القوات اليونانية التي كانت قيادتها بيد الاسبارطيين واحلّت عام ٤٧٩ ق.م الهزيمة بالجيش الفارسي ، تلك الهزيمة التي اضطرت الفرس ان يفعوا عن فكرة احتلال اليونان نهائيا . هذا وان التضحيات التي قدمها الشعب اليوناني دفاعا عن حريته وكرامته لهي من الامثلة الحية على ان صمود الشعوب التي لا تبخل بتقديم التضحيات دفاعا عن حريتها سوف يكتب النصر لها لا محال .

بمصر في سنة ١٩٢٢

بمصر في سنة ١٩٢٢

بمصر في سنة ١٩٢٢

بمصر في سنة ١٩٢٢

بمصر في سنة ١٩٢٢

الفصل الثالث

بمصر في سنة ١٩٢٢

المبحث الاول

بمصر في سنة ١٩٢٢

تدهور الدولة افغارية وسقوطها

بمصر في سنة ١٩٢٢

على يد الاسكندر الكبير المقدوني

بمصر في سنة ١٩٢٢

بمصر في سنة ١٩٢٢

رأينا في حديثنا عن الحروب الفارسية اليونانية كيف ان الامبراطورية الفارسية التي وضع اسمها كورش الثاني واعاد بناءها الملك دارا قد بلغت الحد الأقصى في اتساعها ايام مؤسسها الثاني الملك دارا ولم يعد باستطاعتها ان تضم تحت لوائها اجزاء أخرى من العالم . اذ رغم الجهود الكبيرة التي بذلها الملك دارا من اجل احتلال بلاد اليونان فان النتيجة النهائية قد تمثلت بعدم تمكنه من تنفيذ رغبته ، اذ سبق وان عرضنا النتيجة التي حصل عليها الجيش الفارسي في معركة سهل مراثون .

بمصر في سنة ١٩٢٢

احشويرش الاول ٤٨٦-٤٦٥ ق.م :

(خلف الملك دارا الاول ابنه احشويرش الاول الذي سبق وان كان نائبا للملك على بابل طوال ١٢ عاما . وكان من اولى الاعمال التي قام بها هذا الملك القضاء على الثورة التي نشبت في مصر على أثر الفشل الذي واجهه دارا في معركة مراثون . اذ ان هذا الفشل قد شجعها على اعلان عصيانها بوجه الملك دارا الذي وافاه الاجل قبل ان يتمكن من اخمادها . ولذلك فقد قام احشويرش الاول في السنة التالية لوفاة داريوس بالقضاء على الثورة المذكورة وعلى أخيه « اخمينس Achaimenes » حاكما على ولاية مصر) واطافة الى ذلك فان المعلومات المتوفرة تؤكد ان بابل قد ثارت خلال الفترة الواقعة ما بين عامي ٤٨٤ - ٤٨٢ . م مرتين بوجه الملك احشويرش الاول . هذا وان النصوص المسمارية البابلية تعرفنا بأسمي الثائرين البابليين اذ كان بعضهم مورخا بحكم « بيل شيماني Bel-Simani » وشمش أربسي Shamash-Eriba الا ان الملك الفارسي قد تمكن كذلك من القضاء على هاتين الثورتين ولكنه غضب كثيرا من اصرار بابل على الانفصال من جسم الامبراطورية الاخمينية . فخرب بابل ودمر معابدها وفي مقدمتها « ايساكيل » معبدها الرئيس وزقورة بابل ايضا . ويعتقد انه خرب مدينة بورسبا كذلك . واطافة الى هذا التخريب الذي احدثه الملك احشويرش الاول في مدينة بابل وبورسبا فان كتابات هيرودنس تشير الى انه قد نهب تماثالا من الذهب للأله مردوخ وصهره . فادى هذا العمل على تعطيل احتفالات عيد رأس السنة البابلية (= اكيو) مما اثار ذلك احتجاج كهنة مدينة بابل ولكن احشويرش الاول قابل احتجاجهم هذا بان اصدر اوامره بتأسير معظمهم وقتل عدد كبير منهم وخاصة الذين حرضوا على الاحتجاج . وقد جعلت هذه الثورات التي واجهها احشويرش الاول في بداية حكمه ان يتعصب للعنصر الفارسي واعتبر شعوب بقية الولايات مجرد رعايا تابعين . ولم يهتم اطلاقا للمكانة الحضارية التي كانت تتمتع بها بعض ولايات الامبراطورية الاخمينية مثل ولاية بابل ومصر . ولذلك فقد تخلى عن اللقب الذي اوجده الملك كورش الثاني وهو « ملك بابل » .

وبالرغم من ان معظم المصادر الخاصة بالتاريخ الاخميني ترجع سبب تعصب الملك احشويرش للعنصر الفارسي الى الثورات التي قامت ضده . الا ان الحقيقة على عكس ذلك اذ ان التسامح الذي ابداه كورش الثاني ودارا تجاه البلدان التي خضعت لسيادة الامبراطورية الاخمينية كان جزءا من الخطة التي كانت ترمي الى تثبيت اقدام الامبراطورية الفتية . بعد ان تم لها ذلك في اواخر حكم الملك دارا بدأ ملوكها اللاحقون يظهرون مشاعرهم الحقيقية تجاه شعوب الولايات التابعة لهم . فمثلا ثارت بابل مرتين بوجه الملك دارا ولكنه لم يعاملها

معاملة الملك احشوريش الاول . ولو كانت الثورات هي السبب الحقيقي للتعصب لكان الأولى بدارا ان يبدأ بهذا التعصب لكثرة الثورات التي قامت بوجهه . والسبب الآخر في ظهور هذا التعصب يرجع إلى ان الضرائب الكثيرة والخبرات الفنية التي كانت ترد الى الامبراطورية الاخمينية من الولايات التابعة لها قد ساعدت على رفع مستواها الحضاري . مما دعى ذلك الملوك الذين خلفوا كورش ودارا ان يشكروا للدور الحضاري الذي سبقتهم به بعض الولايات التي خضعت لسلطانهم .

(وبعد ان تمكن الملك احشوريش الاول من اخماد الثورات التي نشبت في ولاية مصر وبابل قرر تنفيذ خطة والده الخاصة باحتلال بلاد اليونان . فجهز حملة كبيرة وقادها بنفسه وقد رأينا اثناء حديثنا عن الحروب الفارسية اليونانية كيف استطاع الجيش الاخميني من ابادته الجيش الذي كان بقيادة ملك اسبارطة عند مضيق ترمبولي) بعد ان اخره مدة يوم كامل . وبعد يومين من معركة ترمبولي تلاقى مع الاسطول الاثيني في معركة « ارتيميسيون » التي تراجع فيها الاسطول الفارسي . ومن بعد ذلك تقابلا مجددا في مضيق سلاميس عام ٤٨٠ ق.م وحدثت المعركة بقيادة احشوريش الاول بنفسه وشاهد نتائجها اذ عمل له منصة عالية عند الساحل المطل على مكان المعركة . وعندما لاحظ ارتباك سفن اسطوله واخذت بعضها يعيق البعض الآخر مما تسبب في احداث خسائر كثيرة في الاسطول الفارسي اصدر اوامره بالتراجع . ولكنه مع ذلك لم يتخل عن فكرته في احتلال اليونان حتى انهزم جيشه في موقع « بلاتية » فشغل نفسه بعد ذلك في تعمير البلاد واكمال الابنية التي لم يتمكن دارا من اكمالها في حياته . هذا وان المصادر المتعلقة بالتاريخ الاخميني تشير الى ان الملك احشوريش الاول يكاد يكون آخر الملوك الاقوياء في السلالة الاخمينية . والحقيقة ان مثل هذه الاشارات لم يعد لها مجال في كتابة التاريخ في الوقت الحاضر ، لأنها تعتبر دائما الملوك الذين يتم على ايديهم اقامة الامبراطورية ملوك اقوياء والذين يشهدون انهيارها وسقوطها هم ملوك ضعفاء . ومعنى ذلك ان هذه الاشارات تعتبر قيام الامبراطوريات وانهيارها يكون بسبب الحكام فقط ولا تعبر أية أهمية للظروف التي تحيط بهم وقت تسلمهم الحكم . فلو صادف ظهور كورش الثاني والملك دارا في الفترة التي كانت فيها الامبراطورية الآشورية في اوج قوتها لكان من المستحيل بالنسبة لهما ان يفعلوا شيئا يذكر . ولكنهما ظهرا في فترة انهيار الدول الكبيرة التي كانت تحيط بالفرس مما ساعد ذلك هذين الملكين على اقامة الامبراطورية الاخمينية .

(وكان الحال كذلك بالنسبة للملك احشوريش الاول اذ انه قد تسلم الحكم بعد ان تثبتت اقدام الامبراطورية الاخمينية وبلغت اوج قوتها وراثتها . فمما لا شك فيه ان هذا الملك سيبدو قويا لان مكانة الامبراطورية التي يحكمها تنعكس على شخصيته)

كما ان ثرائها كان يسمح له ان يعيش حياة مترفة . فاذا كان ثراء الدول لا ينعكس على حياة افرادها وملوكها ، فلأى سبب اذا قاموا بالحروب الواسعة وفرضوا الضرائب على الشعوب التي خضعت لسلطانهم .

مما تقدم يبدو واضحا بأن سيطرة الامبراطورية الاخمينية قد رفعت من مكانة ملوكها كثيرا . فآثار ذلك رغبة الكثير من المقربين الى البيت الحاكم في الحصول على هذا المنصب . فبدأت المؤامرات تفعل فعلها وكان من نتائجها اغتيال الملك احشورش الاول عام ٤٦٥ ق م .

الملك ارتحششتا الاول ٤٦٥-٤٢٤ ق م :

(لقد واجه هذا الملك في بداية حكمه الثورة التي قام بها اخوه حاكم بلاد البخت . فسيبت هذه الثورة حقه على جميع اخوته . اذ انه لم يكتف باخماد الثورة المذكورة حسبا تشير المعلومات المتوفرة بل قام بقتلهم جميعا) . وهذا الحقد الذي كشف عنه ارتحششتا الاول تجاه اخوته يدفعنا الى الاعتقاد بان الملك المذكور هو الذي دبر المؤامرة التي اغتيل على اثرها والده . ولذلك فإنه كان يعلم ويشعر بحقد اخوته عليه وانتظارهم بالفرصة المناسبة للثورة عليه ولذلك قتلهم جميعا لينخلص من خطرهم .

(وبعد فترة قصيرة من ذلك حدثت ثورة اخرى في ولاية مصر . وكانت هذه الثورة بقيادة شخص يدعى « اناروس » - Inaros الذي تمكن من السيطرة على منطقة الدلتا فقط) اذ ان مدينة منفس ومصر العليا بقينا خاضعة للسيادة الاخمينية . وبعد ذلك قام « اناروس » بالاتصال بالاسطول الاثيني الذي كان موجودا آنذاك بالقرب من جزيرة قبرص ، وطلب منه مساعدته في ثورته على حاكم ولاية مصر . وقد استجاب الاسطول الاثيني لطلبه وقام بقتل « اخمينس » اخ الملك احشورش الاول وحاكم ولاية مصر . وعندما بدأت السفن الاثينية تنتقل بكل جريتها في مياه النيل حتى مدينة منفس . ومع ذلك فقد اخمدت هذه الثورة على يد حاكم ولاية سوريا الفارسي ، الذي استطاع من اباداة الاسطول الاثيني وتأسير الثائر « اناروس » وارسله الى بلاد فارس حيث صلب هناك عام ٤٥٤ ق م . وبعد القضاء على ثورة « اناروس » مباشرة جاءت بعض السفن الاثينية لتقديم نجدة اضافية لثورة مصر ولكنها ابيدت لأنها لم تكن تعلم بالهزيمة التي لاقاها الاسطول الاثيني على يد حاكم ولاية سوريا . وبعد هذه الاحداث تم عقد صلح بين اثينا وفارس عام ٤٤٩ ق م تمهدت فيه اثينا بعدم اثاره القلاقل او التدخل في شؤون قبرص وولاية مصر . ولذلك بقيت ولاية مصر هادئة حتى نهاية حكم الملك الفارسي دارا الثاني ٤٢٤ - ٤٠٤ ق م .

اما سياسة ارتحششتا في بابل فلا نعرف عنها الشيء الكثير ، لان اغلب المعلومات الرسمية كانت مدونة على اوراق البردى التي لم يصلنا منها شيء . ومع ذلك فان المعلومات البسيطة المتوفرة تؤكد ان الفرص الاخمينيين كانوا يستغلون مدينة بابل احيانا مكانا للراحة والاستجمام و احيانا لنفي الشخصيات الفارسية . لان مدينة بابل قد بقيت محافظة على عظمتها رغم التخريب الذي أحدثه فيها الملك احشويرش الاول .

احشويرش الثاني ٤٢٤ ق م ودارا الثاني ٤٢٤-٤٠٤ ق م :

(لا توجد لدينا حول هذا الملك معلومات كافية بسبب قصر الفترة التي حكم فيها . اذ انه اغتيل بعد زمن قصير من تسلمه الحكم من قبل اخيه من ابيه ، الذي قتل بدوره على يد دارا الثاني .

لقد كان هذا الملك قبل اعتلائه العرش منفيا في بابل هو وزوجته اخت الملك احشويرش الاول . وبعد مقتل الملك احشويرش الثاني عاد الى بلاد فارس واستطاع ان يستولي على الحكم بعد فترة قصيرة من ذلك .

(لقد بدأ هذا الملك حكمه في جو تسوده المؤامرات التي تطمع بالوصول الى الحكم . و اضافة الى ذلك فانه قد صرف اموالا طائلة بسبب تدخله الى جانب اسبارطة في حربها مع اثينا ، املا منه في ارجاع سلطان الدولة الفارسية السابق في اسيا الصغرى وبين المدن الايونية . ولكن تدخله هذا قد ادى الى ثورة حاكم ولاية سارديس ، واستسلام اثينا لأسبارطة وقيام ثورات اخرى في بلاد ميديا ومصر . حيث ان ولاية مصر قد استقلت عام ٤٠٥ ق م نهائيا عن الحكم الفارسي و بقيت محافظة على استقلالها طوال ستين سنة . وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الامبراطورية الفارسية الاخمينية لم يعد بإمكانها المحافظة على ولاياتها لان اندفاع الشعب الفارسي نحو الحرب لم يعد يشابه اندفاعهم ايام قيام الامبراطورية . و اضافة الى ذلك فان هيبة الحكم نفسه قد أخذت تتلاشى بسبب المؤامرات التي كانت ترفع ملكا وتحط آخرا وفي عام ٤٠٤ ق م مات الملك دارل الثاني وذلك اثناء وجوده في مدينة بابل من اجل الراحة والاستجمام .

ارتحششتا الثاني ٤٠٤-٣٥٩ ق م :

(١) كاد هذا الملك ان يقتل يوم تنويجه في المعبد الخاص بمدينة بزر كادة . اذ هجم عليه اثناء الاحتفال اخوه الاصغر المدعو كورش محاولا طعنه بخنجره ، ولكن محاولته كانت فاشلة . ونتيجة لهذا الحدث تدخلت زوجة دارا الثاني بين ولديها واستطاعت بنوسلاتها ان تصدر العفو بخصوص كورش واعادته ثانية الى حاكمية ولاية اسية الصغرى). لانه كان واليا عليها اثناء حكم والده دارا الثاني . هذا ويبدو من سير الاحداث بان كورش كان حاقدا على اخيه ومصمما على تنحيته من الحكم . فاعلن لذلك العصيان على اخيه وقاد جيشا من اسيا الصغرى والحق به جيشا من الاغريق المرتزقة الذي اشتهر بحملة العشرة آلاف اغريقي ، والمقترنة باسم زينفون الذي ستحدث عنه بعد قليل . وبعد وصول هذا الجيش الى موقع « كوناكسة - Cunaxa » الذي لا يبعد كثيرا عن موقع المسيب الحالي تلاقي مع جيش الملك ارتحششتا الثاني . فنزل كورش اخاه بنفسه وجرح ولكن الملك المذكور قضى على كورش بضربة رمح قوية ارتدته قتيلًا . فانهزمت بذلك جموعه وبعدها نقل الملك ارتحششتا الثاني الى مدينة بابل لتضميد جراحه

زينفون وحملة العشرة آلاف اغريقي (١)

(١) عندما حدثت المعركة بين كورش واخيه كان الاغريق المرتزقة في جناح كورش اليمين معتمدين بنهر الفرات ومنتظرين نتيجة النزال الذي دار بين كورش واخيه . وبعد ان قتل كورش قرر قائدهم عدم الاشتراك في مقابلة الجيش الفارسي ولذلك سمح لهم بالعودة الى بلادهم . وكان من بين جنود هذه الحملة رجل يدعى زينفون الذي قام بتدوين اخبار هذه الحملة منذ انطلاقتها من اسيا الصغرى حتى رجوعها ثانية الى البحر الاسود . وبالنظر لأهمية اخبار هذه الرحلة فنجزها على الشكل التالي : - بدأت حملة كورش من سارديس عاصمة ليدية واجتاز بجيشه ممر كيليكية المؤدى من هضبة الاناضول الى سهل كيليكية باتجاه البحر ، ثم وصل الى طرسوس ، وسلك كورش من بعد طرسوس المعروف بالمجاز السورى الذى يجتاز جبال امانوس باتجاه انطاكية وحلب ، ثم مرّ من مدينة « ايسوس » التي جرت فيها المعركة بين دارا الثالث والاسكندر المقدوني من بعد مائة عام .

Xenophon, Anabasis: The Expedition of Cyrus The Younger.

وبعد ان اجتاز الجيش مدينة حلب وصل الى نهر يسمى « خالسيس » وهو نهر « الباليخ » ثم عبر الفرات من موضع مشهور بأسم « تساكوس » وسار على الشاطئ الايسر منه حتى بلغ نهر « اراكوس » وهو نهر الخابور وبعد مدة من اجتياز هذا النهر يصف لنا زينفون « البادية العربية » وصفا ممتعا ذاكرا فيه حيوانات الصيد كالاحمر الوحشية والابل والحباري والتعام ، وبعدها يصف لنا ما حلّ بالجيش من قلة الطعام والمؤن وما قاسوه من صعوبة سير العربات في الوحل . ويصل الجيش اخيرا الى موقع شمال مدينة الرماذي بنحو خمسين ميلا يسميه زينفون « الابواب » . وبعد ان تاه الجيش مدة اسبوعين تمكن من دخول بابل وملاقاة جيش الملك ارتحششتا الثاني في كونا كسة . وبعد ان سمح للاغريق بالعودة الى بلادهم قرر قائدهم ان يسلك الطريق المحاذي لنهر دجلة . فعبر الجيش المذكور في طريق عودته السور الميدي الذي بناه الملك البابلي نبوخذ نصر ووصلوا الى دجلة قرب موضع سماه زينفون باسم « ستاسة » وعبروا النهر ، ثم ساروا شمالا الى موضع يتصل فيه دجلة بأحد روافده الذي سمي « فسكوكس » وهو نهر العظيم ، واستراحوا قليلا في مدينة « اوبس » وفي هذه المدينة بالذات حدث للاغريق نكبة ، تلك هي ان القائد الفارسي الذي كلف امر مراقبة الاغريق حتى يتركوا حدود المملكة الفارسية قد اقترح على قائد الاغريق عقد مؤتمر حضره قواد الجيش الاغريقي ، ولكن القائد الفارسي قتلهم جميعا . وذلك من اجل شل وحدة هذا الجيش وتجنب احتمال قيامه بخلق بعض المتاعب للامبراطورية الفارسية . وبعد هذه الحادثة انتخب الجند قائدا جديدا لهم هو « زينفون » الذي دون لنا اخبار الحملة المذكورة . وبعدها تابع الاغريق سيرهم حتى وصلوا مدينة نمرود التي سماها زينفون « لاريسا — Larissa » ، وبخصوصها يذكر ما نصه :-

« وصل الاغريق الى ضفة نهر دجلة الذي تقع عليه مدينة كبيرة مهجورة تسمى « لاريسا » محاطة بسور عرضه ٢٥ قدما وارتفاعه ١٠٠ قدم ، اما طوله فيبلغ ١٢ كم . والمدينة مبنية بالطابوق ، اما اسفل جدرانها فمبنية بالحجر الى ارتفاع ٢٠ قدما . وبعد ذلك يتحدث زينفون عن مدينة نينوى فيقول :-

« وصل الاغريق الى سور عظيم مهجور يضم مدينة مهجورة سماها « ميسبلا - Mespila » وكانت مسكونة في السابق من قبل الميديين . وكان عرض قاعدة السور ٢٠ قدما وارتفاعها ٥٠ قدما وعلى هذه القاعدة يقف سور مبنى بالطابوق عرضه ٥٠ قدما وارتفاعه ١٠٠ قدما وطوله ٣٦ كم . علما ان طول سور مدينة نينوى هو ١٢ كم .

(١) ان كلمة **Mespila** باللغة الاكدية تعني المهجور لأنها مشتقة من المصدر **Sapalu** الذي يعني صار الى الاسفل ، اي طمر ، هجر ، هجر ، ويرجح ان الكلمة الواردة في حملة زينفون تقرأ بهضبة ميسلا ولعلها اصل تسمية مدينة الموصل .

ولما وصل الجيش منطقة زاخو يذكر لنا زينفون قوم الكردوجي اي الاكراد . ويصفهم بأنهم محاربون اشداء يعيشون في الجبال ولا يطيعون الملك ، ثم ساروا الى جزيرة بن عمر ودخلوا اناسي التركية وواصلوا سيرهم حتى وصلوا في النهاية الى البحر الاسود . وكان ذلك في عام ٤ ق.م .

هذا وقد حاول الملك ارتحششتا الثاني الذي سماه اليونانيون « منيمون - Mnemon » دة اخضاع ولاية مصر ، التي ثارت في اواخر حكم الملك دارا الثاني . لأن انفصال الولاية كورة قد اضر كثيرا بوارد الدولة الاخمينية من الحبوب ولكن محاولته قد باءت بالفشل . من الأعمال الأخرى لهذا الملك تدخله في الحرب الكورنتية التي كانت دائرة بيننا واسبارطة والمدن المؤازرة لهما . وقد استطاع من خلال ذلك ان يفرض شروطه على الاطراف . قبلت بالتفاوض من اجل انتهاء الحرب المذكورة . حيث اجتمعوا في عام ٣٨٧ ق.م في مدينة سارديس عاصمة ليدية وقرأ عليهم نص المعاهدة التي عرفت بأسم « سلام الملك » . جاء فيها ما يلي :- « ارتحششتا (الثاني) الملك العظيم ، الذي يجد ذلك حقا بان تعود سيادته جميع مدن آسيا الصغرى . اما قبرص وبقية الجزر اليونانية الصغيرة فيجب ان تحصل من استقلالها ماعدا « ليمنوس - Lemnos » و « امبروس - Imbros » « سكيروس - Skyros » . فأنها تعود الى اثينا وذلك بسبب تبعيتها السابقة لاثينا . فأصبحت بذلك معظم المدن الايونية تحت سيطرة الامبراطورية الفارسية الاخمينية . كن معاهدة « سلام الملك » لم تتمكن من احلال الهدوء الدائم في اسيا الصغرى . ان العداء الذي كان موجودا بين ولاية اسية الصغرى قد ادى الى نشوب الحروب فيما بينهم . في شجع على اتساع هذه الحروب كثرة اليونانيين المرتزقة . اذ ان انتهاء الحروب بلوبيزية (٤٥٧ - ٤٤٥ ق م) قد جعلت حياة اليونانيين بلا هدف ينشغلون به لذلك ثابوا يقاتلون مع اية جهة تمنحهم المال . وقد سبق وان رأينا كيف أن حملة زينفون كانت بألفة من عشرة آلاف يوناني مرتزق . والحقيقة ان الحروب التي نشبت بين بعض ولاة اسيا صغرى قد اضررت بهيبة الامبراطورية الفارسية مما اضطر ذلك الملك ارتحششتا الثاني ان يد حملة بنفسه من اجل اعادة الامور الى نصابها . ولكن الملك المذكور قد مات والاضطرابات تزال تسرد معظم اجزاء الامبراطورية الفارسية .

تحششتا الثالث ٣٥٩-٣٣٨ ق.م :

لقد استطاع هذا الملك بأمكانياته الحربية وقدرته السياسية ان يعيد لمرة الدولة الفارسية على معظم الاجزاء التي حاولت الانفصال وخاصة ثورة الولاة في اسيا صغرى . وبعد ان تم له ذلك صمم على استعادة ولاية مصر التي انفصلت عن جسم الامبراطورية

الآخمينية مدة ستين عاما . وقد مهد لهذا الاحتلال بابرام معاهدة مع دولة مقدونية اتفقت على ضرورة اقامة سلم متبادل بين بلاد فارس ودولة مقدونية . وبعد ذلك سيطر على جزيرتي قبرص وسيدون وفنهما انقض في شتاء عام ٣٤٣/٤٢ ق.م على مصر وتمكن من احتلالها . وكانت حملته على مصر بقيادة شخص يدعى « باكواس - Bagoas » وبالنظر لانفصال ولاية مصر مدة ستين عاما عن جسم الامبراطورية الآخمينية ، ذلك الانفصال الذي اضر كثيرا بواردات الدولة الفارسية من الحبوب ، فقد عامل الملك ارتخششتا الثالث ولاية مصر معاملة سيئة . اذ قام بذبح الثور المقدس « آبيس Apis » وأكل في وليمة اقامها الملك المذكور لاصحابه وقدم للمصريين الحمار بدلا من ثورهم المقدس . باحتلال الملك لولاية مصر استطاع ان يعيد للامبراطورية الآخمينية هيئتها ومكانتها بين دول المنطقة واثبت بذلك على قدرته العالية في الحكم . ولكن مؤامرات البلاط الفارسي قد تسببت في موت هذا الملك مسموما على يد قائده « باكواس » . والحقيقة ان فترة حكم هذا الملك يمكننا ان نصفها بصحوة الموت بالنسبة للامبراطورية الفارسية الآخمينية .

الملك ارسيس ٣٢٨-٣٣٦ ق.م والملك دارا الثالث ٣٣٦-٣٣٠ ق.م

وهو الابن الصغير للملك ارتخششتا الثالث . وقد اعتلى العرش بتدبير من « باكواس » الذي قام بسم والده . وبعد سنتين من بقاءه على عرش الامبراطورية الآخمينية قام باكواس بقتله بنفس الاسلوب الذي استخدمه مع والده . وبذلك فسخ المجال للملك دارا الثالث (الذي لا يعود الى البيت الحاكم مباشرة) لان يعتلي العرش من بعد ارسيس . والحقيقة لا توجد لدينا معلومات كافية عن فترة حكم هذا الملك ولكننا نستطيع ان نتصور بأنه كان لعبة بيد باكواس .

ان اول عمل قام به هذا الملك هو اجباره القائد باكواس ان يشرب السم من قدح قدمه له الملك نفسه وبذلك تخلص دارا من تدخلاته ومؤامراته على البيت الحاكم . وبالرغم من قدرة هذا الملك فإنه لم يتمكن من انقاذ الامبراطورية الآخمينية من الخطر الذي كان يهددها من جراء ظهور دولة مقدونية وشخصية الاسكندر المقدوني كما سنبين ذلك في المبحث الثاني .

المبحث الثاني:

الاسكندر المقدوني وفتوحاته في الشرق

ان ظهور الاسكندر المقدوني يمثل في الواقع حدا فاصلا بين فترتين زمنيتين متميزتين

من تاريخ العالم . اذ ان فتوحاته الواسعة قد ادت الى امتزاج الحضارة الهلينية بالحضارات الشرقية القديمة ومنها الفارسية وبقية الحضارات الشرقية . وقد تمخض عن هذا الامتزاج ظهور حضارة جديدة ذات طابع متميز يطلق عليه الحضارة الهلنستية (Hellenistic) اي الشبيهة بالهلينية وهي الحضارة اليونانية الصرفة .

[ولد الاسكندر ابن الملك فيليب الثاني ملك دولة مقدونية في صيف عام ٣٥٦ ق.م . وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره دعا والده الفيلسوف اليوناني ارسطو طاليس لريادة مقدونية واختاره ليكون معلما ومربيا خاصا لابنه . وعلى قدر تأثير طبع الاسكندر وسلوكه بغيره ، فانه تأثر بمعلمه ارسطو طاليس وبأمله « اولمبياس » فأنطبع في نفسه تعاليم ذلك الفيلسوف ، الذي كان يدعى ————— الى الاعتدال الذي و—————هده ه—————

الذي يحفظ كيان الملك ويصون الدول —————) كما ان تأثره بام—————ه وهي امرأة لم تكن تعرف اي معنى للأعتدال ، فقد كانت متسلطة سريعة الانفعال ، قد جعل طبيعته قريبة الشبه الى حد كبير من طبيعة امه بالرغم من انه قد ورث عن والده فيليب الثاني صفات الجلد وصلابة العود والمهارة في معالجة الامور والموهبة العسكرية .

وعندما بلغ الاسكندر عشرين عاما من عمره خلف ابيه على عرش مقدونية . وكان ذلك عام ٣٣٦ ق.م اي في نفس السنة التي تولي فيها الملك الفارسي دارا الثاني . ورغم الاضطرابات التي عانتها مدن حلف كورنثية على اثر اغتيال فيليب الثاني فان الاسكندر المقدوني قد تمكن بموهبة العسكرية من اعادة الاوضاع الى سابق عهدها . وصمم على تنفيذ خطة والده التي كانت ترمي الى احتلال بلاد فارس ، وبالفعل فقد وافق اعضاء الحلف على توليته قيادة الحملة على فارس فاستعد لها الاسكندر خيرا استعدادا . وفي ربيع عام ٣٣٤ ق.م عبر الاسكندر المقدوني مضيق الدردنيل بوصفه القائد الاعلى لجيش مقدونية وحلف كورنثية ومن الجدير ذكره بهذا الخصوص هو ان الاسكندر المقدوني قد رمى من سفينة وهو يعبر مضيق الدردنيل رمحه على الاراضي الآسيوية وذلك تعبيرا رمزيا منه على احتلال جزء من هذه الاراضي بواسطة رمحه . كان جيش الاسكندر يتألف من ثلاثين ألفا من المشاة واما يزيد على خمسة آلاف من الفرسان . ومن بين قوات المشاة التابعة للاسكندر كان اثنا عشر ألفا من المقدونيين يؤلفون فيلقا عدده تسعة آلاف جندي مقسمين على ست فرق اقليمية ، وثلاث آلاف من حملة الدروع يؤلفون ثلاث فرق . وكان في الحملة ايضا اثنا عشر ألفا من اليونانيين يتألفون من الحلفاء والمرزقة ، اما بقية المشاة فكانوا يحملون اسلحة خفيفة وهم من المدن التابعة الى حلف كورنثية مثل الكريتيين والتراقيين وكان مشاة الحلف يستخدمون بصفة خاصة في الحاميات وفي المحافظة على خطوط المواصلات .

(وتميزت فرقة خاصة من الفرسان في جيش الاسكندر المقدوني عرفت بالرفقاء او الاصحاب الذين يمثلون رجال الملك وكانوا مقسمين الى ثماني فصائل اقليمية) وازضافة الى ذلك فقد كان في صحبة الاسكندر لفيف من الفلاسفة ورجال الادب وعدد من الفنيين اليونانيين والمهندسين الذين كانوا يضطلعون بأقامة ادوات الحصار ، كما كان هناك مهندسون لاعمال الري ومساقط المياه وشؤون التعدين وآخرون للانشاء والتعمير . وكان ضمن جيش الاسكندر أيضا فئة مختصة بشؤون المساحة ، ومن ابرز اعمال هذه الفئة جمع المعلومات عن الطرق والاماكن التي تصلح لأقامة معسكرات الجند وتسجيل المسافات التي يقطعها الجيش في مسيره . وقد بقيت سجلات هذه الفئة التي كان الاسكندر يقوم بمراجعتها ، العماد الذي قامت عليه جغرافية آسية لأمد طويل . وزيادة على ذلك فقد كانت الهيئة الادارية للجيش تصدر جريدة يومية تمثل السجل اليومي للحملة . وبينما كان جيش الاسكندر ينتقل عبر مضيق الدردنيل ، عمد الاسكندر الى التوقف في « اليوم - Ilium » (= طروادة) وقدم القرابين والتضحيات في معبد الالهة اثينا واخذ المدرع المقدس ، الذي قد ان يكون له الفضل في انقاذ حياته . وبعد ذلك اعلن الاسكندر ان « اليوم = طروادة » اصبحت حرة وعادت اليها الديمقراطية والغيث عنها الجزية التي كانت تدفعها للفرس . ثم لحق بجيشه بعدئذ وزحف به شمالا بمحاذاة الشاطي ليلتقي بالقوة الفارسية التي كان قد اعدّها وجهزها على عجل ولإة الفرس على المقاطعات المتاخمة للشاطي (وقد لاقى جيش الاسكندر هذه القوة الفارسية عند نهر « الغرليق » (جرانيكوس - Granicus)

وتمكن من دحرها في معركة ملتحمة كاد الاسكندر يفقد فيها حياته . لان خطة الجيش الفارسي في هذه المعركة كانت تستهدف الاسكندر المقدوني نفسه ، الذي كان باديا للبيان بما يلوح من الاجنحة البيضاء فوق خوذته) . ولهذا السبب فقد ركز قواد الفرس هجومهم على الاسكندر وانقضوا بأشخاصهم عليه مستميتين في محاولة يائسة ابتغناء قتله . وفي احدى لحظات هذه المحاولة كادوا ان ينجحوا . وكان الفضل في انقاذ الاسكندر ونجاته سرعة وخفة حركة احد اتباعه المدعو « كليتوس » . وبعد دحر القوات الفارسية اعلن الاسكندريين جميع مدن اسية الصغرى الساحلية بأنه قد اتى من اجل اعادة الديمقراطية والسماح لكل مدينة بان تسترد حقها في التمتع بقوانينها الخاصة بها ثم الغاء الجزية التي كانت تدفع الى الفرس . ولذلك فقد كان الديمقراطيون في مدينة تلو الاخرى يعملون على قلب الحكومات الموالية للفرس . وبعد ذلك زحف جيش الاسكندر الى الجنوب وسلك

من « سارديس » نفس الطريق الذي سلكه كورش في حملته المعروفة باسم حملة زينفون .
أي انه مرّ من طرسوس ثم الى الباب السورى المؤدى من كيليكية الى شمالي سورية .
اما الملك الفارسي دارا الثالث فقد استطاع ان يحشد جيشا قوامه ٤٠ ٠٠٠ رجل وزحف
للدفاع عن مملكته ، ولكنه سار في الطريق الجبلي حاسبا انه سيلاقى الاسكندر فأنظره
في مجازات جبال انسي طوروس . وعندما وصل الى « توير اكاله » وجد نفسه في مؤخرة
الاسكندر الذى كان يستهدف « سكل - توتان » ، وعندما كان الاسكندر يقترب من سورية
اعتاقه زبقة في « مرياندوس » في الوقت الذى بلغته الانباء عن مكان دارا الثالث فرجع
في اثره وتلاقى الجيشان على جانبي مجرى ماء في « ايسوس » فجرت اولى المعارك الكبيرة
التي انهزم فيها الجيش الفارسي وادى الى فرار الملك دارا الثالث فاخذت عرته وحاشيته في الاسر .
اما خيمته البديعة في تركيبها واعدادها فقد صارت المثل الاول الذى عرف منه المقدونيون
مبلغ ما كان عليه الترف الفارسي . وعندما جلس الاسكندر الى مائدة الملك دارا الثالث
قال « هذا ، فيما اعتقد ، هو الملك حقا » ولم يكن الاسكندر في قوله هذا متهكما كل التهكم .
بينما كان يتناول العشاء سمع عويل نساء ، وعلم أنهم أم دارا وزوجته وبناته ، ممن وقعن في الاسر ،
وكن يبكين ويندبن لموت دارا ، فبعث اليهن احد اتباعه ليلغن ان دارا لم يمت ، وأنهن
آمنات تماما ، وسوف يلتقين من المنزل وحسن المعاملة مثل ماكن يلقبه من قبل . ولم يقع
بصر الاسكندر ابدا على زوجة دارا الثالث ، كما لم يسمح بأن يشار الى جمالها من طرف
خفي امامه . ولكنه تزوج في آخر الامر من احدى بنات الملك دارا .
وبعد انتصار جيش الاسكندر في معركة « ايسوس » ارسل خطابا الى الملك دارا يخبره فيه
بان الاسكندر اصبح فعلا ملك اسيا . فاذا احتاج دارا شيئا ما فعليه ان يكتب بوصفه تابعا
الى سيده الاسكندر المقدوني » .

(كان هدف الاسكندر من هذا الخطاب استفزاز دارا وحته على القتال ، لان الاسكندر
قد قرر بعد معركة ايسوس عدم ملاحقة دارا الى قلب اسيا بل التوجه جنوبا للسيطرة على
فينيقيّة وبلاد الشام ومصر . هذا وقد خضعت له كل المدن الساحليّة
الا مدينة صور ، فكان حصارها ثم فتحها عام ٣٣٢ ق م) من اصعب مشاريع الاسكندر
البحرية ولذلك فقد دمرها بعنف . هذا وان خضوع بلاد الشام بما فيها مدينة دمشق قد حل
بصاعب الاسكندر المالية . لان دمشق كانت تحتوى على خزانة الحرب الفارسية .
قبل سقوط مدينة صور تسلم الاسكندر المقدوني رد الملك دارا على الخطاب الذى بعثه اليه .
قد عرض فيه دارا عشرة آلاف وزنة (تالنت) من الفضة فدية عن عائلته ، كما عرض عليه

لزوج من ابنته ثمناً للسلم بينهما والتخلي للأسكندر عن جميع الاراضي الواقعة غرب الفرات .
وقد روى أنه عندما بدأ الاسكندر يبحث اقتراح دارا في مجلس الشورى قال له « بارمينيون »
احد اصحاب الاسكندر : « لو كنت مكانك لقبلت » فرد الاسكندر على ذلك بالجواب
المشهور : « وكذلك كنت افعل لو كنت مكانك » .

وبدلاً من ان يقبل الاسكندر ذلك الاقتراح قصد مصر بعد ان حاصر مدينة غزة زهاء شهرين
ووصل الى مصر في اواخر شهر تشرين الثاني
ثاني ٣٣٢ ق . م ، فسارع الوالي الفارسي الى الخضوع
والاستسلام ، لأنه كان على بينة من مزاج الشعب المصري وميوله ومشاعره مما لا سبيل
الى الخطأ في تقديرها ، واصبح المصريون يرون في الاسكندر الآخذ لهم بالثار من الفرس .
وعندما وصل الاسكندر المقدوني الى منفس قدم القرابين الى الثور المقدس ونسج هناك
باعتباره فرعون مصر . وبعدها عاد الى شاطئ البحر ووضع على مقربة من بلدة « راقودة »
بمحاذ الشاطئ حدود مدينة قدر لها ان تكون احدى المدن العظيمة على نوالي العصور وهي
مدينة الاسكندرية . واثناء وجود الاسكندر في مصر قام بصحبة زمرة قليلة من اتباعه برحلته
المشهورة الى مزار الاله آمون في واحة آمون .

وبعد رجوعه من واحة آمون توجه الى العراق من قرب دير الزور فسار شرقا الى دجلة وعبره
بمسافة قليلة الى شمالي الموصل . وتوجه بعد ذلك الى قرية « كوكميلة » ، حيث وجد دارا
معسكراً هناك فجرت المعركة بين الجيشين . وعندما رأى دارا تمزق قواته ادار عرته وانهزم بعيداً
عن ارض المعركة ولكن حرسه من المشاة صمدوا في وجه فيلق الاسكندر فترة من الزمان كانت
كافية لتمكن الملك الفارسي من ان يلوذ بالفرار . وقرية كوكميلة تقع على نهر الخازر
شمال غربي مدينة اربيل بنحو عشرين ميلاً . حيث ان المعلومات الخاصة بهذه المعركة
تشير الى ان الاسكندر المقدوني قد جلب الغنائم بعد انتهاء المعركة الى اربيل الواقعة الى
الجنوب الغربي من موضع المعركة بعشرين ميلاً .

لقد بذلت القيادة الفارسية من جل كوكميلة جهوداً مضنية في سبيل لـ شـمـل
جيش تستطيع به ان تصمد لقهر الاسكندر . ولكنها كانت مهمه ميثوسا منها ، اذ كيف يمكن
يمكن ان يتم بطريق الارتجال في سنة ونصف انشاء قوة قادرة على الصمود امام جيش
محترف يتموده قائد محنك . ولكن مع هذا فان القوات الفارسية رغم فقدانها العديد من
الاياتها قامت بجهد مشكور ، ولو أنها لم تستطع ان تتخذ اهم خطوة ضرورية على الاطلاق ،
وعني بها تنحية دارا عن تولي قيادة الجيش في ساحة القتال . فقد استدعيت أفضل وحدات

الفرسان من بين القوات المعبأ في جيش الامبراطورية الاخمينية واعيد تسليحها بحراب صغيرة
ولا من الزمخ ، ولكن الصعوبة التي واجهت القوة الفارسية كانت في تدبير المشاة ،
المرتزة اليونانية لم يعد في الامكان الحصص
عليهم . ولذلك فان خطة الفرس كانت تنطوي على تحاشي الاشتباك في معركة فاصلة ، ومحاولة
تهلك قوى الاسكندر باستخدام ما لديهم من قوة الفرسان البارة . ولكن لما كانت كرامة الملك
اعظم تستلزم الالتحام بصورة رسمية ، وليس من سبيل الى كسب النصر بواسطة قوة الفرسان
حدهم ، فان الضرورة القصوى حتمت عليهم ان يعمدوا الى استخدام عربات اشبه في صورتها
بالمناجل رغم ان العهد قد طال على اهمال استخدام مثل هذه العربات .

(اما الاسكندر المقدوني فقد حشد لمعركة كوكميلة اكبر جيش تولى امرته على الاطلاق وكان
يتألف من أربعين ألفا من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان . وقد هب الاسكندر لهذا الجيش عشاء
ايضا ووفر لرجاله نوما هادئا) في الوقت الذي كان فيه الجيش الفارسي مدججا بالسلاح طوال
ليل . وفي صباح اليوم التالي المصادف الاول من تشرين الاول من عام ٣٣١ بدأت المعركة
كان النصر فيها لجيش الاسكندر كما ذكرنا بعد هذا الانتصار مكث الاسكندر قليلا في
قبة اربيل ثم سار منحدرًا الى بابل . التي لم يلاق فيها خربا بل ان الحاكم الفارسي
مازيوس سلم المدينة الى الفاتح . ولذلك فقد نصب الاسكندر « مازيوس » واليا عليها ، فكانت
هذه اول مرة يعين فيها الاسكندر فارسيا . ولكنه لم يخول الوالي اية سلطات عسكرية ، بل
بين قائدا مقدونيا كما عين كذلك مشرفا على الشؤون المالية . ومنذ ذلك الحين ، كان كلما
بين واليا فارسيا ، قسم السلطات الثلاث ، وهي المدنية والعسكرية والمالية ، فكان يقصي الفرس
كلما عن تولي السلطة العسكرية .

(واعاد الاسكندر عادات بابل القومية الى ما كانت عليه ، والقى في روع السكان انه خلصهم
من اضطهاد البرابرة وأمر باعادة بناء المعابد التي دمرها احشويرش الاول وخاصة معبد « ايساكيل » ،
معبد الاله مردوخ في بابل) وبعد ذلك توغل الى بلاد فارس فاحتل مدينة سوسة عاصمة عيلام
من ثم مدينة برسيبوليس عاصمة الامبراطورية الاخمينية ذات القصور المحصنة التي جعلها
اول الاول فخر السلالة الاخمينية . وقد مكث الاسكندر في مدينة « برسيبوليس » اربعة اشهر
يغمس في خلالاتها في ولائم وافراح ، وقد احرق قصر الملك احشويرش الاول ليكون ذلك عبرة
لها وايضا بان معبد ايساكيل هو المعبد العظيم في بابل ، الذي سبق وان خربه احشويرش
اول . اما القصة الدائنة عن تلك الوليمة التي اقامها الاسكندر وكيف ان تاييس قس

(تلخص قصة تاييس Thais في ان الاسكندر المقدوني قد احرق في آخر وليمة من ولائمه قصر الملك
الفارسي ، وذلك عندما ثل القوم اقترحت احدى البغايا اليونانيات والتي كادت تسمى تاييس ان تضرم
النار في القصر ، الذي طالما وضعت فيه خطط تدمير بلاد اليونان ، فبدأ الاسكندر بالشعلة الاولى فتوهج البناء
الشامخ بالنار التي التهمت اخشاب الارز الثمينة والزخارف المنحوتة .

حنته على اشعال النيران ، فما هي الا حديث خرافة ، واسطورة روائية . وتوجه الاسكندر من « بوسبوليس » الى « اكبتانا » العاصمة الميدية ، حيث ان الملك دارا الثالث واتباعه قد فروا اليها بعد هزيمتهم في معركة كوكميلة . وعندما وصل الاسكندر الى العاصمة المذكورة غادرها دارا واتباعه متراجعين الى منطقة افغانستان ، ولكن الاسكندر استمر في مطاردتهم . وما ان وصل على مقربة من مكان يدعى « شاهرود » حتى رأى سحبا من الغبار والتراب تدل على ان العدو سيلوذ بالفرار . وفي اثناء الفرار هذا قام احد الجنود الفرس بطعن الملك دارا وتركه يعاني سكرات الموت . ومن حسن حظه انه مات قبل ان يصل اليه الاسكندر بقليل . ويقال بأن الاسكندر المقدوني قد غطى بعباته الارجوانية جثة دارا ونقلها الى بوسبوليس لتدفن هناك . وبعد ذلك تابع تقدمه الى اواسط آسيا وشمالى الهند ، وعند رجوعه مر ببلاد السند . وفي هذه الاثناء بدأ التذمر والسخط يعمان جيش الاسكندر الذي لم يعد يعرف في اية نقطة من العالم سيتهي بها هدفه . ولذلك فقد اضطر الاسكندر على العودة الى سوسا . وفي هذه المدينة وقعت واقعة لها طرافتها . اذ يقال بان الاسكندر اثناء اقامته في الهند قد شغف بفريق من النساك والمتشفيين الذين عكفوا على حياة التأمل والنسك في الغابة . وان أحد هؤلاء النساك المدعو « كالانوس » قد رافق جيش الاسكندر في رجوعه من الهند . وفي مدينة سوسا ألم المرض بكالانوس وأسّر الى الاسكندر بأنه اصبح يائسا من الحياة . وقد انكر عليه الاسكندر هذا اليأس ، ولكن كالانوس نفذ ما اراد حيث اقيمت كومة من الحطب ، اعدت لحرق الجثث ، وألقى ذلك الهندي بنفسه حيا في النار وعلى مرأى من الجيش ، بينما كانت الابواق تدوى والقبيلة تؤدى السلام الملكي . وقد قيل بان كالانوس قد تنبأ بموت الاسكندر ، فودع القواد ولكنه لم يودع الاسكندر مكتفيا بقوله له « سوف نلتقي مرة أخرى في مدينة بابل » . وفي سوسة كذلك بدأ الاسكندر سياسة جديدة تهدف الى مداراة الفرس واشراكهم في الحكم ، حتى انه أَلَف جيشا من الايرانيين الشبان ليتدربوا على اساليب الحرب الغريبة . كما شرع في تحقيق اصلاحه الخاص بدمج الغرب بالشرق ، حيث تزوج زو فة فارسية وهي ابنة الملك دارا ، وحذا حذوه ثمانون قائدا من قواده وعشرة آلاف جندي من جنوده . ومن بعد ذلك رجع الى بابل ومنها اقلع الى اعالي دجلة حتى « اوبس » وقد اظهر اتباعه في اوبس تدمرا عظيما مما ادى الى اعلان الجيش برمه العصيان السافر . وطلب الجميع السماح لهم بالعودة الى اوطانهم . فثارت لذلك ثائرة الاسكندر واشتد غضبه . وبعد ان امر حراسه بالفناء القبض على زعماء الثورة ، ألقى خطبة حماسية في قوات الجيش وختمها بتسريح الجيش كله واعفائه من خدمته . وفيما يلي الجزء الاخير من خطابه الخاص بتسريح الجيش :

« والآن بما انكم جميعا ترغبون في الرحيل ، اذهبوا الى حال سبيلكم وبلغوا الأهل والايخوان في الوطن انكم ناكصون على أعقابكم بعد ان تخليتم عن مليكم الذي قادكم من نصر الى نصر في انحاء العالم ، تاركين اياه تحت رحمة الاجانب الذين غزا بلادهم . وما لا ريب فيه ان اقوالكم سوف تجلب لكم مديح الناس وتحل عليكم بركة السماء ، اذهبوا ... » . وبعد خطبته هذه اعتكف الاسكندر لمدة يومين ومن ثم دعا زعماء الفرس للحضور اليه واخذ يؤلف جيشا فارسيا . وبهذا استطاع ان يفت في عضد المقدونيين الذين استسلموا صاغرين وتجمعوا امام مركز قيادة الاسكندر وتعاليت اصواتهم بأنهم لن يذهبوا الا اذا صفح عنهم واشفق عليهم . فأطل عليهم ووقف بينهم والدموع منهمة على خديه . وهنا انبرى احدهم بقوله « انك اتخذت من الفرس اصهارا لك » فاعترضه الاسكندر بقوله « ولكنني اتخذت منكم جميعا اصهارا لي » وعلى اثر ذلك علا هتاف الجيش مدويا في جميع الارحاء بالاستحسان . وانهاه الجميع عليه بالعناق والتقبيل وبذا تم الصلح ، الذي اعقبه اعداد وليمة كبرى ضمت تسعة آلاف ضيف .

(وبعد ذلك وجه الاسكندر عنايته واهتمامه نحو الخليج العربي ، فأتخذ الخطوات الكفيلة بضمان سبل المواصلات والعمل على تحسينها بين بلاد بابل والخليج العربي وذلك بازالة السكور والعقبات التي كان يقيمها الفرس الاخمينيون في وجه الملاحة الحرة في نهر دجلة) . كما عمل على تأسيس « اسكندرية » على الخليج العربي عند مصب دجلة فيه . وهي التي اصبحت مركزا مهما للتجارة . ثم شرع في بناء حوض ضخم للسفن التجارية في مدينة بابل ، البحرية الكبرى بما في ذلك المراكب ذات الطبقات الخمس من المجدفين التي تم صنعها في فينيقية . ويبدو ان الهدف الاساسي من حملته ان تكون ذات غرضين الاول حرب — والثاني استكشافي . ولكن المعلومات المتوفرة تؤكد ان الاسكندر لم يكن يقصد ان يجعل من بلاد العرب ولاية تابعة له لان معرفته بأحوال بلاد العرب كانت ضئيلة جدا . وعلى كل حال فإن قائد قواته البحرية « نيارخوس » قد حاول كمرحلة تمهيدية ان يطوف حول شواطئ الجزيرة العربية . فبعث بسفينة من خليج السويس وجهتها صوب الجنوب ، فوصلت الى اليمن ، بلاد البخور وحضرموت ، كما ارسل ثلاث سفن اخرى للمسير جنوبا

(١) في زمن الاسكندر كان دجلة والفرات يصبان مباشرة في الخليج العربي ، حيث لم يكن قد تكون شط العرب من التقاء النهرين . ومصبهما القديم يبعد حوالي ١٢٠ كم عن ميناء الفاو الحالي .

في الخليج العربي . حتى خليج السويس واكتشفت إحدى هذه السفن جزيرة البحرين . وبعد ذلك بدأ الاسكندر استعداداته لغزو بلاد العرب . وفي هذه الاثناء اصابته حمى لم يقو على تحملها جسمه لينته ، بعد ان اضعفها الاجهاد البالغ وما اصاب به من جروح . وقد روت الجريدة الرسمية لجيش الاسكندر أنه واصل لبضعة ايام عمل الاستعدادات وكان في اثنائها يقدم القرابين المألوفة ، وناقش شؤون الحملة مع قواده حتى اقعه المرض عن الحركة . وعندئذ نقل الى قصر الملك البابلي نبوخذ نصر بعد ان كان قد فقد النطق وعجز عن الكلام . وبعد نقله الى القصر المذكور أصر رجال الجيش على رؤيته ، ولم يقبلوا بديلا لهذا المطلب . وفي صمت وسكوت مرت صفوف الجند القدامى في الحجرة التي كان يرقد فيها ملكهم وهو على فراش الموت ، ولا حول له ولا قوة سوى مجرد رفع رأسه كعنوان على الاعتراف بالتقدير والوداع . وعقب ذلك بيومين عند مغرب الشمس فاضت روحه ، وكان ذلك في اليوم الثالث عشر من شهر حزيران عام ٣٢٣ ق.م ولم يكن قد أتم من عمره بعد ثلاثة وثلاثين عاما ، وقد حكم اثني عشر عاما وثمانية اشهر .

والحقيقة انه من حسن حظ الاسكندر ان يموت في الوقت الذي كانت فيه شهرته قد بلغت الاوج ، اذ لم يكن من المتوقع لها ان تزداد بل كان من المحتمل جدا ان تبدأ بالتناقض . اذ ان بؤادر الغرور والعجب بالنفس اخذت تبدو في سلوكه . ولو انه عاش أكثر من ذلك لأرتكب على ما يرجع اخطاء تحط من شهرته الفذة التي اكتسبها . وكان من اولى بؤادر الغرور في حياة الاسكندر ادخاله عام ٣٢٧ ق.م عادة السجود امام الملك . وكان يتوجب بمقتضاها على جميع من يقتربون من الملك ان يؤدوها . وفي الواقع ان عادة السجود بالنسبة للفرس امر اقتضته الشعائر الرسمية ، فملوك الاخمينيين ليسوا بالآلهة في السجود في نظر الفرس ما يتضمن عبادة ولكنه في نظر اليونانيين والمقدونيين كان ينطوي على عبادة حقه ، وما كان الانسان عندهم ليسجد الا للآلهة . وبالتأكيد كان الاسكندر على بينة تامة من الكيفية التي لا بد ان يفسر اليونانيون بها ذلك السجود . وبناء على ذلك فهو لا بد وان كان ينبغي ان يصبح الها في امبراطوريته . ومما يؤكد رغبته هذه أنه كتب مرة الى ارسطو طاليس بأنه لا يوجد له نظير ، وان صاحب السلطة والكلمة العليا اذا ماتولى ، يصبح مثله الاله بين الناس . وبالفعل فقد قدم الاسكندر طلبا الى مدن حلف كورنثة ان تعتبره الها . ولم تراغب مدن الحلف حتى اسبارطة اى صعوبة في قبول ذلك وتقدمت صاغرة الى تأليهه .

الفصل الرابع

ايران في العهد السلوقي

المبحث الاول : تقسيم امبراطورية الاسكندر وقيام الدولة السلوقية :

ان الامبراطورية او الدولة العالمية التي اسسها الاسكندر الكبير بفتوحاته في الشرق والتي اوجرتها لم تبق من بعد وفاته سالمة موحدة ، ولم يكن من يخلف الاسكندر على العرش الا اخ اصغر منه كان مضطرب العقل ، كما ولدت زوجته ، روكسانه ابنا ضاع حقه في خلافه الاسكندر في خضم الصراع والتزع اللذين نشبا بين قواده وولاته الذين احتربوا فيما بينهم زهاء اثنين واربعين عاما ، وقد برز من بينهم ثلاثة من مشاهير قواده استطاعوا ان يقتسموا امبراطوريته . فصارت مصر من حصته القائد المسمى ((بطليموس)) الذي اسس اسرة البطالسة او البطالمة التي حكمت مصر من مطلع القرن الثالث ق م الى الفتح الروماني لمصر عام ٣٠ ق م . وصارت بلاد مقدونية من حصة القائد المسمى انتيكونس ، وحصل القائد الثالث (سلوقس) على بلاد الشام والعراق وايران . وهكذا دخلت بلاد ايران تحت حكم السلوقيين الذي دام من حدود ٣١١ الى ٢٤٧ ق م حيث استقلت ايران تحت حكم اسرة (البارثين) الذي سنفوذ لحكمهم في ايران فصلا خاصا .

نميز القائد سلوقس الذي دخلت تحت حكمه ايران بجملة صفات جعلته من اشهر قواد الاسكندر وحكام العالم القديم ، ومن بين ذلك احتداؤه حذو الاسكندر فسي مثله العليا وتعلقه بالثقافة الهلينة (اليونانية) والعمل على نشرها في الاقاليم الشرقية فالتقت ثقافات الشرق القديم بالثقافة اليونانية ونتاج عن ذلك الامتزاج ما سبق ان نوهنا به وهي الحضارة « الهلنسية » (Hellenistic) أي الشبيهة بالهلينية - اليونانية (Hellenic) . وكان سلوقس أيضا على معرفة تامة ببلاد ايران واهلها ، فقد حصل على هذه المعرفة يوم صار قائدا في عهد الاسكندر على جيش مؤلف من المقدونيين والفرس ، وقد تزوج نفسه بأميرة فارسية هي المسماة « افامه » (Apama) ونشج عن هذا الزواج السلالة السلوقية من خلفاء سلوقس وقد سميت باسمها اربع مدن شهيرة في بلاد الشام شيدتها سلوقس اشتهرت من بينها « أفامية » على نهر العاصي (Orantes)

وقد دخلت في حكم سلوقس احسن اجزاء الامبراطورية الفارسية الاخمينية باستثناء التخم
الشرقية التي تنازل عنها الى ملك الهند « جندراكوتا » مقابل اهدائه فيلة كان سلوقس بحاجة
اليها في جيوشه للمحافظة على الحدود الغربية . وقد وضع سلوقس الاسس الادارية
والسياسية والاقتصادية للامبراطورية السلوقية ، وفي مقدمة ذلك انه قسمها تقريبا الى قسمين
ئيسيين . هما القسم الشرقي الذي جعل عاصمته مدينة سلوقية التي شيدها نفسه على دجلة
في العراق (وتعرف بقاياها الآن على الضفة اليمنى او الغربية باسم تل عمر مقابل طيسفون ،
في طاق كسرى بالقرب من سلمان باك) وكانت احدي المراكز الرئيسية التي سماها الجغرافيون
مرب باسم المدائن) . وجعل عاصمة القسم الغربي اي بلاد الشام ، مدينة جديدة هي انطاكية
الشهيرة التي شيدها في عام ٣٠٠ ق.م . وقد سميت باسم ابيه انطيوخس . وصارت انطاكية
من اشهر مدن العالم القديم واغناها وقد توافقت الاسكندرانية في سيرورتها مركزا بارزا من مراكز
الحضارة الهلنستية .

وقد اثيرك سلوقس في الحكم ابيه انطيوخس الاول (٢٨٠ - ٢٦١ ق.م) وجعله واليا
على القسم الشرقي من الامبراطورية السلوقية واتخذ مقره في سلوقية دجلة ومع ان هذه المدينة
استمرت في اهميتها ومركزها بيد ان اتخاذ الملك سلوقس انطاكية مقر حكمه يشير الى تبدل
في اتجاه السلوقيين في نقل اهتمامهم وادارتهم من الاجزاء الشرقية الى الاقسام الغربية
من الامبراطورية ، ولعل هذا كان على رأس العوامل التي جعلت حكمهم في ايران والعراق لم
يتم زماما طويلا اذ سرعان ما استطاعوا ان ينفصلا عن الحكم السلوقي . وكان انفصال ايران قد
حدث في زمن اقدم حيث استقل الفرثيون عن التبعية السلوقية في حدود عام ٢٤٧ ق.م .
واعقب ذلك انتزاع العراق من ايدي السلوقيين في حدود ١٤٩ ق.م . وهكذا انحصر حكم
السلوقيين في بلاد الشام . ومما يجدر ذكره عن الحكم السلوقي في ايران والاجزاء الشرقية
المتاخمة انه على الرغم من الفترة القصيرة التي دامها في تلك المناطق ما بين الشرق والغرب .
وبرز هذا التمازج بوجه واضح ومستمر في بلاد البخت التي اشتهرت بكونها ملتقى طرق تجارية
مهمة ما بين الجهات الغربية وبلاد الصين وسيريا الغنية بالذهب وجنوبي رو سية
وقد قامت في اقليم البخت عدة مدن ومستوطنات جديدة من اليونان والسكان الاصليين

وبعد استقلال الفريثيين وانفصالهم عن الحكم السلوقي واستقلال بلاد ايران تحت حكمهم ظلت تلك المستوطنات الاغريقية الشرقية زهاء قرنين من الزمان ، وكانت مراكز مهمة في نشر الحضارة الهلنستية الجديدة الى الهند واواسط آسية .

واشتهر العهد السلوقي في بلاد ايران والعراق باهتمام الحكام السلوقيين في انشاء المراكز العمرانية وتعبيد الطرق البعيدة ، التجارية منها والعسكرية ، وكان بعضها يربط عاصمة السلوقيين في العراق اي سلوقية ببلاد البخت الثائية مارا بكر منشا و همدان واسن السلوقيون ما لا يقل عن تسعة مدن في سواحل الخليج العربي من بينها انطاكية دجلة وهي « بوشير الآن التي شيدت فوق انقاض مدينة عيلامية قديمة . واعادوا ايضا بناء بعض المدن التاريخية القديمة مثل « اكبانا » (همدان) عاصمة الدولة الميدية التي مر الكلام عليها ، وشيدت الى الجنوب منها مدينة جديدة باسم اللاذقية **Laodicea** (وهي نهاوند الحديثة) واعيدت تسمية المدينة القديمة الري **Rhages. Raga** القريبة من طهران ودعيت باسم يروبوس **Europos** وكان الغالب على سكان هذه المدن في العصر السلوقي انهم كانوا خليطا من الايرانيين والسلوقيين (اليونان والمقدونيين) .

وسارت التنظيمات الادارية بوجه عام على اساس ادارة حكومة المدينة ، حيث مجلسها الاداري ومجلس الشورى فيها وموظفوها الذين كانوا يعينون سنويا في الغالب . واستمرت الممارسات والشعائر الدينية المحلية ولكن اضيف اليها بعض العناصر من الديانة الاغريقية ولا سيما بين السكان الذين كانوا من اصل يوناني .

إيجاز الخصائص الحضارية :

(سبق ان نوهدنا بنشوء ما يسمى بالحضارة الهلنستية (الشبيهة بالهلينية أي اليونانية الصرفة) من امتزاج حضارات الشرق القديم بالحضارة اليونانية على اثر غزو الاسكندر الشرق . وكانت اولى المظاهر لهذه الحضارة الجديدة انتشار اللغة الاغريقية (اليونانية) في الاقطار الشرقية ولا سيما في المدن والمراكز العمرانية ومنها بلاد ايران موضوع كلامنا . فشاع استعمال هذه اللغة ولا سيما بين المثقفين واهل المدن الى جانب لغاتهم الوطنية . ويجدر ان نذكر بهذا الصدد ان انتشار اللغة الاغريقية كان على حساب اللغة الآرامية التي انتشرت انتشارا واسعا في العراق وايران وبلاد الشام منذ العصور الماضية ولا سيما منذ العهد الفارسي الاخميني السابق) . وبالإضافة الى ذلك شاعت ظاهرة التزواج ما بين الاغريق واقرباؤهم المقدونيين وبين اهل البلاد الاصليين

وقد مر بنا كيف ان مؤسس الدولة السلوقية نفسه سلوقس الاول تزوج من احدى النبيلات الفارسيات وهي « افاما » وظلت اللغة الاغريقية متداولة وتدرس في بعض المدن حتى في العهد القرثي الذي استقلت فيه ايران عن السلوقيين وكان يتأهل هذا التحول الى الهلينية في بلاد ايران تأثر اليونان (الهننيين) انفسهم بالثقافات والعادات الايرانية . ومن مظاهر ذلك ما ذكرناها من التزاوج واتخاذ بعض الشعائر والممارسات الدينية الايرانية وفي النواحي الفنية استمر الفن الايراني القديم ولكنه الى جانب ذلك ظهر ايضا في ايران فن خليط بين الفن الاغريقي والفن الايراني كما شاع ايضا الفن اليوناني الصرف في بعض الابنية والعمارات التي شيدت في تلك الفترة من بلاد ايران .

ومع ان النقود المسكوكة انتشر تداولها والتعامل بها في العهد الاخميني السابق ، بيد ان هذا التداول قد ازداد في سعة حجم العملة المتداولة على اثر اتساع الأماكن والأقاليم التي انتشر فيها استعمال النقود . فآثر ذلك في تطوير التبادل التجاري والازدهار الاقتصادي . ولكن صاحب ذلك انتشا ظاهرة التضخم النقدي وهبوط اسعار المعادن المتخذة في العملات المسكوكة ولا سيما الذهب والفضة وقد قدر هبوطها بنحو ٥٠ بالمائة مما كان عليه سعرهما في العهود السابقة وكانت هذه الظاهرة الاولى من نوعها لم يسبقها ما يماثلها في العالم القديم . على ان مما يقال بوجه عام ان العصر السلوقي ولا سيما في عهد سلوقس وخلفائه الاوائل تميز بشئ من الازدهار الاقتصادي العام وبوجه خاص في التوازن ما بين الاجور والاسعار . وشير ارتفاع فائض الديون الى انتعاش التجارة والحاجة الى رأس المال . ولكن اعقب هذا الازدهار شئ من الاضطراب في الحياة الاقتصادية من جراء انفصال القرثيين وبلاد البخت عن السلطنة السلوقية ، وبعد فترة انتعاش مؤقتة قصيرة في عهد انطيوخس الثالث (٢٢٥ - ١٨٧ ق م) ظهرت الازمة الاقتصادية مرة ثانية ، وكان سببها الرئيسي امتداد نفوذ الرومان وتدخلهم في اقاليم الامبراطورية السلوقية . ولكن القرثيين الذين استقلوا عن الحكم السلوقي اعادوا التوازن الاقتصادي في انحاء مملكتهم بعد ان استطاعوا ان يجعلوا الفرات الحد الفاصل ما بين امبراطوريتهم والامبراطورية الرومانية ، وجعلوا بلاد بابل مركزا امبراطوريتهم . ونكرر ما سبق ان نوهنا به من اهم العوامل التي عملت على ازدهار التجارة العالمية في العهد السلوقي . كان اهتمام السلوقيين بطرق التجارة العالمية المارة من بلاد ايران الى الصين والهند ، وبالإضافة الى التحسينات التي ادخلها السلوقيون في هذه الطرق وفروا لها الحماية العسكرية ولا سيما النقاط البعيدة منها الممتدة من البحر الاحمر الى الهند ، حيث وضعوا حاميات عسكرية في طرق الصحارى وجهازوها بالماء والمؤن وتأسيس الخانات لايواء التجار .

وفي الشؤون الزراعية اهتم السلوقيون بحفر جداول الري ، وقد ازدهرت الزراعة في معظم انواع الحبوب والاشجار المثمرة واهتموا في تجفيف المستنقعات وتحويلها الى اراض زراعية

كما تطورت الاساليب الزراعية وادخلت الزراعة المكثفة ومنها زراعة الكروم واستعملت المحارث الجديدة كما تحسنت اساليب الري في غرس البساتين والحدائق . واشتهرت ايران في تصدير انواع كثيرة من المنسوجات والسجاد والحلي والاحجار وبعض المعادن واشتهر الصانع الايرانيون في صنع البسط المزخرفة التي كان الطلب العالمي عليها كبيرا كما اشتهرت صناعة الاواني الفخارية المزخرفة والفنون التشكيلية وحفر الاحجار . ويمكن القول بوجه عام ان الدولة السلوقية في النواحي الاقتصادية كانت اشبه ما تكون بمؤسسة رأسمالية ذات تنظيمات مالية منظمة ، فكان الملك يحتكر الكثير من الموارد الاقتصادية مثل الصناعات ومواد الخام الضرورية لها ، وكان من سياسة الدولة المالية كثرة الضرائب على الناس بحيث اثقل كاهل الطبقات المختلفة رغم الازدهار الاقتصادي ، وشملت الضرائب معظم شؤون الناس المختلفة مثل ضريبة الرأس وضريبة دور السكن والحيوانات والحقول والبساتين والولادة والزواج والموت . وكان الوارد من تلك الضرائب لاشباع حاجة الملك وبلاطه بالمال الذي كان يحتاج اليه في الجيش والاسطول والمعابد وكهنتها .

الباب الثالث
ايران في العهد القرشي

الفصل الاول

قيام الدولة الفرثية

النزاع ما بين الفرثيين والرومان

المبحث الاول : اصل الفرثيين وتأسيس دولتهم

(اعقب الحكم السلوقي في بلاد ايران حكم سلالة ايرانية انفصلت عن ذلك الحكم واستقلت في حدود منتصف القرن الثالث ق.م (٢٤٧ ق.م) حيث انتهزت بعض القبائل الايرانية التي عرفت فيما بعد باسم الفرثيين ضعف الدولة السلوقية وانشغالها في القسم الغربي من الامبراطورية السلوقية ونزاعها مع بطالسة مصر فثارت تلك القبائل وكذلك فعلت بلاد البخت (احد الاقاليم الشرقية) وانفصلت عن التبعية الى الدولة السلوقية واستطاعوا من بعد نحو قرن واحد ان ينتزعوا من السلوقيين العراق (في حدود ١٤٠ - ١٢٧ ق.م) ثم اتسع حكمهم في بلاد ايران وظلوا يحكمونها مع العراق الى العهد الفارسي الساساني (٢٢٦ م) .

(فمن كان اولئك الفرثيون ؟ اطلق على هؤلاء بالاضافة الى الفرثيين اسم الارشاقين **Arsasids** نسبة الى ارشاق **Arsaces** الذي قاد الثورة على السلوقيين (في حدود ٢٥٠ - ٢٤٧ ق.م) ونجح في ثورته وتبيله الاستقلال) وعرفوا كذلك باسم الاشغانيين وذكرتهم المصادر العربية باسم ملوك الطوائف ويستدل من المصادر التاريخية القليلة على ان الفرثيين كانوا احدى القبائل الهندية - الاوربية المتنقلة ، وان هذه القبيلة عرفت باسم « بارني » **Parni** وهي فرع من القبائل المسماة المسماة « داهي » **Dahae** التي تنتمي الى القبائل الكثيرة التي عرفت في التاريخ باسم الاسكيشيين **Scythians** او الاشكوزيين كما ذكرتهم

المصادر الآشورية - وكانت هذه القبائل بدوية متنقلة في السهوب الواسعة ما بين بحر قزوين وبحر « ارال » واشتهرت بالفروسية والحرب حتى ان موت الواحد منهم في المعركة كانت اعز الامنيات . وقد نزح الفرثيون في المنتصف الاول من القرن الثالث ق.م الى الاقليم الذي عرفوا به وهو الاقليم المسمى « بارثوا » (في منطقة خراسان) وقد ورد اسم هذا الاقليم في المصادر الفارسية الاخمينية قبل ان تستوطن فيه تلك القبائل بزمان طويل وذكر كذلك في ازمان اقدم في النصوص السامرية

الآشورية مثل اخبار الملك الآشوري « اسرحدون » (القرن السابع ق.م) فقد ارسل هذا الملك حملة عسكرية توغلت في جهات بحر قزوين وجلبت بعض الاسرى من الاقليم الذي ورد اسمه بهيئة « برنوكا » الذي عين بانه اقليم بارثوا السالف الذكر .

وبرز في حدود ٢٥٠ - ٢٤٧ ق.م من تلك القبائل التي استوطنت

« بارتوا » قائدان اخوان هما

« تيريداتس » **Tiridates** وارشاق الذي نسبت اليه السلالة الارشاقية

الحاكمة كما ذكرنا. وقد استطاع هذان القائدان ان يتغلبا على القائد السلوقي الذي كان حاكما على ذلك الاقليم في معارك حربية قتل في احداها ارشاق ولكن اخاه تيريداتس استمر في قيادة قومه واستطاع ان ينتزع الاقليم من ايدي السلوقيين وقد توطد مركز هذا الملك فشيده عاصمة له له سماها باسم « اشاك » أو « ارشاق » باسم مؤسس السلالة وفيها توج ملكا ، وقد حاول سلوقس الثاني (٢٤٥ - ٢٢٦ ق.م) ان يقمع الثورة فارسل حملة لهذا الغرض ، ولكن تيريداتس انسحب الى السهوب البعيدة فلم يستطع سلوقس ان يقضي عليه فانسحب الى بلاد الشام على اثر القلاقل التي نشبت هناك في العاصمة « انطاكية » فانتهر الملك الفرثي هذه الاحداث واعاد الاستيلاء على اقليم خراسان ولم يكتف بذلك بل انه ضم اليه اقاليم اخرى الى الجنوب الشرقي من بحر قزوين ، مكونا بذلك الجزء الرئيسي من المملكة الفرثية. وقد ساعد تيريداتس حكمه الطويل الذي دام ٣٧ عاما على توطيد مملكته وتوسيعها الى الجهات الغربية ونقل عاصمته الى المدينة المسماة « هيكاتومبيلوس » **Hecatompylos** وهي مدينة اغريقية تقع على ملتقى الطرق التجارية المهمة ما بين الشرق والغرب . واتخذ الملوك الفرثيون بالاضافة الى هذه المدينة عاصمتين اخريين من بعد ذلك هما « اكبتانا » (عاصمة الماذيين القديمة) ثم مدينة طيسفون التي اسسها الفرثيون على الضفة الشرقية من دجلة مقابل العاصمة السلوقية سلوقية . وتمثل هذه المدن الاربعة المراحل التوسعية التي مرت بها الدولة الفرثية الى أن اصبحت امبراطورية ضمت اليها جهات كثيرة بالاضافة الى العراق .

خلف تيريداتس في حكم المملكة الفرثية الملك المسمى « ارطبان » الاول

وقد جرت بينه وبين الملك السلوقي انطيوخس الثالث الثالث (٢٢٥ - ١٨٧ ق.م) معركة دحر فيها الملك الفرثي فاضطر الى الاعتراف بالسيادة السلوقية مؤقتا اذ لم يدم ذلك الوضع زمنا طويلا حيث انتهر الملك الفرثي الذي خلف ارطبان والمسمى « فريفاطس » **Phripatus** هزيمة الملك السلوقي في حربه مع الرومان واعاد الاستيلاء في عام ١٩٥ ق.م على الاقليم الكائنة الى جنوبي بحر قزوين بالاضافة الى دحر الجيوش السلوقية .

توطدت الدولة الفرثية واتسعت مراحل ابعدها ما بين عام ١٦٠ و ١٤٠ ق.م) ولا سيما في عهد الملك « مثريداتس الاول **Mithridates** الذي استطاع ان يستولي على بلاد مديية وبلاد فارس وبلاد بابل وضمن ذلك المناطق الجنوبية في منطقة البصرة التي قامت فيها الدولة الآرامية المسماة « كراكينة » **Characene** وعلى بلاد آشور اي جميع القطر العراقي تقريبا باستثناء العاصمة السلوقية « سلوقية على دجلة التي عقد سكانها معاهدة مع الملك الفرثي قبل بموجبها ان تمنح المدينة استقلالاً ذاتياً وبدلاً من اتخاذها عاصمة للدولة الفرثية في العراق شيد الفرثيون لهم عاصمة جديدة هي المدينة المعروفة (طيسفون) التي قلنا انها تقع على الضفة الشرقية من دجلة مقابل سلوقية (التي تعرف بقاياها الآن باسم تل عمر وقد تحرت فيها في السنوات القليلة الماضية بعثة تنقيبات ايطالية من جامعة تورينو) . واتخذ مثريداتس الاول الذي يعد المؤسس الحقيقي للإمبراطورية الفرثية لقب « الملك العظيم » بصفته وريثاً للإمبراطورية الفارسية الاخمينية ولقب نفسه بالاضافة الى ذلك بلقب منح الهيلينيين **Philhellenes** لمداواة السكان الذين كانوا من اصل يوناني مقدوني ، وقد ظهر هذا اللقب على النقود الجديدة التي سكها ذلك الملك .

(ومع استتاب احوال الدولة الفرثية وتوطيدها فان الملوك السلوقيين لم يتخلوا عن اطماعهم وطموحهم في اعادة اقاليمها الى سلطتهم وكانت آخر محاولة لهم ما قام به الملك السلوقي « انطيوخس » السابع الملقب سيديتس **Antiochus Sidetes** الذي شن حملة على الاقاليم الشرقية لاسترجاعها وتخليص اخيه ديمتريوس **Demetrius** من الاسر ، وقد زحف على رأس جيش كبير الى العراق وانتصر على الفرثيين في ثلاث معارك واستطاع ان يصل في زحفه الى اكبثانا « ولكن احوال الجوز بعد المسافة منته من التوغل مسافات ابعد فعسكر في تلك المدينة القديمة ، واسكن جنوده في مدن الاقاليم المجاورة وحاول الملك الفرثي « فراهاطس » **Phraates** الدخول في المفاوضات والصالح مع الملك السلوقي بيد أن شروط هذا الملك كانت مجحفة مثل اخلاء جميع الاقاليم التي احتلها الفرثيون باستثناء بلاد الفرثيين نفسها وان يدفعوا الجزية وتسليم الملك السلوقي الأمير « ديمتريوس » فلم يرضخ الملك الفرثي لتلك المطالب المهينة وبدلاً من ذلك عمل على اذكاء الثورة في المدن التي حل فيها الجنود السلوقيون وكانوا عبيثاً عليها لا يطاق ، وحالما ثارت تلك المدن شن الملك الفرثي « فراهاطس » هجوماً مباغتاً على مركز الملك السلوقي انطيوخس فهزم هزيمة شاملة وقتل نفسه في المعركة واسر الكثير من جنوده . وتفاقم الكارثة التي حلت بالدولة السلوقية في عام ١٢٩ ق.م حتى ان

سلطتهم في بلاد الشام أصبحت مهددة بالزوال ، ولم يسلموا منها لان الدولة السلوقية لازمها الضعف وصارت تحت رحمة الفرثيين في الشرق والرومان الى الغرب منهم . وجعل نهر الفرات الحد الفاصل ما بين الفرثيين والسلوقيين من جهة والرومان من الجهة الاخرى . ولعل اهم سبب منع الفرثيين من التغلغل الى بلاد الشام . مركز الحكم السلوقي ما حدث في . لثناء ذلك في الحدود الشرقية من مملكتهم من اندفاع القبائل البدوية من الجهات الشرقية من اقاليم تركستان وهم الاسكيثيون واندفعت الى بلاد ايران نفسها فاضطر الملك الفرثي فراهاطس على حشد قواه لصد اندفاع تلك الجموع الغازية التي هددت كيان المملكة وبلغ الخطر ذروته حتى قتل الملك الفرثي وخلفه في الحكم عمه او خاله المسمى « ارطبان » الثاني (١٢٨ - ١٢٤ ق.م) الذي قتل بدوره في المعارك الطاحنة فعم الاضطراب وانحلت المملكة وانفصلت عنها جملة ولايات كانت تابعة لها . ولم ينقد الموقف العصيب الا تولى ملك فرثي قوي هو « متريداتس » الثاني (٢٣ ك - ٨٨ ق.م) الذي برهن على انه كان من اعظم قواد الحرب الفرثيين حيث تمكن من ازالة الاخطار الداهية بصدده اندفاع الاقوام البدوية الشرقية واعاد الاقاليم التي انفصلت عن المملكة ، وتفرغ من بعد ذلك لاعمال السلم فاقام علاقات تجارية وصداقة بين الفرثيين والصين .

(وفي العراق توطد الحكم الفرثي ولا سيما منذ عام ١٣٥ ق.م وظلوا يحكمون العراق الى ان حل محلهم الفرس الساسانيون في عام ٢٢٦/٧م ودخل العراق في حكمهم ولكي يقضي الملوك الفرثيون على نفوذ العاصمة القديمة في العراق وهي سلوقية التي رأيناها تنشأ في اوائل العهد السلوقي انشأوا مدينة عاصمة منافسة هي طيسفون (الواقعة على الضفة الشرقية من دجلة مقابل سلوقية) وكانت طيسفون في مبدأ أمرها معسكرا للجند واستمرت في ازدهارها واتساعها في العهد الفارسي (٢٢٦ - ٦٢٧ م) وشيدوا في العراق مدنا اخرى مثل مدينة « اولغاشية » نسبة الى الملك الفرثي « اولغاش » الاول **Volgases** (٥١ - ٧٨ م) وموقعها في منطقة بابل ما بين الكوفة والحلة ، كما شيدت في الزمن الفرثي مدينة الخضر العربية المشهورة لتكون ثغرا على الطريق المهم الآتي من بلاد بابل الى نصيبين . واعاد الفرثيون ايضا بناء جملة مدن قديمة مشهورة مثل العاصمة الآشورية القديمة « آشور » (قلعة الشراقات الآن) وقد اظهرت التنقيبات التي اجراها المتقربون الألمان فيها (١٩٠٤ - ١٩١٤) ابنية ضخمة من بينها القصور والحصون ، واعيد الاستيطان والتعمير في مدن عراقية اخرى مثل نمر والوركاء وقد تميزت ابنية العهد الفرثي بوجه عام بضخامة الابنية وثخن الجدران وحجم اللبن الكبير .

المبحث الثاني

النزاع ما بين الفرثيين والرومان

(لم يسلم الفرثيون من الحروب الخارجية من بعد جلول الضعف في المملكة السلوقية بوجه عام ولا سيما في مركزها في بلاد الشام ، فقد ظهرت دولة كبرى في الغرب هي الدولة الرومانية القوية التي خلفت السلوقيين في النزاع من جراء اطماعها ومصالحها في الاقاليم الشرقية ولا سيما بلاد الشام والعراق . وبرز النزاع على اشده بوجه خاص منذ ان استتب الحكم الفرثي في بلاد ما بين النهرين وتفردهم في حكم الاقاليم الشرقية وجعل الفرات الحد الفاصل ما بين الدولة الفرثية والغرب) كانت السيطرة على الطرق التجارية المهمة المارة في الاقاليم الشرقية والعراق وبضمن ذلك موارد التجارة الخارجية في مقدمة عوامل ذلك النزاع ، وقد سبق ان نوهنا بان مدينة الحضر العربية الكائنة في بادية ما بين النهرين قد شيدت لتكون مدينة ثغور لدوره التقدم الروماني عبر البادية .

(نشبت ما بين الفرثيين والرومان حروب مستمرة ولعل ابرز ما يتميز به الحكم الفرثي فسي العراق بوجه خاص اخبار تلك الحروب التي استمرت الى العهد الساساني الذي اعقب العهد الفرثي كما قلنا) واحتلت اخبار تلك الحروب مكانا مهما في مدونات الكتاب الروماني بحيث اصبحت مدوناتهم في مقدمة مصادرنا عن تاريخ الدولة الفرثية وتاريخ الاقاليم التابعة لها وفي مقدمتها ايران والعراق . ومما يجدر ذكره عن تاريخ الحروب الرومانية - الفرثية والرومانية الساسانية ان عدة مدن من بلاد ما بين النهرين العليا (اقليم الجزيرة في الاخبار العربية) برزت في تلك المنازعات بصفتها مدن ثغور وحصون على التخوم الفاصلة ما بين الامبراطوريتين ، وقد عانت الدمار والويلات من الهجمات المتبادلة المتكررة من جانب الطرفين وتبادلتها ايدي الفاتحين من كلا الطرفين نذكر اشهرها مثل انطاكية ونصيبين وحران والرها وآمد والبتراء وتدمر والحضر وسنجار وغيرها ، ويبدو من اخبار الكتاب الروماني ان اقدم علاقات مباشرة ما بين الفرثيين والرومان ترجع في عهدها الى محاولة الملك الفرثي « متريداتس » الثاني (١٢٣ - ٨٨ ق.م) عقد معاهدة صلح وصداقة مع الدولة الرومانية لما جاء الجيش الروماني بقيادة القائد « سلا » Sulla (٩٢ ق.م) لمحاربة مملكة الأرمن في عهد ملكها المسمى « تغرانيس » فارسل الملك الفرثي الى ذلك القائد وفدا يعرض عليه معاهدة الصداقة ولكن

القائد الروماني احتقر الوفد وطرده ، وعندما اسرع الملك الفرثي في الهجوم على الرومان ووقع

فيهم خسائر فادحة علمت الرومان درسا قاسيا عن قوة الفرثيين وشدة بأسهم في الحرب ، ولهذا السبب اضطر الرومان من بعد ذلك الى عقد معاهدة حياذ مع الملك الفرثي « فراهاط » الثالث

(٧٦ - ٧٠ ق . م) ومثل روما القائد الروماني لوكوس **Lucullus** وجددت المعاهدة في

عهد « بومبي » ولكن نقض هذا القنصل الروماني المعاهدة من بعد ذلك واستولى على الاقاليم التابعة للدولة الفرثية في الجهات الغربية . وحدث في تلك الفترة نشوب فتن وقلاقل في الدولة الفرثية على الراغتيال الملك « فراهاط » وبعد نزاع بين افراد الاسرة المالكة تولى حرش المملكة الفرثية الملك « ارود » الثاني (٥٧ - ٥٤ ق . م) . وعين الرومان في عهد هذا الملك حاكما على

سوريا هو القائد « كراسوس » الذي انخدع باضطراب الاحوال في بلاد ايران وظن ان الهجوم

على المملكة الفرثية والاستيلاء عليها امرا سهلا فنشبت بين الفرثيين والرومان معركة طاحنة في

حران (عام ٥٣ ق . م) نكب فيها الرومان نكبة مروعة حيث ابيد معظم الجيش وقتل القائد كراسوس

نفسه . وتميزت تلك المعركة بطابع درامي اشبه ما يكون باساليب القتال عند الهنود الحمر في

امريكا فيكون من المفيد لو نحن اوجزنا بعض الملاحظات عن تلك الواقعة ، فنقول ان ابرز

ما تميزت به الحروب الفرثية السرعة والمباغته اي سرعة الكر والفر . فان القائد الروماني « كراسوس »

اضطربت خطته لما اراد الالتحام بالجيش الفرثي حين لم يجد وحدة ثابتة منه يوجه عليها الهجوم

وبدلا من ذلك باغتته خيالة الفرثيين المسلحين بالاسلحة الخفيفة وامطرته بوابل من السهام

القائلة وهم في مأمن من القذائف الرومانية ، وكان الجيش الفرثي يضم بالاضافة الى ذلك الصند

من الخيالة كتائب من الفرسان المسلحين تسليحا ثقيل . ولقد صير القائد الروماني « كراسوس »

وهو يشاهد على مضض فتك السهام الفرثية بجيشه ظانا ان الفرسان الفرثيين ستنفذ ذخيرتهم

من السهام ولكن حل به الفزع حين رأى ان كل فارس فرثي كان بعد ان يقذف آخر سهم يتفهم

الى الوراء مسافة قصيرة فيتزود بذخيرة جديدة من كنان السهام التي كانت محملة على الجمال

خلف صف المقاتلين . وعندئذ صمم كراسوس على ان يهجم في الحال فاعزز الى قوة مختارة

من جيشه قوامها زهاء (٦٠٠٠) مقاتل من المقاتلين الغالبيين الاشداء كان يوليوس قيصر قد

جندهم من فرسة والحقهم بالجيش الروماني ، وحين شرع هؤلاء بالهجوم ظهر فجأة جنود

فرثيون مدججون بالسلاح وكانوا مختبئين في غابة مجاورة فتظاهر الجنود الفرثيون بالاضطراب

الظاهري وتقهقروا مغررين الجند الرومان بمطاردتهم ، ثم كروا على حين غرة وزحفوا على مهاجميهم

بصفوف متراصة . ومع استبسال الغالبيين في القتال الا ان الفرثيين كثروهم واربكوهم فـ

المباغته وابادوهم كلهم تقريبا وكان يقودهم ابن القائد كراسوس ، ولما رأى هذا ما حل بهجـ

امر حامل ترسه ان يساعده في الانتحار فانتحر تخلصا من عار الهزيمة . ولما تراجع من بقى

جيش كراسوس في اليوم التالي هاجمه الفرثيون وقد افنى ثلاثة ارباعه تقريبا ومن بينهم القائد كراسوس وهو بسن ستين عاما . وقد روى المؤرخ الروماني « فلوطرخ » **Plutarch**

الفرثيين قطعوا رأسه وأرسلوه إلى أرمينية حيث كان الملك الفرثي « اورود » . قد صادف وصو الرأس الى هناك لتمثيل رواية مسرحية للروائي اليوناني الشهير « يوربيدس » **Eurouides** وعنوانها « باخي » **Bachae** والتي كانت من بين مشاهدتها رأس مقطوع فاستعمل رأس كراسوس لتمثيل ذلك المشهد . لقد احدثت تلك الكارثة في روما رجة وفزعا قاعد يوليوس قيصر حملة كبرى لتأثر من الفرثيين ، ولكنه اغتيل (٤٥ ق.م) قبل ان يحقق ذلك المشروع . وبدلا من ذلك انتهز الملك الفرثي فترة الاضطرابات والقلق التي حلت بين الرومان على اثر اغتيال يوليوس قيصر فوسع فتوحه في الجهات الغربية واستولى على بلاد الشام وبضمنها سورية وفينيقية . بيد ان تلك الانتصارات لم تدم امدا طويلا بل انعكست الآية بالنسبة الى الفرثيين ،

فقد صادف ان القائد الروماني الشهير « انطونيوس » (مارك انطوني) في مصر فارسل حملة منها لابقاف الزحف الفرثي وانتصر الجيش الروماني على الملك الفرثي « فراهاط » الرابع (٣٧ - ٢ ق.م) الذي خلف اباه « اورود » وقد قتل في تلك المعركة الملك الفرثي مما شجع انطونيوس (فصمم على غزو المملكة الفرثية في عقر دارها ، ولكن حلفاء الارمن لم يوافقوا على تلك الخطة وبدلا من ذلك وجهت الحملة الى بلاد مادي وكانت نتيجة الحملة اندحار الجيش الروماني ، وكاد القائد انطونيوس ان يفقد حياته وجيشه فانسحب وعاد مسرعا الى الاسكندرية وحاول ان يتناسى النكبة في احضان عشيقته كليوباترة آخر الملكات من اسرة البطالسة الحاكمة في مصر اعقب تلك الحروب والمنازعات ما بين الفرثيين والرومان أن عقدت ما بين الامبراطوريتين

المتنازعتين معاهدة سلم ابرمت في اول العام الميلادي في عهد الملك الفرثي « فراهاط » الرابع والامبراطور الروماني اغسطس (٣٠ ق.م - ١٤ م) . وكان من ابرز الدوافع على قبول الرومان بابرام تلك المعاهدة من التعايش السلمي ادراكهم لقوة الفرثيين من ناحية ومن الناحية الاخرى لم يكن الفرثيون خطرا مباشرا يهدد كيان الامبراطورية الرومانية لو تركوا وشانهم وجعلت ما بين الامبراطوريتين حدود واضحة مثل نهر الفرات الذي كان فيما مضى الحد الطبيعي ما بين الشرق والغرب . واتبع الرومان بالاضافة الى ذلك خطة اقامة ثغور ودويلات حاجزة **Buffer States**

كان من بينها دولة تدمر العربية والدولة الارمنية ، بالاضافة الى مدن الثغور المحصنة التي سبق ان نوهنا بها مثل نصيبين والرها وحران وآمد والحضر وغيرها . والى هذا كله بدأت بوادر الضعف والتفكك في الامبراطورية الفرثية من جراء الانقسامات والتراعات الداخلية بين الطبقات الحاكمة

وتدمر معظمها من سياسة الرضوخ والمصالحة التي سار عليها الملوك الفرثيون تجاه الرومان وتجلت بوادر الضعف تلك في ان الرومان اخذوا يتدخلون في المملكة الفرثية وحتى في شؤون العرش الفرثي ، حتى انهم ساندوا الملك فراهاط الخامس الذي دس السم لايه ، وفرض عليه مقابل ذلك تنازله عن اطماع الفرثيين ببلاد ارمينية ولم يمكث هذا الملك في الحكم زمنا طويلا اذ خلع ، وطلب الامراء الفرثيون من الامبراطور الرومان اغسطس ان يرسل اليهم احد ابناء الملك الفرثي « فراهاط » الرابع الذي كان موجودا في روما وقد سبق ان ارسله ابوه مع اخويه الى البلاط الروماني ليتثقف هناك من بعد معاهدة الصلح التي ابرمت بين ذلك الملك وبين الامبراطور اغسطس فارسل اليهم هذا الامبراطور الابن المسمى « اونون » الاول **Vonones** ونجح ملكا على الفرثيين ، ولكنه لم يتمتع بالحكم زمنا طويلا لأن نبلاء المملكة تدمروا واشمأزوا من ثقافته الغريبة الرومانية فخلعوه ولاحقوه الى سورية وقتلوه هناك ، ونصب على العرش الفرثي من بعده ارطبان الثاني (١١ - ٣٨ م) المنحدر عن طريق النساء من الاسرة الارشاقية المالكة . وكان هذا الملك على شيء من الحزم فحصل انتعاش في الحياة السياسية الامر الذي جعل الرومان يتخوفون منه ، فأخذوا يتدخلون في شؤون المملكة الفرثية ويرجع ان الثورة التي نشبت ضد ارطبان الثاني في منطقة سلوقية في العراق كانت بتحريض من الرومان ، وقد دامت تلك الثورة زهاء سبع سنوات . وكانت هذه الاحداث وغيرها بوادر النزاع مجددا ما بين الرومان والفرثيين ، وانتهى عهد السلم والتعايش ما بين الطرفين في زمن الامبراطور الروماني تراجان (٩٨ - ١١٧ م) وبدأت الحروب ما بين الطرفين . وكانت الجيوش الرومانية تتوغل في بعض الاحيان الى داخل المملكة الفرثية ، الى وسط العراق وإلى العاصمة طيسفون نفسها التي نهبت ودمرت مرارا. وما يقال عن الامبراطور تراجان انه كان مولعا بتقليد سيرة الاسكندر الكبير واتباع اساليب حربه . فسار على رأس حملة على المملكة الفرثية من انطاكية في عام ١١٥ م ، وكان يرافق الحملة سفن وقوارب صنعت في مدينة نصيبين وحملت على عربات ونقلت الى جزيرة ابن عمر ، ونجح الجيش الروماني في عبور نهر دجلة ووصل الى قرب الموصل ومما يلفت النظر في زحف تراجان انه لم يهاجم العاصمة الفرثية طيسفون رأسا بل عبر دجلة واتجه غربا قاطعا البادية التي تفصل ما بين نهر الفرات ودجلة وقد مر بمدينة الحضر (١١٦ م) وحاول فتحها ولكنها صمدت فعز عليها فتحها فسار نحو الفرات واتصل باسطول روماني فان كان قد انحدر عبر الفرات فسار به الى مدينة بابل . اما الملك الفرثي خسرو (١٠٩ - ١٢٨ م)

فانه كان يراقب زحف تراجان ولم يشتبك معه في اية معركة حتى ان تراجان استولى على طيسفون بدون مقاومة وغنم منها غنائم كثيرة . واتجه من بعده ذلك الى اسفل دجلة حتى خليج العرب وكأنه في نزهة نهريه . وحينما كان في هذه النزهة وهو يحلم في غزو الهند متذيا مثال الاسكندر الكبير بلغته الإنباء المروعة من الشمال ذلك ان الملك الفرثي استعاد جميع المدن التي اخذها الجيش الروماني ، فاضطر تراجان الى العودة في حر الصيف الشديد ، وسرعان ما احاط به الاعداء من كل جانب وقتل في المعركة وخلفه هادريان الذي كان في الحملة فاصبح امبراطور الرومان (١١٧ - ١٣٨ م) وتنازل عن جميع الاقاليم المفتوحة الى المملكة الفرثية وتقهر الى ما وراء القسرات .

وبعد خمسين عاما من هذه الاحداث غزا العاصمة الفرثية طيسفون قائد روماني اسمه كاسيوس ارسله الامبراطور الروماني مرقس اوريليوس (١٦١ - ١٨٠ م) ولكنه لم يفلح في فتح العراق . وتكررت الهجمات الرومانية من بعد ذلك على المملكة الفرثية نذكر من بينها حملة الامبراطور سبتيموس سويورس في عام ١٩٨ / ١٩٩ م وحصاره لمدينة الحضر التي صمدت بوجهه وعانى في حصارها الامرين من شدة نيران المدافعين حيث كانوا يقذفون بنوع مخيف من القذائف النارية ولعل هذه من اقدم الاشارات الى نيران النفط والقيور السائل الذي اشتهر به اهل الحضر . واعقب ذلك حملة الامبراطور كراكلا (**Caracalla**)

ابن الامبراطور سبتيموس سوبرس وكان كراكلا غادرا اقسيا فبعد ان دحر الجيش الفرثي حاصر طيسفون وتظاهر بانه يريد الصلح حتى انه طلب يد ابنه الملك الفرثي يتزوجها ، فأمن اهــل المدينة وخرجوا من اسوارها ، فاعمل السيف فيهم الجند الرومان وقتلوا منهم خلقا كثيرا ،

وكان مصير هذا الامبراطور السفاح الموت اغتيالا وكانت آخر حرب مابين الفرثيين والرومان في عهد آخر الملوك الفرثيين المسمى ارطبان الخامس (٢٠٨ - ٢٢٦ م) والامبراطور الروماني (مكرينوس) حيث نشبت معركة كبرى في نصيبين وانتهت بابرام معاهدة صلح بين الطرفين ارجع الرومان بموجبها جميع الغنائم والاسرى من عهد كراكلا ودفع الرومان تعويضات مالية الى الفرثيين . وهكذا اخفق الرومان في فتح العراق رغم تكرار الحملات الحربية التي دامت زهاء القرنين ونصف القرن من الزمان .

نهاية الحكم الفرثي :

وكما كانت الحرب مابين الملك الفرثي ارطبان الخامس وبين الرومان آخر حرب ما بين الدولتين فأنها كانت كذلك نهاية حياة المملكة الفرثية وحكمها في ايــهــن

وخلفتهم في حكم ايران والعراق سلالة فارسية جديدة عرفت باسم الساسانيين (٢٢٦ م - ٦٥٠ م) الذين دام حكمهم الى الفتح العربي الاسلامي واستمرت المنازعات والحروب ما بين الشرق والغرب اى مع الرومان ثم الرومان البيزنطيين ومع الفرس الساسانيين ودامت الى آخر حياة الدولة الساسانية ومما لا شك فيه ان الحروب ما بين الفريين الرومان التي قلنا انها دامت زهاء القرنين ونصف القرن قد كانت في مقدمة العواغل التي قوضت كيان الدولة الفرية حيث استنزفت قواها وفككت من تماسك الحكم وشجعت الامراء الفريين على الثورات لتولى الحكم ، وكانت آخر تلك الثورات الثورة التي قام بها امراء اقليم فارس بزعامة احد الامراء وهو « اردشير » — بابنك بن ساسان ونجح في الاستقلال والقضاء على الملك الفري واليه نسبت السلالة الجديدة الحاكمة (٢٢٦ / ٧) وسيمر بكم موجز تاريخ بلاد ايران في العهد الساساني الجديد في الفصول الالية . .

الفصل الثاني

موجز عن النظم الاجتماعية والادارية في الامبراطورية الفرثية

١- (قامت السلطة في المملكة الفرثية الارشاقية على اسناد الاسر النبيلة من القبيلة الفرثية الرئيسية اى قبيلة (الفارثي) **Parni**) يمكننا اعتبار انتقال السلطة الى هذه القبائل على انه يمثل انتصار القبائل الايرانية الشمالية على الايرانيين من اهل الجيوب وبعبارة اخرى الايرانيين البدو الى الايرانيين المستقرين المتحضرين الذين ورثوا تراثهم الحضارى من الحضارات القديمة مع اضافة الصبغة الهلينية الجديدة التي دخلت بلاد ايران على اثر فتوح الاسكندر كما مر بنا . وكانت الفروق الحضارية بين الايرانيين الشماليين والايرانيين الجنوبيين فروقا كبيرة لم يسهل تسويتها الا من بعد مرور فترة طويلة على الحكم الفرثي ، ولم تنجح نهائيا اذ يمكننا اعتبار انتصار الثورة الساسانية واخذها الحكم انتصارا للفرس المتحضرين .

٢- (وكانت المملكة الفرثية الكبيرة مقسمة الى دويلات واقاليم واسعة ولكن بعضها كانت ولايات واسعة مهمة) بلغت نحو احد عشر اقليما اهمها بلاد ماذى وفارس وبلاد ارمينية وبلاد عيلام وولاية الكرخ **Characene** التي ظهرت كدولة شبه مستقلة في الاجزاء الجنوبية من العراق أي في منطقة البصرة والعمارة واستقلت عن السلوقيين على اثر اندحار الملك انطيوخس الثالث (١٢٣ - ١٨٧ ق . م) على ايدي الرومان ، وصارت في العهد الفرثي من الدول المهمة التابعة للتاج الفرثي ، اما بقية الاقاليم والولايات فكان يحكمها حاكم او وال يعين من قبل الملك الفرثي .

٣- (كان اساس النظام السياسي في الحكم الفرثي النظام الاقطاعي **Feudal** الذى كان يشبه الى حد بعيد النظام الاقطاعي في اوربة في عصورها الوسطى) واشتهر من امراء الاقطاع الفرثيين عدة اسر نبيلة اشهرها سبع اسر كان على رأسها السلالة الحاكمة الارشاقية حيث كانت في قمة الهرم الاقطاعي الذى يكون قاعدته في الاسفل الطبقات الدنيا وجميع الفلاحين والمحاربين التابعين لامراء الاقطاع . وكانت الروابط التي تربط ما بين النبلاء وبين تابعيهم من المحاربين اقوى من الصلات التي تربط هؤلاء برأس المجتمع وهو الملك وبمناسبة ذكرنا للملك لم يكن هناك نظام خاص لتولى العرش ، كما لم يكن من الضروري ان يخلف الابن اباه الملك اذ كانت الطبقات النبيلة الارستقراطية العامل الحاسم في تولى

العرش حيث تتم بيعه الملك الجديد او انتخابه في مجلس خاص بالنبلء وكان هذا شبيها بمجلس العموم (السنت) الروماني الذي كان بيده ايضا السلطات والامتيازات الملكية وحقوق الملك وكان عند الفرثيين مجلس آخر للدولة مهمته استشارية ويتألف من طبقة المجوس (Magi) والحكماء وكان هذا المجلس قريب الصلة بالعرش . وخلاصة ما يقال ان طائفة النبلء كانت الاساس التي تقوم عليها قوة العرش كما كانت اهم عامل في سقوط الملك ، وقد ورث الساسانيون شيئا من هذا النظام الاقطاعي .

٤ -- ومما يقال عن المجتمع الايراني في العهد الفرثي انه استمر بوجه اساسي على مآثره وتقاليده فمثلا كان الشغل الشاغل لطبقة النبلء الصيد والحرب . ولم يكن هناك نظام ثابت للجيش القائم بل انه كان لكل امير اقطاعي جيشه الخاص من اتباعه والمحاربين من الاحرار والعبيد في حالة نشوب الحروب الخارجية خدماته الحربية مع اتباعه المحاربين من الاحرار والعبيد . كان امراء الاقطاع مسؤولين عن تجهيز الجيش بالاسلحة . واشتهر المحاربون الفرثيون بالمهارة والكفاءة ولاسيما في سرعة المناورة ، كما اشتهر الصنف المسلح بالسهم والقذائف بالاضافة الى الفرسان المسلحين تسليحين ثقيلا (Cataphract) والمسلحين بالاسلحة الخفيفة وهناك صنف المشاة الذين كان قوامهم من الفلاحين والجبليين ومن العبيد .

المبحث الثاني : المجتمع ومعتقداته الدينية : --

مما يقال عن الاحوال الدينية في بلاد ايران في العهد الفرثي ان مصادرنا عنها قليلة غير كافية ، فلا نعرف مثلا العناصر التي ادخلها البدو الفرثيون سوى ان ديانتهم كانت تدور على عبادة القوى الطبيعية كالشمس والقمر ، وظهرت الدراسات الحديثة - ان الزرداشتية وهي ديانة الفرس القدماء لم تنتشر بين الفرثيين ، بيد ان عبادة الالهة القديمة في العهد الاخميني استمرت في الممارسة وبوجه خاص عبادة الاله مثرأ والالهة اناهيئا والاله اهرامزدا ، وشاعت عبادة اناهيئا (المضاهية لعشتار - البابلية) في العهد الفرثي وشيدت لها عدة معابد وعبدت في ولاية سوسة باسم نانيا (وهو الاسم البابلي - السومري لاناهيئا) ، واستمرت عبادةتها في العهد الساساني حتى ان اجداد السلالة الساسانية كانوا قواما في معبد النار الخاص بها في اصطخر (برسيبوليس القديمة) وفي ممارسات دفن الموتى لم يتبع الفرثيون العادة المجوسية في تعريض الجثة فوق المرتفعات تنهشها الجوارح وانما اتبعوا اسلوب الدفن الاعتيادي كما تشير الى ذلك القبور التي التي يرجع زمنها الى ذلك العهد الفرثي ومنها قبور التوابيت Sarcophagos الممزوجة الشبه

بالاحذية وكان الكثير من هذه التوابيت يزخرف في الخارج ببعض الصور الناشئة من بينها صورة
الهة عارية يرجح انها تمثل الآلهة اناهينا .

وتروى احدى الاساطير الكلاسيكية ان الاسكندر الكبير احرق الكتاب الذي وجده مدونا
على الرق من الجلد بحروف الذهب ولعل هذا يشير الى الافستا كما تشير الروايات المتأخرة الى
ان الافستا جمعت ودونت في عهد الملك الفرثي ولغاش الاول (٥١ - ٧٧ م) ولكن الكتابة
العائدة الى الملك الساساني شاپور الاول (٢٤١ - ٢٧٢ م) المنقوشة في معبد النار في نقش رستم
لا تشير الى ان الافستا قد دونت في عهده بل يرجع الباحثون ان الخط المدونة به يرجع الى القرن
الرابع او لعله السادس الميلادي .

واشتهر الفرثيون بتساهلهم الديني وترك الاقاليم التابعة على ما آثرها الدينية ، حتى انهم
في العراق اتخذوا عبادة بعض الآلهة المحلية وشيدت معابد مهمة في الوركاء ونفر وكيش وغيرها
لعبادة الالهة القديمة .

٥ - ازدهار المدن والمراكز العمرانية القديمة :

لم يشتهر الملوك الفرثيون بتأسيس المدن الجديدة الكثيرة بل ان مما يمكن عزو بنائه اليهم
عدد قليل جدا . فمن المدن المهمة التي تنسب الى العهد الفرثي خارج بلاد ايران العاصمة
طيسفون (طاق كسرى) والحضر التي استنها سلالة عربية من الحكام في العهد الفرثي وكذلك
اولقاشيته في بلاد بابل وفي ايسران درب جرد (**Darbagard**)
وجور فيروز آباد السى الجنوب من شيرا وقد
شيدوا اول الملوك الساسانيين حين كان حاكما تابعا للملك الفرثي ولكنه كان يخطط للثورة
والاستقلال عن الفرثيين وامتازت تلك المدن بخصائص عامة في تخطيطها فكانت في الغالب
مدورة الاشكال تقريبا ، وهذا نوع من خطط المدن كان معروفا في الشرق الادنى وبوجه خاص
في العراق القديم بما قبل العهد الفارسي ، فان الوركاء واوركانا مثلا مدينتين شبه مدورتين ،
كما بنى الاشوريون معسكراتها بهيئة دائرية وكانت المدن الفرثية في الواقع معسكرات للجند
في اصلها ووظيفتها فمثلا بنيت طيسفون لتكون معسكرا فرثيا مقابل سلوقية (في الضفة الغربية
من دجلة) واتسعت في العهد الساساني حتى اصبحت حاضرة كبيرة ، وكانت مدينة الحضر
كذلك ثغرا او حصنا بالقرب من الحدود ما بين الامبراطوريتين الفرثية والرومانية وكثير ما
استعملت قاعدة للدفاع عن العراق وايران ازاء الجيوش الرومانية الاتية من سورية .
والى جانب هذه المدن التي استنها الفرثيون انفسهم فان الملوك الفرثيين عمروا وجددوا بناء عدة
مدن قديمة لتكون مراكز لحكمهم وجيوشهم ، ففي العراق مثلا جددت العاصمة الآشورية
القديمة آشور (قلعة الشرايط) وقد اظهرت التنقيبات التي اجراها الاثاريون الالمان (١٩٠٤

(١٩١٤ -) بقايا قصور معظمة بحيث يصح القول ان مدينة جديدة انشئت عند موقع العاصمة القديمة ، ووجد المنقبون في امهات المدن القديمة في العراق مباني وقصورا كبيرة من العهد الفرثي مثل مدينة كيش والوركاء ونفرو بابل كما تكثر بقايا المستوطنات الفرثية في العراق التي يدل على عهدها الفرثي الملتقطات السطحية المميزة ، وحديثا جرى قسم الاثار في كلية الآداب (١٩٧١ - ١٩٧٦) تحريات مهمة في موقع تل اسود وهو مستوطن فرثي بالقرب من مدينة الباع . وجددت المدينة الكبرى السلوقية المسماة دور يوريس (الصالحية الآن بالقرب من الفرات في سورية) وقد اسسها في حدود ٣٠٠ ق . م اولى الملوك السلوقيين سلوقس الاول واشتق اسمها من الكلمتين دورا (من كلمة دور البابلية الآشورية التي تعني القلعة والحصن ومن كلمة يوريس وهو اسم البلدة التي ولد فيها الملك السلوقي في سلوقس في بلاد مكدونية .

واشتهرت المدن الفرثية بان واجهات قصورها كانت تزين بالنحوتات البارزة وخير مثال على ذلك مدينة الحضر . ومع ان المنقبين لم يعثروا على نماذج من بناء المعابد في العهد الفرثي في بلاد ايران نفسها ، ولكن وجدت عدة نماذج من المعابد من هذا العهد خارج بلاد ايران وفي مقدمتها مدينة الحضر . وكان قوام مثل هذه المعابد حجرة مركزية مربعة يفصلها عن الخارج ممش او ممر (Ambulatory) وهذا يرجع في اصله الى العهد الفارسي الاجنبي ، حيث تميزت المعابد ايضا بسلم خارجي يدخل في اصل ثخن الجدار ويؤدي الى السطح الموجود فيه الحجرة المخصصة للنار المقدسة . اما تقديم القرايين فكان يتم في خارج المعبد في مقدمة مدخله . ومما يقال بوجه الايجاز عن الفن الفرثي انه ورث العناصر القديمة من الفرس الاخمينيين ثم الطرز التي دخلت في العهد السلوقي المتأثرة بالفن اليوناني ولكن مع ذلك تميز الفن الفرثي بشخصيته المستقلة ومحاولة للانطلاق من قيود الفن الهلنستي وكان بداية فن ايراني توضحت معالمه في العهد الساساني التالي .

٥ - موجز عن التجارة والحياة الاقتصادية :-

كانت الدولة الفرثية وبوجه خاص ايران والعراق واسطة مهمة للتجارة الدولية ما بين الشرق الغرب ، وخاصة تجارة الهند والصين واواسط آسية وبضائعها المهمة مثل الحرير والبهار والعاج ، العطور وقد ازدهرت الحياة الاقتصادية في معظم العالم المتمدن ولا سيما منذ القرن الاول . المقارنة مع القرن السابق الذي عمث فيه الاضطرابات والثورات والقرصنة وفقدان الامان . وساعد السلم الذي عممه اول امبراطور روماني وهو اغسطس على ازدهار التجارة الدولية وما

ساعد على ازدهار تلك التجارة التحسن الذي حصل في وسائل النقل والاعتناء بالطرق العالمية والمحافظة عليها ، فقد اعتنى الفرثيون بوجه خاص في تأمين سلامة تلك الطرق وافادوا منها فوائد كبيرة من تجارة المرور (الترانسيت) فكانت طرق البادية تجهز بالمنازل (الخانات) وبمياه الابار ، وشيدت في المدن التجارية المهمة مثل تدمر ودور يوريس والبراء البيوت والخانات لايواء التجار والقوافل التجارية . وتشير الوثائق المدونة التي وجدت في دور يوريس الى تأسيس نظام لما يمكن تسميته بشرطة البادية للمحافظة على الطرق التجارية . كما استفاد الفرثيون من النظام البارع الذي اسسه الفرس الاخمينيون واشتهر بسرعته (حتى ان كلمة يريد تعني في الفارسية القديمة السرعة) وانشاء المحطات العديدة والمنازل لتبديل العربات والخيل لضمان السرعة ويروي ان الملك ورد ان (Vardanes) لما ذهب لخلع اخيه جوتارز (Gotarzes) قطع ٣٥٠ ميلا في يومين واستعملت طريقة الباس حوافر الخيل بالتعال الحديدية لضمان سرعة جريها . ومن ناحية الاساليب الناجحة يجدر التنويه بمـا حصل فـي العهد الهلنستي (منذ فتح الاسكندر للشرق) مـن الطرق الناجحة فـي الزراعـة المكثفة ، وتقدم فن تدجين الحيوانات كالطيور والدجاج وادخلت زراعة نباتات واشجار مهمة جديدة ، وحصل في ذلك تبادل ما بين ايران والبلاد الشرقية البعيدة مثل الهند والصين واستعارت الصين مثلاً زراعة البرسيم والكروم والبصل والزعفران والياسمين ، واخذت ايران فن تربية دودة القز وبعض الاشجار المثمرة التي يرجع ان من بينها اشجار بعض الحمضيات كما يتمل ان بداية زراعة قصب السكر قد دخلت من الصين في هذا العهد .

الباب الرابع

ايران في عهد الساسانيين

الفصل الاول

قيام الدولة الساسانية

المبحث الاول :

ساسان : جد الاسرة الساسانية الحاكمة

تجمع المصادر على ان ساسان كان الكاهن الاعلى لبيت النار الخاص بالالهة (اناهيتا) في مدينة اصطخر باقليم فارس من بلاد ايران (١) ، وكانت زوجته من افراد البيت الحاكم في اصطخر المعروف بعائلة البازرنجيين (Basrangi) وان معلوماتنا عن اقليم فارس — ومركزه مدينة اصطخر قليلة من بعد زوال دور الاخمينيين السياسي ، وبعد ان كانت ولاية فارس المركز الرئيسي للامبراطورية الاخمينية ولكن مجموعة من الاثار التي عثر عليها في هذا الاقليم ، وبشكل خاص مجموعة من النقود تلقي بعض الضوء على تاريخ هذه الولاية خلال حكم السلوقيين والفرثيين حيث يلاحظ على اسماء الامراء التي ضربت على هذه المسكوكات محافظة قوية على التراث الاخميني القديم ، ويشبه ذلك ايضا الاحتفاظ باسماء ملوك الاخمينيين حية في الازدهان يحملها امراء هذا الاقليم منها ارتحششتا ودارا .

في حدود القرن الثاني ق . م ، اخذ امراء هذا الاقليم يتلقبون بلقب (شاه) اي ملك بدلا من لقب الحاكم وهذا ما يشير الى تطور سياسي واضح لصالح هذا الاقليم على حساب الدولة السلوقية والفرثية الحاكمة في ايران وعلى الرغم من وجود امارات صغيرة تتوزع في اقليم فارس ، لكن اماره مدينة اصطخر كانت اكبرها واهمها ، ومثلما كانت هذه المدينة عاصمة ملوك ايران القدماء من الاخمينيين ، قدر لها ثانية ان تلعب دورا خطيرا في احداث التاريخ الايراني والشرق القديم في عهد الساسانيين .

ورث بابهك سلطانه الدينية العالية عن ابيه ساسان بعد وفاته واستفاد ايضا من صلة القربى التي تربطه بالعائلة المالكة عن طريق

(١) تطلق لفظة فارس على اقليم واسع من بلاد ايران يقع في الاقسام الجنوبية الغربية المجاورة للخليج العربي ومن مدن هذا الاقليم الرئيسية مدينة اصطخر القريبة من برسيبوليس عاصمة الاخمينيين . ولا يعرف بشكل دقيق متى بنيت هذه المدينة ولكنها على اية حال كانت مركزا رئيسيا للاقليم في العهد السلوقي وبسبب التبدل السياسي ومواقع مراكز القوى العظيمة على عهد الدولة الساسانية ونخص بالذكر منها الدولة الرومانية ، فلم تعد اصطخر بموقعها المتزوى تلائم هذه التطورات . فانتقل الملوك الساسانيون الى المدائن (طيسفون)

امه ، وهي اسرة البازرجيين حاکمة الامارة . فعين احد اولاده وهو اردشير قائدا عسكريا على مدينة دارا بجرد احدى مدن اقليم فارس . فظهر اردشير ذكاء وهمة عالية ومقدرة كبيرة في احتواء الظروف المناسبة . فعمل على توسيع دائرة سلطانه بضم المدن المجاورة . ويذكر انه فاتح اباه بابك للانتفاض على حكم العائلة البازرنجيه في اصطخر .

وفي حدود عام (٢٠٨ م - او ٢١٢ م) نجح اردشير في فرض سيطرته على معظم مدن اقليم فارس ، في نفس الوقت الذي شهدت فيه مدينة اصطخر ثورة نفذها بابك قتل على اثرها حاكم الولاية وحل محله .

على الرغم من ان مدير ومنفذ هذا التغيير السياسي في فارس هو اردشير ، لكن والده بابك حشي من تنامي طموح اردشير وتحذر منها كثيرا ، فكتب الى اردوان (ارطبان) الخامس آخر ملوك الفرثيين يستسمحه في تنويع ابنه سابور على عرش ولاية اصطخر فرفض ارطبان ذلك معتبرا عمل بابك وابنه اردشير عصيانا على حكم الدولة الفرثية .

وفي بابك من بعد ذلك بقليل فتوج سابور بن بابك مكان ابيه ، ولكن خلافا شديدا نشب بين سابور واخيه اردشير بلغ درجة اعلان الحرب بينهما ، وسببه عدم رضى اردشير على تنويع اخيه وعدم اطاعته لاوامره . وقد خدمت الصدفة في تمهيد الطريق امام اردشير لتحقيق احلامه وطموحه فيروي ان جدارا قديما كان سابور قد اتخذه - مقرا لقيادته ، سقط عليه وقتلته .

البحث الثاني : عهد اردشير :

ولكي يتخلص اردشير من كل معارضة محتملة لعرشه او طامع فيه عمد الى قتل جميع اخوته . فكانت بادرة سيئة سار عليها كثير من الملوك الساسانيين .

كان الاصطدام بين الفرثيين وبين اردشير متوقعا ، لذلك عمل اردشير وبسرعة تامة لتوسيع نفوذه سياسيا وللدعم قووة عسكرية والمادية للمعركة الفاصلة مع الفرثيين . فعلا تحرك ملك الاهواز بامر تلقاه من ارطبان للقضاء على عصيان اردشير ولنقله بمكبلا الى المدائن وبدأت استعدادات اردشير العسكرية بفتح كرمان (١) ثم اصفهان في طريق زحفه الى الاهواز (٢) ، ولم يكتفي اردشير بقتل ملك الاهواز واحتلال مدينته بل واصل الزحف حتى ميسان عند مصب نهر دجلة في الخليج العربي وكانت آنذاك بأمر العرب المواليين

- (١) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس وسجستان وخراسان
- (٢) الاهواز : (خوزستان) لقد مر بهم ان بلاد عيلام القديمة وموقعها شمال وشمال غرب اقليم فارس . ان الشرق من محافظتي البصرة وميسان في عراق اليوم ، يجري فيها نهر الكارون . ومن مدنها الشهيرة السوس (سوسة العيلامية) وشستر وعبادان وغيرها .

للفرثيين . وامام هذه الانتصارات العسكرية التي وسعت من دائرة سلطان اردشير وجد الملك الفرثي نفسه مضطرا لمحاربة اردشير ، ولكنه خسر المعركة امام اردشير وقتل فيها . فدخل اردشير المدائن ظافرا عام (٢٢٤ م او ٢٢٦ م) واعتبر نفسه بعد مقتل الملك الفرثي ، الوارث الشرعي للفرثيين وتلقب ابتداء من هذا التاريخ بلقب (شاهنشاه) ملك المملوك . ويروي ان اردشير تزوج بعد ذلك من عائلة الاشكانيين (العائلة الحاكمة في الدولة الفرثية) فانجبت له ابنة شابور ، بينما يروي باحثون آخرون ان سابور كان فتى يافعا عندما حارب اردشير ملك الفرثيين .

ومهما يكن من امر ولادة سابور ، فالواضح ان اردشير قصد بزواجه من البيت - الاشكاني ، اكساب حكمه الشرعية اللازمة في وراثة الفرثيين يبدو ان الانتصارات الباهرة التي تحققت لاردشير لم تكن كافية لخلق دولة كبيرة متماسكة كان يطمح - لاقامتها ، بخاصة وان النظام اللامركزي التي كانت عليه الدولة الفرثية ، لا يفترض بخضوع الاقاليم والولايات العديدة التابعة للدولة الفرثية لاردشير اثر انتصاره على المدائن العاصمة لذلك سار نحو اقاليم بلاد ايران المتعددة ليفرض سيطرته المباشرة ولينتزع ولائها للعهد الجديد .

فتحرك صوب همدان (١) ففتحها وواصل زحفه شمالا صوب اذربيجان وارمينية ثم تحرك صوب الموصل ومنها الى السواد (٢) ومنها الى اصطخر ، ثم بدأ بحملة واسعة صوب الاقسام الجنوبية والشرقية لأيران ، ففتح سجستان (٣) ، وخراسان ومرو (٤) وبلخ (٥) وخوارزم (٦) بعدها قفل راجعا الى مسقط رأسه اقليم فارس واثار الانتصارات العسكرية الواسعة التي حققها اردشير وردته رسل ملك كوشان (كابل والبنجاب) وملك مكران تعترف بسلطانه وتدعن لطاعته قبلت دولة اردشير حدودا شاسعة وضمت الى نفوذها افغانستان وبلوخستان وأقليم

-
- (١) همدان : مدينة كبيرة في اواسط سلسلة جبال زاكروس تقع على الطريق الرئيسي الذي يربط هضبة بلاد ايران ببلاد وادي الرافدين عبر جبال زاكروس وقد سبق أن رأينا كيف اتخذها الميديون عاصمة لحكمهم لتمييز موقعها وكانت تعرف باكبتانا ومعناه ملتقى الطرق .
- (٢) السواد : هي الاقسام الجنوبية من بلاد وادي الرافدين والذي عرف ايضا باسم العراق قبل ان تصبح تسمية العراق عامة بجميع انحاء بلاد وادي الرافدين .
- (٣) سجستان : ولاية واسعة ، مدينتها ذرنج ، وبينها وبين هراة ثمانون فرسخا الى الجنوب وتقع الآن بين ايران وافغانستان وعاصمتها اباد .
- (٤) مرو : من اشهر مدن اقليم خراسان (ابهرشهر قديما) .
- (٥) بلخ : من مدن خراسان المشهورة تقع على نهر بلخ شمالي افغانستان وكانت عاصمة لدولة سبكتكين ودمرت على يد جنكيزخان .
- (٦) خوارزم : اسم ناحية كبيرة فيما وراء النهر قصبتها جرجان ، تعاذى نهر جيحون وتبقى منه .

واحات مرو والي حدود نهر جيحون (٧) شمالا ، وباب ————— العراق غربا
كان اردشير في اعماله جميعا يقتفي اثار عظماء الملوك الاخمينيين فهو يعد نفسه وارثا
شرعيا لحكمهم ، وفي خطواته بعيد الحكم الى اهله الشرعيين .

توج اردشير ملكا للملوك على ايران يعد انتصاره على الفرثيين في المدائن ، ويعتقد ان حلة
التويج تمت في مسقط رأسه مدينة اصطخر حيث كان جده ساسان (الموبدان موبد) رئيس
كهنة معبد النار فيها .

ونروي المصادر العربية ان اردشير لم يكن باقامة دولة مترامية الاطراف وانما اكمل دستور
الملوك ورتب المراتب واحكم السير وتفقد الامور بنفسه وبنى من المدن ست مدائن منها بارض
فارس مدينة اردشير خسرو ومدينة راتم اردشير ومدينة استاذ اردشير وهي كرخ ميسان ومدينة
بالبحرين واخرى بالموصل .

وكان للملوك الساسانيين الاوائل ومنهم اردشير اهتمام طبيعي باقليم فارس لأنه مسقط
رأسهم وموطن اجدادهم الاخمينيين . لذلك اتخذوا من الاقسام الصخرية في ضواحي
مدينة اصطخر لتخليد ذكراهم في كتابات ورسوم تذكارية ويعرف هذا المكان بنقش رجب
والآخر نقش رستم القريب من مقابر الاخمينيين في المنطقة ذاتها .

اتخذ اردشير الى الراحة في اواخر ايامه ونقل العرش الى ابنه سابور على عهده بعد ان اعاد للفرس
سلطانهم الغابر من ايام الامبراطورية الاخمينية فقد قامت في الشرق بعد مضي خمسة قرون
تقريبا على سقوط الدولة الاخمينية ، دولة معظمة قوية الاركان . سادت — على قدم المساواة
مع الامبراطورية الرومانية .

ولم يرتد الساسانيون عن التراث الفرثي وانما سايروه وطوره نحو الكمال ، فقد استخدم الملوك
الساسانيون اللغة البهلوية الاشكانية بجانب البهلوية الساسانية في الساسانية في تسجيل نصوصهم
التذكارية ولكن الدولة الساسانية الجديدة لـ

تكون صورة مستمرة للدولة الفرثية السابقة كما لم يكن
حدث قيامها سياسيا فحسب ، انما يتميز بظهور روح جديدة في ايران ابرز ما يميزها تنظيمها
(٧) جيحون : نهر من اكبر انهار آسيا ينبع من جبال بامير ويسير نحو الغرب حتى يصب في بحيرة

اورال . وتتردد اسمة مع نهر سيحون الذي يشبه جيحون في مسيرة ومنبعه ومصبه ، ويقع
سيحون الى الغرب من جيحون ويعرف باليونانية باسم (Oxus) بينما اسم جيحون
باليونانية Jaxartes ومن المدن المهمة الواقعة بين هذين النهرين سمرقند وبخاري
وقد عرف العرب هذه المنطقة باسم بلاد ما وراء النهر ويقصدون بذلك البلدان ما وراء
نهر سيحون (انظر خارطة الاماكن والمدن والاقسام الجغرافية على العهد الساساني في
في نهاية الكتاب التالي :

R. Chirshman: IRAN (Thames and Hudson. USA 1962)

الاداري ووحدة الاقليم السياسية وثانيهما توحيد البلاد تحت لواء دين رسمي للدولة وقد انعكس اثر هذين العاملين بوضوح في الحياة العامة للمجتمع الايراني واستمر تأثيره ساريا حتى نهاية عهد الدولة الساسانية . وكانت لشخصية اردشير والظروف المواتية سببا في قوة هذه الدولة الفتية التي ارسيت لها قواعد من الادارة والنظام مكنتها من الشموخ لأكثر من اربعة قرون من الزمن . فبعد ان فرغ من توطيد دعائم الدولة توجه الى تدبير شؤونها الداخلية متخذا الخطوات التي تكفل وحدتها وقدرتها على النمو والازدهار فأعاد السزراذشتية دينا رسميا ، وامر بجمع تعاليم زرادشت في مجلد واحد ، كما جمعت تفاسيره المعروفة باسم (الزند) وجعل له تفسيرا عرف باسم (بازند) ومنح رجال الدين صلاحيات واسعة معززا من دورهم ومكانتهم في الحياة الجديدة للدولة . حيث كان اردشير يعتقد ان الملك والدين اخوان توأمان لا قوام لاحدهما إلا بصاحبه ، لان الدين أس الملك وعماده ، ثم صار الملك بعد حارس الدين فلا بد للملك من أسه ولا يسد

للدین من حارسه ، لان ما لا حارس له ضائع وما لا اس له فمهدوم (١)

كذلك اول اردشير العلوم والمعارف اهتمامه الزائد ، وامر بالحصول على نسخ الكتب الطبية والفلكية وانفق كثيرا لاجلها . كما اهتم بالجيش وتنظيمه وامر للجند بالارزاق والمراتب الشهرية . وتابع اردشير التنظيمات الادارية بشكل مباشر . وكانت له عيون على سائر موظفيه وقسم الناس الى اربع طبقات : ١ - الاساورة (رجال الحرب) ٢ - رجال الدين ٣ - الكتاب والاطباء ٤ - الزراع واصحاب المهن . ورسم حدودا صارمة لكل من هذه الطبقات ، وعبر عن مخاوفه من انتقال الناس من طبقة لأخرى ، لأنه رأى في ذلك فساد الملك .

وبسبب هذه التنظيمات الاجتماعية التي طبقها اردشير ، ورسم بموجبها حدود طبقات المجتمع واستخدم الحزم والشدة في تنفيذها ، ابتدع ايضا مراسم للحياة الملكية لا يحق لأي شخص بتقليدها ، فلا يلبس احد من الامراء تاجا مثل تاجه ولا يركب مثل مركبه . ومن الرجال البارزين على عهد اردشير تنسر (الموبدان موبد) كبير رجال الدين الزرادشتي ، الذي آزر الملك وبث له الدعاية في ارجاء البلاد وكتب رسائل كثيرا ما يشر بافكار اردشير بثها له الدعاة بين الناس وبعد كتاب تنسر مصدرا رئيسيا لدراسة احوال الدولة والمجتمع الساساني (٢) وفي حدود عهد اردشير قامت امارة عربية جديدة في غرب الفرات حدود الكوفة هي الحيرة وكانت تابعة للنفوذ الساساني ، واعتمدها الساسانيون حصنا مكيئا بوجه القبائل العربية من سكان البوادي وفي وقت مقارب ظهرت مملكة عربية في شمال البادية الشامية عرفت بدولة الغساسنة كانت موالية للرومان .

(١) د. احسان عباس : عهد اردشير دار صادر بيروت ١٩٦٧

(٢) كتاب كريستنسن ترجمة د. يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٦

من ابرز المعالم السياسية للوحدة القوية للدولة الساسانية ظهور لقب ملك الملوك (شاهنشاه)
يث كان امراء فارس الساسانيين يحملون لقب ملك ، لذلك اصبح حريا بملك ايران جميعها
يحمل لقب ملك الملوك ، بينما بقي لقب ملك يمنح لبعض الامراء الذين يحكمون
في الدولة مثل ملوك الحيرة ، فالملك فيهم وفي ولدهم مع كثير من امتيازات الحكم المحلي
ي كان سائدا منذ ايام الاشغانيين (الفرثيين) ولكن الملوك المحليين على عهد الدولة الساسانية
ليونون ملزمين بوضع قواتهم العسكرية في خدمة الدولة المركزية ويدفعون ضريبة سنوية للخزينة
كزيرة .

بحث الثالث : عهد شاپور الاول :

يث شاپور دولة مترامية الاطراف قوية البنيان قامت على انقراض دولة الفرثيين واماراتهم وبيد
ظهور الدولة الساسانية ونجاحها السريع في تركيز قدرتها واتساعها لم يفسح المجال امام
لدائها وبخاصة من امراء البيت الاشكاني بتجميع قواهم الاعلى عهد شاپور ، لذلك فمثلا
يث شاپور دولة كبيرة ورث ايضا جانبا من المشاكل التي ظهرت بقيامها .
ن وفاة اردشير سنة ٢٤١ م ، واحتفل بتتويج شاپور في سنة ٢٤٢ م ، ويذكر ان اول خطبة
اني كانت يوم تتويج شاپور الاول . هذا شاپور حذو والده من حيث طموحه الذي لا حدود له
ي تأسيس امبراطورية تضاهي امبراطورية الاخمينيين القديمة فافاد من التنظيمات العسكرية
جديدة التي اقراها والده بحيث اصبح الجيش بموجبها اداة قوية بيد الحكام الساسانيين .
صرف اهتمامه باديء الامر لتقوية حدود مملكته فمن الناحية الجنوبية الشرقية تقوم مملكة
وشان التي تحتل مركزا رئيسيا في تجارة ايران مع الشرق والهند . وفي الشمال تمثل أرمينية
حد الفاصل بين الامبراطورية الساسانية والرومانية . وفي الغرب تشكل الامارات العربية
من اهمها الحضر خطرا محدقا بالحدود الغربية للدولة واذا كان الاصطدام بأرمينية او الحضر
ير فرع الرومان لأنهما على حدودهم ، وذلك امر لم يرغب شاپور التروط فيه ، او على الأقل
اعتقد في ان تقوية حدوده الجنوبية والشرقية تسهل امامه مهمة التصدي للرومان في حالة
حركهم . لذلك كشفت لنا كتابة تذكارية على جدران معبد نارس نقش رسم النجاح الاول في
حط شاپور العسكرية باجتياحه لمدينة يشاور العاصمة الشتوية للملوك الكوشانيين (١) وسيطرة

(١) مملكة كوشان : مملكة هندية ظهرت في القرن الميلادي الاول ومركزها الاقسام الشمالية لشبه القارة
الهندية في حدود حوض نهر السند ، وديانتها البوذية . وكانت لها صلات تجارية واسعة مع الصين
والرومان . وكانت من اقوى المراكز على الحدود الجنوبية لدولة الساسانيين ووقفت مملكة كوشان بجانب
الارمن ضد اردشير ، وكانت نهايتها على يد شاپور .

على وادي الاندوس . بعدها واصل زحفه شمالا فعبّر جبال هندكوش (الفاصل الجنوبي بين إيران وشبه القارة الهندية) وسيطر على اقليم بكثريا ثم عبّر نهر سبجون (Oxus) وسيطر على مدينتي سمرقند وطاشقند .

كان احتلال شابور لدولة الكوشانيين سببا في انتقال الحكم من الاسرة الكوشانية القديمة الى اسرة جديدة اعترفت بسيادة الفرس واقتصرت نفوذها على مساحات صغيرة من الارض بالقياس الى اراضي الدولة الكوشانية القديمة .

وبعد ان استتب الاوضاع السياسية في الاقسام الشرقية لصالح الدولة الساسانية توجه شابور بعدها لتوطيد حكمه وحسم المشاكل الحدودية في ناحية الغرب فاجتاح سوريا حتى بلغ انطاكية ولكنه اضطر للتراجع امام الامبراطور الروماني فيليب العربي واضطر لقبول عقد اتفاقية سلم بين الطرفين كانت في شروطها لصالح الساسانيين ، حيث دفعت روما بموجبها جزية سنوية وتنازلت للساسانيين عن حقوقها في أرمينية وما بين النهرين (بلاد ما بين النهرين) Mesopotamia تسمية شاعت في العصر الروماني لمساحات من الارض تقع بين الفرات ودجلة في اقسامها الشمالية والى حدود جبال بلاد الاناضول وتسمى في المصادر العربية بارض الجزيرة ومن مدنها الحضر ونصيبين واورفة والصالحية وديار بكر وماردين والموصل وغيرها) . ومقابل هذه الانتصارات الباهرة التي احرزها شابور اتخذ لنفسه لقباً ملكياً جديداً في نقوشه "شاهنشاه ايران واتير ان" اي ملك ملوك ايران وغير ايران ويعكس هذا اللقب الغرور الملكي الذي تميز به شابور والذي ادى نه لتجاوز ما حققه والده من اعمال .

وبعد مرور خمسة عشرة سنة على اتفاقية السلم بين روما والساسانيين ، تجددت الحرب ثانية بينهما . فنجح شابور من اجتياح العديد من المدن السورية بما فيها انطاكية التي كانت من امهات المدن السورية على ذلك العهد وفي معركة طالمة بالقرب من أديس (الرها) (اورفة الحالية) سقط فاليريان الامبراطور الروماني ومعه حوالي (٧٠ / ١٠٠) من ضباطه وجنده اسرى بيد شابور . فاسكنهم مدينة جند يسابور وفرض عليهم بناء سد عظيم على نهر كارون ولا يزال قائماً الى يومنا هذا ويعرف بسد الامبراطور وقد خلد شابور انتصاره هذا على فاليريان في نقش كبير هو نقش رستم الذي يعد من اروع المنحوتات التي بقيت من ايام الساسانيين ولم يقتصر نفع الاسرى من الرومان على بناء السد فحسب ، بل أفاد الفرس منهم كثيراً في الجوانب الفنية والمعمارية والعلمية ، فقد كان من بين الاسرى العديد من المعمارين والمهندسين والصناع والمهرة حيث استخدموا على نطاق واسع في انشاء الطرق والجسور التي انعكس اثرها في ثراء مقاطعة خوزستان ولا تزال بعض منشآتهم صالحة للعمل الى يومنا الحاضر .

المبحث الرابع : تدمير والخضوع وعلاقتهما بالساسانيين

تدمير والساسانيون :-

كانت في الاطراف الشمالية لبادية الشام واحة كثيرة الماء والزرع تعرف باسم تدمر ، وتسميها المصادر اليونانية والرومانية باسم (Palmyra) يسكنها العرب الذين كانت لهم مساهماتهم الكبيرة في تجارة المرور (الترانزيت) البرية عبر الخطوط الصحراوية . فكان لتدمريون وسطاء لتجارة الشرق في بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط . وكانت آنذاك تحت النفوذ لروماني . لذلك كانت علاقة - التدمريون بالرومان طيبة ووثيقة ، لان الطرفين انتفع احدهما من الآخر . ولم يفكر الرومان باحتلالها لصعوبة مسالكها وتعذر تسيير طرق القوافل البرية دون اهلها ، ازدادت تدمر ثراء وعظمت وقوة بمرور الزمن .

حتى انها كانت تطمح لان تلعب دورا اكبر من واقعها كوسيط للتجارة ، كأن تصل سيطرتها مثلا الى مراكز الاسواق التجارية في بلاد الشام . يقابل ذلك ، ان الساسانيين وهم سادة جدد للمنطقة لم يدركوا تفاصيل الحياة فيها ، وبخاصة شروط المنطقة الاقتصادية ، كما اضررت تحركاتهم العسكرية في اقسام ارض الجزيرة السورية ابلغ الضرر بالتجارة والمصالح التدمرية .

وبسحت الفرصة امام التدمريين بعد غياب الحاكم الروماني عن سوريا بسبب سقوط فاليريان (٢٥٣ - ٢٦٠ م) اسيرا بيد الفرس ، وبعد ان خضعت معظم المدن السورية الرئيسية لحكم الساسانيين .

كما ان شابور بعد ان غلب الروم واسر فاليريان ، لم يمهل نفسه وجنوده بل واصل السير لاستثمار اقصى ما يمكنه من انتصارات ، فسار الى كبد وكبة وهي مناطق سهلة بين سلسلي جبال طوروس والاناضول وفي طريق عودته الى المدائن ، تعرض هو وجيشه الى هجوم خاطف قام به التدمريون بقيادة اميرهم اذينة فاصابوا جانبا من الجيش واستولوا على بعض الثروات التي غنمها الفرس من حروبهم في سوريا وطاردوا الجيش الفارسي الى حدود نهر الفرات . ومن الامور التي تلفت الانتباه كان عدم اهتمام سابور لهذا الامر ، على الرغم من ان اذينة ازداد قناعة بقدرته العسكرية . فاغتنم الفرصة وواصل زحفه على دمشق وحمص ، غلبها من المدن السورية ، وكان التدمريون في خطواتهم هذه يتالون رضا ودعم الرومان الذين منحوا اذينة لقب قيصر وهو لقب سياسي رفيع . لقد تطورت تدمر تطورا سريعا ، وبخاصة بعد مقتل اذينة وتولي سلي زوجته الزينة

الحكم وصية على ابنهم الصغير وهب اللات ، فبلغ نفوذ التدمريون الى مصر وضربت مسكوكات خاصة بهم . وبدوان هذا التطور السياسي السريع للنفوذ التدمري لم يرضى روما لانها قصدت عندما دعمت التدمريين ان يقفوا بوجه الفرس لا ان يتناولوا على الممتلكات الزومانية كما حدث في مصر . وكان للزباء دور بارز في مجمل احداث التاريخ السياسي للتدمريين في هذه الفترة .

وبعد ان استرجعت روما انفاسها اثر الضربة العنيفة التي وجهت اليها من قبل الساسانيين ، عملوا على وضع نهاية الزباء ومدينة تدمر ، ولكنهم خسروا بالقضاء على تدمر حليفا قويا ودولة حدودية مهمة كانت تقف بوجه اعدائهم الساسانيين (١) .

الحضر والساسانيون :

ومثلما كانت نهاية تدمر على ايدي الرومان ، شهدت امارة عربية اخرى نفس المصير على ايدي الفرس على عهد شابور الاول وهي امارة الحضر .

تقع الحضر في ارض الجزيرة بين دجلة والفرات الى الغرب من نهر دجلة مسافة ٧٠ كم على الاطراف الشمالية لوادي الثرثار وتبعد عن جنوب غرب مركز مدينة الموصل مسافة حوالي ١٢٠ كم . وتشهد آثار الحضر التي بقيت صامدة بوجه الزمن بالمكانة العظيمة التي تبوأتها هذه المدينة في تاريخ الشرق القديم وبخاصة في جمال ابنتها ومناعة اسوارها التي اصبحت مضرب الامثال لقوتها وارتفاعها واتقان بنائها وقد امتنعت الحضر امام الفانجين الرومان ومنهم القائد سبتيموس سيفيروس الذي حاصرها عام ١٩٨ م ولم يوفق حتى في احداث ثغرة في جسم اسوارها المنيع . واذا كان اصرار الروم على اسقاط الحضر غير شديد ، لأنها بحكم موقعها بعيدة نسبيا عن مراكز نفوذهم ، فان موقف الحضر تغير بظهور الاسرة الساسانية ، لأنها اصبحت بحكم موقعها ايضا منطقة رئيسية امام عبور الساسانيون الى اقليم الجزيرة ومراكز النفوذ الروماني . لذلك باداردشير لحربها وفشل فانبى لها شابور الاول الذي حقق ايضا انتصارات كبيرة في منطقة الجزيرة . ومراكز النفوذ الروماني في سورية . فليس مقبولا من الناحية العسكرية ان تقوم دولة كالحضر مستقلة عن نفوذ الساسانيين خلف

(١) نحيل القاريء الى احداث دراسة عن تدمر واثرها الاقتصادي في منطقة الشرق الادنى

للمرجع التالي عدنان البني نظرات حول الحياة في تدمر

مجلة الموسم الثقافي ١٩٦٧ - ١٩٧٠ وزارة الثقافة والاعلام ص ٢٧٧ - ٣٠٤

خطوط تحركاتهم العسكرية . فكان حصار شابر شديداً ودام سنة كاملة اضطرت المدينة على اثره للاستسلام فدخلها ضافرا ونقل ابنائها اسرى واستولى على ثرواتها . وتؤكد اعمال التنقيبات التي اجرتها مديرية الآثار (١٩٥١ الى الان) في مدينة الحضر ، انها تركت سالمة دون ان يصيبها تخريب او تشويه متعمد .

وتشير المصادر العربية الى هذه الحادثة مع ذكر اسماء امراء لم تكشف اعمال التنقيبات عن اى وجود لهم بين المخلفات الكتابية على آثار الحضر . كما تروى المصادر نفسها قصة اقرب ما تكون الى الاسطورة عن كيفية تمكن شابر من اسوار الحضر . ومفادها انه كان للوزير آخر امراء الحضر ابنة جميلة تدعى النصيرة وقيل انها افتتنت بشابر فارسلت اليه تخبره باستعدادها لتسهيل عملية فتح المدينة امامه شريطة ان يتزوجها ، فقبل وبروى انها عينت اشارة على باب من ابواب الحضر ، وذهبت اليه ليلا وانقلت على حراسة بالسكر ، فنجح شابر اثر ذلك من اختراق المدينة . وتكمل المصادر العربية روايتها بان شابر وفي بوعده وتزوج بالنصيرة . وكانا في طريق عودتهما وكان الوقت ليلا عندما شعر شابر انها غير نائمة فسألها عن السبب فقالت ان شيئا في فراشي يعكر على صفو نومي فبحث عنه فاذا به ورقة آس فاستغرب الملك لذلك كثيرا وتصور الحياة الرغيدة التي وفرها لها ابوها ، فامر بحصانين جموحين فشدت اليهما من جانبيها ، فأمر فركل الحصانان فشطرت الى شطرين . وربما قصد الرواة العرب بروايتهم هذه تأكيد بسالة وقوة اهل الحضر ومدينتهم بحيث كانت الخيانة فقط السبيل الوحيد لذلك حصون هذه المدينة .

اما الوزير الذي ذكر انه امير الحضر ، والذي لم تكشف اعمال التنقيبات في الحضر عن اى اثر له ، فالمعتقد انه زعيم التنوخيين ، وكان قد هرب من وجه شابر أثناء محاربه العرب ولجأ الى الحضر ، وكان ذلك قبيل هجوم الملك الفارسي على الحضر وعليه فمن المرجح ان شارك الوزير ملك الحضر في الدفاع عن المدينة ، فاختلط الامر على المؤرخين العرب حيث ذكروا الوزير واعطوه اسما آخر وهو الساطرون الذي يرجح ان يكون تحريفا لاسم سنطوق ملك الحضر ، وعند ذلك تستقيم الرواية العربية (١) ومثلما أصابت الدولة الساسانية على عهد شابر نجاحا كبيرا في الجوانب العسكرية والسياسية شملت ايضا اهتماما واسعا بالثقافات والعلوم الاجنبية . ونالت حركة الترجمة عن المصادر الاغربية

(١) للوقوف على تفصيلات تاريخ هذه المدينة العربية نحيل القاريء الى المرجع التالي :-

فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى : الحضر مدينة الشمس . وزارة الاعلام بغداد ١٩٧٤

واللاتينية والهندية حظوة وتشجيعا من لدن الملك نفسه وربما يفسر ذلك انفتاح ذهنية هذا الملك الذي سنجده مؤازرا لماني ومشجعا لنشر تعاليمه . وقد تحولت مدينة جند يسابور تدريجيا الى مركز علمي مرموق واصبحت لمدرستها في الطب فيما بعد شهرة واسعة . وقد كان للأسرى الروم الذين جمعهم شابور في هذه المدينة اثر كبيرا على مستقبلها العلمي ..

اشرنا قبل قليل الى احتضان شابور لماني ودعوته الدينية الجديدة ونظرا لأهمية هذه الدعوة في مجريات الاحداث للدولة الساسانية ، وعلاقتها بشابور ، نفضل ان نفردها جانبا من الحديث .

الفصل الثاني

ظهور المانوية وأثرها في المجتمع الإيراني

المبحث الأول : ماني والمانوية

يقتضينا الحديث عن الديانة المانوية ان نذكر شيئا موجزا عن الديانة الإيرانية القديمة - الزرادشتية - التي شاعت في بلاد إيران منذ عصر الدولة الأخمينية منذ القرن السادس قبل الميلاد وتعتبر الزرادشتية تطورا للمعتقدات الدينية الآرية القديمة المعروفة باسم المزدية كانت الديانة الرسمية للدولة الساسانية هي الزرادشتية (نسبة الى مؤسسها زرادشت) التي أصبحت دينا رسميا للدولة الأخمينية القديمة منذ عهد دارا الأول وتستند هذه الديانة في فلسفتها على مبدأ الصراع بين فكرتين يمثلها الهين هما اهور مزدا ، اله النور والخير والافعال الحسنة واهريمن اله الظلمة والشر والأعمال السيئة ، وترى الزرادشتية ان هذين الالهين او المبدئين أزلين لا يمكن لارادتهما التغيير . والكتاب المقدس للديانة الزرادشتية هو الآستا . الذي وضعت له شروح في كتاب يسمى بالزندا فستا او الزند . لذلك عمل الزرادشتيون على جعل النيران في معابدهم دائمة الاشتغال لتأكيد وجود اله الخير دائما وعلو كلمته وكما اشرنا فيما سبق . فان الساسانيين اعتبروا انفسهم الورثاء الشرعيين لدولة الأخمينيين ، وسار كثيرا من ملوكهم يقتفي اثار الملوك الأخمينيين . فلذلك تبنت الدولة الساسانية الذين الزرادشتية واعتمدته دينا رسميا للدولة الساسانية منذ أول أيامها كما علينا ان لا ننسى في هذا الخصوص ان جد الاسرة الساسانية وهو ساسان كان الكاهن الاعلى لمعبد النار الخاص بالالهة اناهيتا في مدينة اصطخر ، وهذا يحدد بالضرورة اقتران الدين بالملك ، وقد بذل اشرير جهودا كبيرة ، كما اسلفنا في تثبيت دعائم الدولة وأركان الدين . وامر بجمع نصوص الآستا في كتاب موحد الحق بشروح تفصيلية عرفت باسم بازندا ولكون الزرادشتية دين الدولة الرسمي ، فقد سابت تعاليمها رغبات الطبقة الحاكمة على حساب الغالبية العظمى من ابناء الشعب . فلم يقل اردشيربان الدين والملك توامان . ولكن اذا كانت الزردشتية فكرا مسابرا لروح العصر الأخميني في القرنين الخامس والرابع ق م بسبب ملازمتها للتقاليد القديمة وروحية المحافظة الشديدة التي عرفت بها تعاليمها وافكارها ، يبدو انها تعارضت وتطلعات الناس في إيران على العهد الساساني . ولم تستطع التوفيق بين شعوب الامبراطورية الساسانية التي ضمت بين صفوفها امما وشعوبا مختلفة ، لها افكارها الدينية وتقاليدها الخاصة المتطورة بفعل تاريخها الحضاري الطويل .

كما ان انتشار الافكار المسيحية السريع في اجزاء من العالم القديم شرق البحر المتوسط ،
زعزع الى حد كبير من مكانة الفكر الزرداشتي بين شعوب الامبراطورية الساسانية بما فيهم الابرانيون ،
ولما كان الدين والملك توأمين كما يروى على لسان اردشير فكان لزاما علي شاپور الاول ان يسعى
لبث مبادئ وافكار يمكنها توحيد صفوف الامم والشعوب التابعة لامبراطوريته وتستطيع مسايرة
روح العصر الجديد ، الذي اصبحت فيه احتكاك الشعوب بعضها ببعض كبيرا ، ونشط انتقل
الافكار من مكان لآخر بفضل لمحة التجارة العالمية الواسعة وأثر الفتوحات العسكرية وهجرات
الافكار من مكان لآخر بفضل حركة التجارة العالمية الواسعة وأثر الفتوحات العسكرية وهجرات
الشعوب والقبائل . حيث اخذت آثاره تنعكس واضحة على حياة الشرق القديم مع مطلع
القرن الثالث الميلادي .

واعتقد شاپور انه اصاب الهدف بتبنيته للماني وديانته الجديدة . ولد ماني في اسرة ايرانية
عريقة وربما تنسب الى العائلة المالكة الاشكانية (الفرثية) . وتختلف المصادر العربية الاسلامية
في اسم والده فهو (ماني بن حماد الزنديق) عند اليعقوبي والمرجح انه (ماني بن فاتك الحكيم)
كما اوردته الشهري في كتابه الملل والنحل ومثلما تختلف المصادر حول نسبه تختلف ايضا
في موطن ولادته ، ولكن الأرجح انه ولد في بابل وترعرع في قرية من قرى بيسان ونشأ على
على مذهب المغتسلة (١) وعكف على دراسة اديان وفلسفات زمانه وتعلم امورا كثيرة من
ديانة الشعوب وافكارها بسبب تجواله في الهند واواسط آسيا والصين . لذلك جاءت تعاليمه
خليطتين منها الافادة من الديانات الكثيرة القديمة .

وبخاصة البوذية والمسيحية والغنوصية (١)

ويؤكد ذلك الشهرستاني بقوله ان ديانة ماني هي بين المجوسية والنصرانية .
زعم ماني انه نبي زمانه وانه جاء ليبشر بدينه للناس كافة ، فالمانوية اذا ديانة عالمية
حيث نتوضح من ذلك الاثر المسيحي فيها ، كما تبينه من قولها بالتثليث على غرار ثلاثي
الدين المسيحي (الاب والام والابن) .

ان اول خطبة لماني بشر فيها بدينه الجديد كانت في حفل تنويج شاپور وذلك في عام

(١) وهي تنسبة عرف بها الصابئة المندائيون في جنوب العراق

(١) المغنوصية : هي مجموعة افكار دينية شرقية امتزجت بالفلسفة الاغريقية ومن عقائدها المبدأ الثنوي الذي
ترك اثره في الافكار المانوية . والغنوص تعني المعرفة العليا ذات الاسرار (لمعرفة اوسع بالافكار الغنوصية
من حيث جذورها راجع : كريستنسن ايران ص ٢٦ - ٢٩)

ومن مذاهب الغنوصية مذهب ابن ديسان ومريون ومن مراكزها اقليم بابل وجنوب العراق . والعلاقة
التي تذكر بين ماني والغنوصية او مع مذهبي ابن ديسان ومريون مرجعها هو انهم جميعا عملوا للخروج
بالافكار مزيجة تجمع بين المسيحية دون اهمال اثر الفلسفة الاغريقية . ويدل ان ماني وحده نجح عمليا في ذلك .

٢٤٢ م ، حيث وجد شابور في دعوة ماني افكارا مناسبة لدين رسمي يمكن قبوله ونشره بين شعوب امبراطوريته ، لأنه يثل خلاصة أفكار معظم الديانات القديمة بما فيها الزرادشتية ، ولكونه دينا مـــــــن أركانه الرئيسية دعوته للعالم أجمع

لم تعتمد المانوية في نشر مبادئها اسلوب الكفاح الجماهيري ، بل تذرعت بالوسائل السلمية الاقناعية ، حيث رأى ماني ان الدعاء الى الحق وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة الاوثان هي الطريق الى الخلاص ، كذلك اعتمدت في عرض افكارها اسلوبا واضحا بعيدا عن الاسرار والتعقيد الذي اتصفت به طقوس الزرادشتية .

تطورت العلاقة الحسنة بين ماني وشابور الى حد ان ماني اهدى احد كتبه للملك وجعل عنوانه (شابور غان) . ووجد ماني واصحابه جميع التسهيلات وحرية الحركة والتبشير بالدين الجديد في ارجاء الامبراطورية .

ولكن بسبب الموقف الفكري العام للمانوية التي تميل الى جانب الفقراء والطبقات المسحوقة ، وبسبب موقف الدين المانوي من الديانات الاخرى ، حيث اعتبرها لاغية بظهور المانوية ، واكثر من ذلك فقد عد ماني جميع الانبياء الذين سبقوه شياطين مرقه لم ينفذوا ما عليهم من واجبات بكاملها . لهذه الاسباب مجتمعة ، بدأ التضييق على ماني واتباعه ومن ثم سجن وصلب وعُلقت جثته على باب مدينة جند يسابور ، وكان ذلك على عهد هرمز او بهرام الاول .

لم يكن اثر ماني محصورا في التبشير بدين جديد لم يكتب له النجاح ، بل ترك اثرا واضحا في افكار المجتمع الايراني ، جعلته يتقبل الافكار الجديدة التي بشرت بها المزدكية في تاريخ لاحق من عصر الدولة الساسانية كذلك لماني اثار جليلة في مجالات اخرى ابرزها مؤلفاته الكثيرة في الفكر والفلسفة وهي التي عبر من خلالها عن دينه وفلسفته ورد على فكر الديانات الاخرى . وكان ماني كاتباً ماهراً وخطاطاً يزقي المستوى الفني في جمال خطه ، ورساماً مبدعاً ، كما انه ادخل اصلاحاً على الكتابة القهلوية باستعماله الابدجية الارامية في تدوين اللغة الايرانية . وبعد مقتل ماني ترأس المانويين احد تلامذته واقام في بابل وانتشرت المانوية بصورة سرية في بعض اقسام العراق واقاليم الامبراطورية الرومانية ، وبقيت الافكار - المانوية معروفة في اقسام من شرق وشمال ايران الى حدود القرن الثامن الميلادي لكنها اخذت بعد ذلك تذوب تدريجياً في الدين البوذي او المسيحي اللذين - يقربانها في بعض الواجه الفكرية .

كتب ماني ستة كتب وارسل منشورات كثيرة الى اصحابه واتباعه ويمكننا التعرف على اسماء عدد من هذه الكتب والمنشورات ضمن لائحة رسائل ماني واصحابه الست والسبعين المذكورة في كتاب الفهرست لأبن النديم . وقد كتب ماني خمسة من كتبه الست بلغته اي اللغة المحلية التي يجب ان تكون الارامية الشرقية وقد سميت لغة هذه الكتب في المصادر العربية وغيرها

بالسريانية . وقد نسيت اللغة السريانية تدريجيا وتركت مع مرور الزمن ، وتبدلت لغة كتابتهم من السريانية الى اللغة القهلوية (قسم منها الى اللغة البارسية (الفارسية) ، وقد ترجمت فيما بعد الى السغدية ومنها ايضا الى التركية .
ولدينا بعض المعلومات عما جاء في هذا الكتب . ففي كتاب سفر الاسفار . مثلا عرض فيما يظهر لمعتقدات ابن ديسان كما ان اغلب موضوعات كتاب شابورغان ، المدون باللغة البارسية اى لغة اقليم فارس جنوب غربي ايران عن المعاد . وعموما فان عقائد مانى تقوم على اساس الفلسفة اليونانية الحديثة والغنوصية وامتزاجها بالاديان السماوية وبخاصة المسيحية ، وكانت الناحية الاخلاقية والحث على التقوى والاداب لها تأكيد كبير في هذه العقائد . (١)

المبحث الثاني : فترة الضعف الاولى

توفي شابور عام ٢٧٢ م ، بعد حكم طويل مليئ بالاحداث الجسيمة ، حتى ان شهرته وكثرة اوجه نشاطه غطت على احداث حكم ولديه ورثي العرش بعده هرمز الاول - (٢٧٢ - ٢٧٣) وبهرام الاول (٢٧٣ - ٢٧٦)
وابرز عمل ينسب الى هرمز يتمثل في قتله لمانى وصلبه على باب مدينة جند يسابور ، وينفرد البيهقوي في نسبة ما تعرض اليه ماني واتباعه الى الملك بهرام الاول . واعقبهما في حكم ايران بهرام الثاني (٢٧٦ - ٢٩٣) ابن بهرام الاول ، وكان حاكما على ولاية خراسان في عهد ابيه . فشهد عهده تجدد الحرب مع روما ، وبلغت الجيوش الرومانية ابواب المدائن لولا وفاة قائدها فجاءة مما تسبب في توقف الحرب . وكان بهرام في موقف حرج وهو يواجه الجيوش الرومانية بسبب ثورة نفذها احد اخوته وكان حاكما للاقليم الشرقية من ايران ومركزه اقليم خراسان ، فاضطر بهرام الثاني على عقد الصلح مع الرومان متنازلا لهم عن ارمينية والجزيرة . كان الاقليم الشرقي للمملكة الساسانية اقليما ستراتيغيا هاما بسبب قربه من مملكة الكوشانيين اولا ولكونه ثانيا يمثل حصن ايران الشرقي بوجه القبائل البربرية فيما وراء النهر . لذلك جرت العادة ان يتولى امر هذا الاقليم الهام احد ابناء الملك او اخوته فقد كان بهرام الثاني نفسه اميرا على خراسان على عهد والده بهرام الاول . واوكل ولاية خراسان على عهده الى اخيه هرمز . ولما ادرك هرمز صعوبة الظروف الذي يحيط بأخيه ، وبسبب التشجيع الذي ناله من امراء كوشان .

(١) نظرا لاهمية المانوية كفكر وفلسفة واثرها الكبير في حياة المجتمع الايراني نحيل القارئ الى المراجع التالية بغية الاستزادة في المعلومات .

١ . الفهرست لابن النديم : مكتبة خياط بيروت ص ٣٢٧ - ٣٢٨

٢ . حسن تقي زادة : ماني ودينه ، ، مجلة الدراسات الادبية السنة الرابعة العدد ٢ - ٤ السنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣

الاعداء القدامى للساسانيين اعلن الثورة على بهرام الثاني محاولا الانفصال في دولة شرقية مستقلة عن حكم الدولة الساسانية . فكان هذا الحدث الخطير سببا مباشرا لينتهي بهرام الثاني حربه مع الرومان مقابل التنازلات التي اشترنا اليها ، ليرمي كامل قواه العسكرية بوجه ثورة الاقليم الشرقي . فنجح في اخماد الثورة واحكم سيطرته على الاقليم ، كما فرض سيطرته على مدن اواسط وادي السند لدعمها ثورة اخيه في خراسان .

ترك لنا بهرام الثاني نقوشا هامة افادت في دراسة الفن الايراني ، وبعض هذه النقوش تصور انتصاره على ثورة الاقليم الشرقي .

وبعد حكم قصير دام حوالي شهر ، نجح نرسي بن شابور الاول من ازالة ابن اخيه بههرام الثالث الذي اعقب والده في حكم ايران لذلك نلحظ المصادر العربية تتعدى حكم بهرام الثالث وتضع نرسي وريثا مباشرا لأخيه بهرام الثاني وقد خلد نرسي انتصاره وارتقاءه العرش في نقش كبير عند بيكولي وكان ذلك سنة ٢٩٣ م (١) اعتقد نرسي ان الاوضاع العامة في

انحاء دولته مناسبة لشن هجوم على الرومان لاسترجاع ما اضطرب بهرام الثاني التنازل عنه ، ولكن نتيجة الحرب كانت وبالا عليه ، ففُسر المعركة واسرت زوجته وافراد بيته مما اضطره لعقد صلح مع روما اقر بموجبه اطلاق يد الرومان في أرمينية وجورجيا فأدى ذلك الى خلق وضع قلق امام الاسرة الحاكمة ، كان من نتيجته تشجيع النبلاء وعظماء المملكة للتلاعب بمقدراتها . كذلك ابدت ايران ضعفا في موقفها من مملكة الكوشيين وحاولت كسب ودهم عن طريق تزوج هرمز الثاني نرسي وخليفته على عرش ايران من احدى اميرات البلاط الكوشاني . اخذت السلطة المركزية المتمثلة بالملك تتلمس طريق الضعف المتزايد مما اطلق ايدي النبلاء والعظماء بالتدخل في شؤون خطيرة بلغت حد تدخلهم في تعيين الحاكم الجديد . وقد ظهر ذلك واضحا عندما هزلوا احد ابناء هرمز الذي سبق وان نصبوه على العرش ، كما سلوا عيني احد اخوته (وكانت هذه الطريقة او اي عمل آخر يقصد من ورائه نشويه معالم جسم الشخص تمنعه من اعتلاء عرش ايران لان من شروط الحاكم الساساني ان يكون جسمه خاليا من العاهات) واخيرا نصب عظماء المملكة شابور الثاني ابن هرمز ملكا على ايران وكان لا يزال طفلا صغيرا .

١ - نصب بيكولي : نصب تذكاري على السفح الغربي لجبال قره داغ عند الفتحة المعروفة باسم دريند بيكولي .
يبعد حوالي ٨ كم عن الضفة اليمنى من ديبالي ويدعوه الاكراد حاليا باسم بت خانه ، اي بيت الاصنام وهو عبارة عن برج مربع لم يبق منه سوى اقسامه السفلية وعلى اوجهه صورة الملك نوسي . وعليه كتابة بالخط الآرامي وباللهجتين الفهلوية الاشكانية والساسانية ، ويمثل موقع النصب بالقرب من مرجلي هام في سلسلة جبال قره داغ تعبر زاكروس صوب بلاد وادي الرافدين من ايران

الفصل الثالث

عهد الازدهار الاول

المبحث الاول : عهد شابور الثاني

حكم شابور الثاني ٧٢ سنة (او ٧٠) وكانت امه وصية عليه في صغره يساعدها في ادارة دفة البلاد بعض عظماء المملكة ، ويدوان ذلك كان مقصد العظماء في تعيين شابور الثاني ، حتى يكونوا الحكام الفعليين للامبراطورية الساسانية . تعد فترة حكم شابور الثاني من العهود المجيدة في تاريخ الساسانيين ليس بسبب طول مدتها وانما بسبب احداثها المؤثرة .

تروي المصادر العربية الاسلامية بعض الروايات التي تؤكد ذكاء شابور الخارق وروحه الوثابة للاصلاح حتى انه اظهر ميلا لاصلاح اوضاع المملكة منذ صغره . فيروي انه استيقظ فجسر يوم من الايام من نومه في قصره بالمدائن على ضجيج الناس لازدحامهم على جسر دجلة مقبلين ومدبرين فسأل عن السبب ، فاخبر أنها بسبب ضيق الجسر وازدحام الناس في عبوره ، فأمر بان يعقد لهم جسر آخر احدهما للذهاب وآخر للاياب . فتباشر القوم بما ظهر من فطنته مع طقوله .

كانت سنوات الحكام الضعاف الذين سبقوا شابور الثاني في حكم ايران ، يضاف اليها فترة وصية امه عليه وهو صغير السن ، ظرفا مناسباً لطمع القوى المحيطة بايران ، والتي كانت تترصد الفرص المواتية . ومما زاد من حرجة موقف شابور في مطلع عهده ، ، تفاقم اخطار النبلاء الذين عظم سلطانهم ونفوذهم اثناء فترة - الوصاية . لذلك طمع في ملك الساسانيين العرب والروم والترك وكان العرب اخطرهم باديء الامر وذلك لقربهم الشديد من حدود المملكة ، ولبادرتهم بالهجوم على قرى وضواحي اقليم فارس .

وعلى الرغم من تولي شابور زمام الامر وهو حدث صغير السن ، حتى يقال انه كان ابن خمس عشرة سنة عندما تولى الامور بنفسه ، لكنه اظهر همة عالية في تثبيت - دعائم السلطة المركزية بان عمد اولاً الى الحد من نفوذ حكام الاقاليم والنبلاء خشية تناميهِ والعودة بالنظام السياسي فسي ايران الى الاسلوب اللامركزي الذي عرفته البلاد على عهد القرثيين .

افتتح شابور حروبه بحملة ضد عرب البحرين وكاظمه والخط الذين هاجموا نواحي فارس . ولم يكتفي بابعادهم عن حدود الاقليم بل واصل زحفه الى الخط والبحرين والبيامة قارضا سلطانه عليهم ، وهجر منهم اعداد كبيرة اسكنهم في جهات بعيدة من انحاء مملكته . ويلقب هذا الملك بذي الاكتاف لكثرة قتاله العرب وانه كان يعتمد الى خلع اكتاف من بقي حيا منهم .

المبحث الثاني الحروب بين الفرس والروم

عاشت الامبراطورية الرومانية احداثا جسمية مع مطلع القرن الرابع الميلادي ، كان من ابرزها تنصر قسطنطين وانقسام الامبراطورية الرومانية الى قسمين ، وظهر سمات دولة رومية شرقية دينها النصرانية وعاصمتها القسطنطينية (اسطنبول الحالية) تعرف باسم الدولة البيزنطية . فبرزت بين الدولتين فارس وبيزنطة بالاضافة الى مشاكل الحدود ومطامع الفريقين للاتساع على حساب الطرف الاخر مشكلة جديدة تمثلت في المسيحيين من رعايا الدولة الساسانية ومما زاد في التهاب هذه المشكلة ان ارمينية الدولة الحدودية بين فارس وبيزنطة ، تنصرت مع بدايات ظهور الدولة البيزنطية واصبحت حليفة للنصارى الروم مما اثار حفيظة الفرس وتجددت بسببها المعارك الدامية بين الفرس والبيزنطيين .

تذرع شابور بحجة استرجاع بعض الاقاليم التي خسرها الفرس او تنازلوا عنها سابقا للروم ، فهاجم ارمينية وتمكن منها دون مقاومة كبيرة تذكر ، ويبدو ان من الاسباب الوجيهة لنجاح حملة شابور على ارمينية ، هو ميل الاستقراطية الارمنية الى جانبه في الحرب وذلك لخوفها من الافكار الجديدة التي بشر بها الدين المسيحي . ولكن الروم ضمدوا بوجه زحف الفرس من خلال قلاعهم الحصينة في الجزيرة وبخاصة نصيبين ، واخذت نتائج المعارك تتحول لصالح السروم وبخاصة معركة سنجار ، حتى بات النصر وشيكاً ، لولا عظم القوة العسكرية التي حركها شابور لهذه الحرب مما اضطر الروم على طلب المفاوضات .

وكان ممكناً للفرس ان يستثمروا النصر ويواصلوا حفرهم في بلاد الروم ، لولا اخبار غزو الاقاليم الشرقية للمملكة من قبل قبائل بربرية آسيوية واستقلال سجستان عن الحكم الساساني ، فوجد شابور في العرض الذي تقدم به الروم لعقد مفاوضات صلح بين الطرفين ، فرصة ذهبية يتيح له لانصراف بكامل قواه صوب الجبهة الشرقية والذي يطاع نص الرسلتين اللتين تبادلتهما شابور مع ملك الروم بخصوص مفاوضات الصلح والشروط المهيئة التي طلبها الجانب الفارسي ورفضها الروم ، يتأكد بان الفرس لم يكونوا - مخلصين في ايقاف الحرب . وانما ارادوا امهال انفسهم الفرصة الكافية لتطمين اوضاعهم الداخلية قبل العودة ثانية الى قتال السروم (١) . وهذا ما حدث بالفعل ، فلم تصل مفاوضات الصلح الى نتيجة فاستغلها الفرس ذريعة لبدء هجوم على قلعة آمد (ديار بكر الحالية) واستولوا عليها ومالت ارمينية المسيحية . وكذلك العرب الى جانب الروم فقطد

(١) كريستن : ايران في عهد الساسانيين . ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧ حيث يصادف القارى

نص الرسلتين المشار اليهما اعلاه ص ٢٢٦ - ٢٢٧

وجد العرب في هذه الحرب الفرصة المواتية للاخذ بثأرهم من شاپور الثاني وجنده لذلك نجح الروم من تسجيل انتصارات كبيرة شارفوا على اثرها المدائن العاصمة مما اضطر شاپور للاستنجاد بكافة اقاليمه فتجمع عنده جيش ايراني كبير نجح من خلاله ان يدافع عن العاصمة . ومما تسبب في رجحان كفة الفرس مقتل الامبراطور البيزنطي جوليان سنة ٣٦٣ م في المعارك الدائرة بين الطرفين ، فرفع من معنويات الفرس فاضطر الامبراطور الجديد جوفيان لطلب الصلح مع فارس ، فجاءت بنود الاتفاقية لصالح الفرس وقضت بتنازل الرومان عن مقاطعات واسعة منها نهميين وسنجار واجزاء من أرمينية واقليم ايريا (جورجيا) لصالح الفرس . كما قتل خلال هذه الحرب امير أرمينية بعد اسره .

ولكن اوضاع أرمينية لم تستقر ، واستمرت بتشجيع من بيزنطة تثير قلق الدولة الساسانية ، مما اضطر الفرس لاحتلالها كاملة واخضاعها مباشرة الى السلطة المركزية الايرانية وذلك بتعيين مرزبان فارسي عليها .

صادفت الحرب بين فارس وبيزنطة حياة مؤرخ روماني معروف شارك في الحرب وشاهد مواقعها المريبة . فدون لنا احداثها تفصيلا ، فافادتنا معلوماته في معرفة تفاصيل المعارك وهولها ومواقعها المريبة ، كذلك نتعرف من كتاباته عن اساليب الجيشين في القتال وعدتهم العسكرية . لذلك تعد كتابات (أمين مارسلن) عن الحرب الرومية الفارسية من اوسع المصادر عن الشؤون العسكرية الايرانية عامة وعن بعض مزايا الملك شاپور الثاني خاصة .

لقد تحولت مشكلة مسيحيي ايران بمرور

الزمن الى مشكلة سياسية كبيرة بين فارس وبيزنطة واخذ الاضطهاد يتفاقم ضدهم ابتداء من عهد شاپور الثاني وحتى اواخر عهد الدولة الساسانية ، وكانت سبب ذلك كما اشرنا فيما قبل عند حديثنا عن أرمينية ، هو تنصر الدولة الرومية الشرقية (البيزنطية) فلم يستطع اكثر الملوك الايرانيين اعتدالا اخذ مسألة مواطنيهم من المسيحيين دون اكتراث . وكغيره من ملوك الساسانيين ، شيد شاپور عددا من المدن تخليدا للذكراه بنيت احداها على انقاض مدينة السوس القديمة .

ان عهد شاپور الثاني لم يكن مشرقا كما تعكسه انتصاراته العسكرية لان قوة الجيش وقدرته العسكرية العالية التي وضحت من كثرة الحروب التي خاضها مظفرا ، كلفت الدولة كثيرا ، ولعل من اوضح المظاهر التي نجمت عن سياسة هذا الملك العسكرية واغراقه في الحروب ، تتمثل في ضعف السلطة المركزية ، يقابلها قوة النبلاء وحكام الولايات الذين قويت مراكزهم المحلية اثر انصراف الملك عن شؤون الادارة والامور الداخلية . كما تحملت الخزينة بحجم

يزيد عن طاقتها من اعباء نفقات الحروب الباهظة وقد انعكس اثر ذلك واضحا على عهد خلفاء شاپور .

لذلك كانت عهود اردشير الثاني (٣٧٩ - ٨٣) اخي شاپور الثاني وكذلك عهد ابنه شاپور الثالث (٣٨٣ - ٨٨) وبهرام الرابع (٣٨٨ - ٩٩) عهودا قصيرة لم تكن لها تأثيرات بارزة في تاريخ ايران . بل على العكس من ذلك ، شهدت عهودهم تنامي قوة ومكانة عظماء المملكة الذين بلغ من امر قوتهم وسطوتهم انهم خلعوا اردشير الثاني وقتلوا شاپور الثالث وبهرام الرابع . انعكس هذا الواقع المتردي لوضع السلطة المركزية في ايران على واقع علاقاتها بمنافستها وعدوتها للدولة البيزنطية . ويبدو ان ايران اضطرت للتنازل عن اقسام من ارمينية للروم ، وهكذا تقاسمت الدولتان الكبيرتان ارمينية مع حكم كل منهما للجزء الذي من نصيبه حكما مباشرا .

تمدنا بعض المصادر القليلة بالمعلومات التي تؤكد ميل رجال الدين الى جانب الامراء والنبلاء في صراعهم مع الملك . وقد خسر الملوك الساسانيون نتيجة هذا الصراع حقهم في تثبيت وراثتهم على العرش من بعدهم ، بينما آل هذا الامر الخطير الى النبلاء ورجال الدين ، فاصبح تلاعبهم بمقدرات الدولة بقتل هذا الملك او عزل الاخر وتبديله كلما اظهر احد الملوك ميلا لانتقاص من مكائنتهم .

تستند نظرية الحكم عند الايرانيين الى الدين الزرادشتي الذي يستمد جذور افكاره من القرون الخمسة او الستة قبل الميلاد . وكان الدين الزرادشتي دينا محافظا يتحرك في حدود بلاد ايران . ولم تكن في افكاره اشارة الى كونه دينا لبني البشر لذلك وقف الزرادشتيون ضد الافكار والديانات التي انتشرت في ايران ، فكان موقفهم المتشدد من اليهودية والمناوية والنصرانية . ولكون موقف الزرادشتية يمثل موقف الطبقة الحاكمة والمتنفعة في ايران لذلك كان ينظر الى بقية الديانات من زاوية مصالح هذه الطبقة فكان موقف الزرادشتي يتميز بازدياد هذه الافكار في حالة ضعفها او عدم تأثيرها في حياة المجتمع ، ولكن عندما تتحول بعض هذه الافكار كصلاح بيد طبقات الشعب الفقيرة ، مما يهدد مصالح الارستقراطية الايرانية ، او بشم منها رائحة التواطؤ مع الاجنبي ، كما كان حال المسيحيين في ايران ، عندها تعلن الحرب الشعواء ضد هذه الافكار ومتبسيها ، ومثل ذلك حدث للمناوية ، عندما اصبحت سيفا بيد الطبقات المسحوقة مستلطة على رقاب الارستقراطية مع المسيحية عندما تنصر الروم البيزنطيين وصاروا مسيحيوا ايران بمثابة الرتل الخامس للدولة البيزنطية المسيحية ، فتوالى عمليات اضطهادهم وقتلهم بتحريض ودفع كبيرين من لدن رجال الدين الزرادشتي .

شهدت ايران تحولا واضحا في سياستها اتجاه المسيحيين على عهد يزديرد الاول (٣٩٩ - ٤٢١ م) الذي اراد تخفيف حدة الصراع والانشقاق الداخلي ، فحاول اعتماد سياسة المساواة بين معتنقي الديانتين المسيحية والزرادشتية فسمح للمسيحيين بحرية العمل والتبشير واقامة شعائهم الدينية واعادة بناء كنائسهم المخربة ، واطلق سراح من سجن منهم بسبب عقيدته الدينية وعقد مسيحيوا ايران على عهده مجمعا دينيا لتوحيد كنيسهم والعمل بموجب المذهب المعمول به في الكنيسة البيزنطية ، ويبدو ان يزديرد قصد من وراء هذه الخطوات تقريب وجهات النظر بين الدولتين البيزنطية والفارسية .

وعلى الرغم من حيرة المؤرخ امام هذا التحول في سلوك ملك ساساني زرادشتي الذي بلغ من امر عطفه ورعايته للمسيحيين أن لقبته المصادر المسيحية بالملك النصراني بينما نال بسبب موقفه ذلك غضب وحقد الزرادشتيين حيث انعكس ذلك واضحا في كتابات المؤرخين الساسانيين والمؤرخين المسلمين الذين نقلوا عن المصادر الساسانية حيث وصف بالاثيم والمخادع ، ولكن يبدو ان يزديرد كان يقصد من وراء ذلك تلطيف الاجواء مع البيزنطيين ليتفرغ لشؤون الدولة الداخلية التي افسدها الامراء ومعهم رجال الدين الزرادشتيين ، فكان انعطافه للمسيحيين مقصودا لخلق قاعدة مؤيدة يستند اليها في حربه ضد العظماء ورجال الدين الزرادشتيين لأجل تقليص دائرة نفوذهم على الدولة والملك .

ولكن المسيحيين اساءوا استخدام الحرية التي منحهم اياها يزديرد ، ولم يدركوا النوايا الخفية لسلوك يزديرد ، فارتكبوا افعالا تحدوا بها الشعور الديني العام ، وربما كان بعضها رد فعل لما ارتكب بحقهم من قبل وبلغ من سوء تصرفهم وتحديهم للمشاعر الدينية في دولة زرادشتية انهم هدموا بعض معابد النار في ايران ، مما اضطر يزديرد امام تكرار تجاوزاتهم الى تغيير سياسته ازاءهم . وعلى الرغم من موقفه الاخير ، فانه مات بشكل غامض مما يرجح احتمال اغتياله على يد خصومه الاشراف وربما تم ذلك بتحريض رجال الدين الزرادشتي .

المبحث الثالث : بهرام الخامس والمنافرة

خلف يزديرد الاول ثلاثة اولاد ، شاپور وبهرام ونرسي وكان بهرام قد ارسله ابوه يزديرد الى قصور امراء الحيرة ليتربى بين اهلها ، وكانت الحيرة آنذاك بأمره المنذر ابن النعمان موالية للفرس الساسانيين .

عقد اشراف فارس العزم على حجب الحكم عن ابناء يزدرج جميعا ونجحوا في خلع
شاپور عندما قدم المدائن ، لذلك استنجد بهرام بعرب الحيرة ومنهم المنذر وابنه النعمان ،
فامدوه بفرق عسكرية قوية أتاحت على المدائن ، فخاف اشراف الفرس واضطروا الى قبول
بهرام ونصبوه ملكا على ايران ، لذلك كان موقف عرب الحيرة حاسما في افشال خطط الاشراف
الايروانيين .

كان بهرام مولعا بالصيد الى حد المغامرة ، فنسجت حول شخصيته الكثير من القصص الخرافية
لكنها وجدت طريقها الى الآداب الايرانية وفي الاعمال الفنية ويروي عنه انه كان يجيد
عدة لغات وكان يقول الشعر بالعربية . وسببه تربيته ونشأته بين العرب . ويلقب ببهرام ، كور
وكور (حمار الوحش) وتروي عن سبب اقتران هذا اللقب به قصة مفادها انه اصاب بضربة
سهم واحدة حمار وحش واسد كان يعلوه . تتفق معظم المصادر في اشارتها الى انغماس
هذا الملك في حياة الترف والدهو والملذات وتركه لشؤون الدولة بأيدي العظماء ، وهذا ما كان
رجال الدولة يسمعون اليه لذلك كان بهرام مخبيا من وجهه نظرهم ، وعلية كان من الطبيعي ان
تبرز اسماء بعض الشخصيات الرئيسية في الدولة ، فكان ظهور اسم مهران - نرسي كيهسرو
الوزراء على عهد بهرام ، وما تنسب اليه من اعمال كثيرة .

شن بهرام حربا على يرابرة الشمال الذين احدثوا بحدود الدولة وشكلوا خطر كبيرا
يتهددها . ويسمى الكتاب العرب والفرس بالترك ، فنجح في كسر شوكتهم ونوطب
دعاهم الامن في تلك الربوع .

اما المسيحيون فقد لاقوا الامرين على عهده وهاجرت جماعات كبيرة منهم الى الحدود
البيزنطية . فاعتمدوا بهرام ذريعة لشن الحرب على البيزنطيين لكن الحرب لم تستمر امدا
طويلا اذ عقد صلح بين الطرفين تم بموجبه منح الحرية الدينية لمواطني الدولتين
اي للمسيحيين في ايران والزرادشتيين في بيزنطية . وكان ذلك لصالح بيزنطة بالدرجة
الاولى نظرا لعدم وجود زرادشتيين خارج حدود ايران . ومن جانب آخر ، شحات الكنيسة
المسيحية في ايران تطورا خطيرا حيث عقد تجمع كنسي لمسيحيي ايران بعد الصلح ، وتوصل
المجتمعون فيه لاتخاذ قرار خطير يمثل في استقلال الكنيسة الايرانية عن الغربية .
وبذلك اصبح مركزهم في ايران اكثر استقرارا ، واصبح امر اتهامهم بالميل الى بيزنطة بعد
هذا القرار ضعيفا .

الفصل الثاني

المبحث الاول: يزدرجرد الثاني والمسيحية

وبموت بهرام الخامس سنة ٤٣٨ او ٤٣٩ م ، وارتقى عرش الملك ابنه يزدرجرد الثاني الذي كان يختلف عن ابيه في موقفه من النبلاء والمسيحية . ونشير المصادر المسيحية الى انه كان عطوفا على المسيحيين في سنوات حكمه الاولى ، ولكن تغييرا مفاجئا طرأ على سياسته ازانهم بعد السنة الثامنة من حكمه ، حيث لم يكتفي باضطهادهم بل شمل تشدده واضطهاده اليهود فحرم عليهم السبت (سنة ٤٥٤ / ٤٥٥ م) وذاق نصارى أرمينية على يديه الامرين . وقد بذل يزدرجرد محاولات بائسة لجسر أرمينية الى نطاق الدين الزرادشتي ، لكن محاولاته تلك منيت بالفشل الذريع الا في استمالة بعض الامراء واصحاب المقاطعات الذين وجدوا مصالحهم مرتبطة بالعرش الايراني ، فايدوا دعوة يزدرجرد وانضموا تحت لواء الدين الزرادشتي ، وكان موقف هذا النفر من أمراء أرمينية سببا في تفرق كلمتهم وضعف وحدتهم بوجه ايران وفي الوقت الذي كانت ايران تدافع عن حدودها الشرقية ضد الكوشانيين ، وعن حدودها الشمالية ازاء قبائل الهون ، اعلنت أرمينية ثورتها على السلطة الايرانية مستفيدة من الظروف الحرجة ، ولكن يزدرجرد نجح في معركة دامية كبيرة من تسجيل نصر كبير على الازمن عام ٤٥١ م واعقب ذلك بمذبحة مروعة اوقعها بالاسرى والمسجونين من النصارى كما امر بقتل من لا يتخلصى عن مسيحيته في أنحاء الامبراطورية .

اعقب يزدرجرد في حكم ايران ولداه هرمز الثالث و فيروز ، اللذان بدأ عهديهما بالصراع من اجل العرش في نفس الوقت الذي كانت امهما تحكم في المدائن ، وكان وراء الصراع بين الاخوين رجال الدين الزرادشتيون الذين كانوا يؤيدون فيروز . نجح فيروز (٤٥٩ - ٤٨٤) في احتلاء العرش في ظرف يعد من اصعب الظروف التي عاشتها ايران ، فمشاكل الحدود الشرقية والشمالية لاتزال ملتهبة ومما زاد من حرجة الموقف وتردي الاوضاع ان تعرضت البلاد على عهد فيروز الى قحط شديد طويل دام سبع سنوات .

وكان العالم المسيحي في هذه الاوقات يشهد صراعا مريرا ، ادى لانقسام خطير في الكنيسة المسيحية وانعكس اثره على نصارى ايران ، ويتمثل ذلك في الخلاف الشديد بين التساطرة الذين اعتمدوا بطبيعتين للمسيح احدهما آلهية والثانية بشرية بينما اعتقد خصومهم (المونوفيزيت) بالطبيعة الواحدة للمسيح . وكانوا يرون ان الطبيعة الالهية والبشرية اجتمعتا

في شخص المسيح . وقد تحول هذا الخلاف بمرور الزمن الى تباغض وكره وازدراء وتحارب بين الفريقين ، وبخاصة عندما وجد الحاكم وسيلة في هذا الخلاف لتحقيق اغراضهم السياسية . وكان معظم اساقفة ايران على المذهب النسطوري القائل بالطبيعتين فوجدت في فيروز في هذا الانشقاق فرصة ذهبية لتعميقه من اجل الفصل بين الكنيسة الايرانية والفلسفة ولكن مشاكل الحدود الصعبة حالت دون استثماره الكامل لهذه الخلاف

المبحث الثاني فيروز والهياطلة :

في الوقت الذي حقق فيه فيروز نجاحا عسكريا كبيرا على القبائل البربرية في الشمال والتي غمرت بزحفها ارمينية وجورجيا ، تعرضت ايران لهجمات قبائل جديدة من ناحية الشرق وهجم الهياطلة الذين كانوا من قبائل الهون الصينية ، وبسبب استنفاد قواه العسكرية في حروب القبائل الشمالية ، فشل فيروز في هزيمة الهياطلة ، وخسر العديد من المعارك امامهم حتى انه اسر في احداها ، مما اضطره لشراء حريته بالتنازل لهم عن بعض مدن الشرق وترك عندهم ابنة قباز رهيئة حتى يوفيهم القدية التي اتفقوا عليها .

وبعد سنتين جدد فيروز حربه على الهياطلة ، فخسرت ايران على اثرها ملكها الذي قتل في الحرب ، وكثيرا من الاقاليم الشرقية ، حيث توغل الهياطلة فيها وفرضوا جزية سنوية كبيرة على الفرس .

ضعف موقف ايران بشكل ملموس اثر نجاحات الهياطلة ومقتل الملك فيروز فحاول احا العظماء . وكان قائدا على فرق ايرانية في ناحية ارمينية واسمه زرمهر تدارك الموقف فابرص او اتفاقا مع زعماء ارمينية كانت شروطه مهينة لايران ، ولكن بسبب الاوضاع الحرجة التي بها الدولة الساسانية قبلها زرمهر على مضض ، وكان يقصد من وراء ذلك التفرغ لرد اعتباران امام خطر الهياطلة المتزايد . وبعد ان نصب بلاش (بلاسي) ابن فيروز على عرش ايران شن زرمهر حربا على الهياطلة نجح في اجبارهم الرجوع عن المقاطعات التي استحوذوا عليها وانترجع منهم الممتلكات والاموال التي غنموها في حربهم مع فيروز . اصبح زرمهر بفضل نصارته على الهياطلة ، واعادة هيئة الدولة الحاكم الفعلي لايران ، يقابل ذلك ضعف شخبة الملك بلاش فشجعه ذلك على عزل الملك وسمل عينيه وتعيين اخيه قباز ملكا على ايران به ان حكم بلاش اربع سنوات

الفصل الثالث

قباذ والمزدكية

المبحث الاول محاولات قباذ لانقاذ هيبة الدولة

وبدوا ان زرمهر كان يخفي وراء خطوته هذه اسبابا سياسية وجبهة ، حيث قصد من الذين تربطهم بقباذ صلات طيبة نجمت عن سنوات الرهن التي قضاها قباذ في بلاطهم على عهد أبيه فيروز ، وبدوا من سياق الاحداث التاريخية أن زرمهر اصاب الهدف بذلك .

اما الكنيسة المسيحية الايرانية ، فقد زاد ابعادها عن الكنيسة الغربية على عهدى بلاش وقباذ ، واستقرت الكنيسة الايرانية على المذهب النسطوري . كان الوضع في ايران مع استلام قباذ للسلطة لا يزال قلقا وضعيفا ، فأيران بقيت تدفع الجزية السنوية للهياطلة ، ورجال الدولة والعظماء لهم اليد الطويلة في تسير كافة شؤون المملكة ، وبخاصة زرمهر الذي نجح في انقاذ ايران في ساعاتها الخطرة فاصبح في مقامه الرفيع بضاهي الملك ، وكان الملك الفعلي غير المتوج لايران ان هذه الاوضاع عامة لم تكن تتفق مع طموح قباذ ولا مع شخصيته ، لذلك خطا خطوته الجريئة الاولى بقتل زرمهر ، وكأنه اراد من وراء ذلك ، التخلص منه اولا وتلقين العظماء درسا قاسيا يضطربهم فيه لاحترام هيبة الدولة وسلطة الملك ويحذرون من تجاوزها .

كان مقتل زرمهر بداية حرب عنيفة غير معلنة بين سلطة الملك وسلطة الارستقراطية الايرانية المدعومة برجال الدين الزرادشتي . فكان لزاما على قباذ ان يعتمد جماهير ايران الواسعة ، فوجد في الدعوة المزدكية التي نجحت في لف أوساط شعبية واسعة حولها ، السند القوي لضرب خصومه وانقاذ العرش والملكية من الوضع المزري الذي آلت اليه .

والى هذا الحد ، نقف قليلا عند حدث كبير وخطير شهدته ايران وكان له ابلغ الاثر في تاريخها السياسي والاجتماعي والديني ، ونقصد به الحركة المزدكية .

المبحث الثاني - المزدكية -

المزدكية حركة اجتماعية تستند الى فكر ديني معدل عن المانوية والزرادشتية واسمها نسبة الى داعيتها الاول مزدك الذي ظهر في ايام قباذ ونالت افكاره حظوة من لدن هذا الملك . .

والمزدكية ديانة ثنوية تقول بالاصليين والكونيين ولكن خلافها الجوهري عن المانوية يتمثل في قولها ان النور يفعل بالقصد والاختبار والظلمة تفعل بالخيط والاتفاق . والنور عالم حساس والظلام جاهل اعمى .

وكان مزدك ينهي الناس عن النزاع والخصومة والمباغضة والقتال ، ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال ، احل النساء واباح الاموال ، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء . ويبدو ان قول المزدكيين الذي نقل البنا بصيغة احل النساء واباح الاموال هي نقطة التحول الجذرية في الافكار المزدكية والتي لاقت صدى كبيرا بين الطبقات الفقيرة والمسحوقة مثلما ادت الى تكالب الارستقراطية الايرانية مستخدمة كافة وسائلها المادية والبشرية والدعائية للقضاء عليها .

وبسبب اهمية حركة مزدك وقوة تفنغل افكارها بين ظهراني المجتمع الايراني بسبب الاهمية الكبيرة التي اولتها الارستقراطية الايرانية ورجال الدين الزرادشتي لهذه الاسباب مجتمعة ، يندر ان تصادف كتابا في التاريخ او الدين لم يتعرض الى هذه الحركة سواء كان من جانبها الديني الفلسفي او الاجتماعي الاصلاحي . ويصدق هذا الامر على المصادر العربية كالتنويري والطبري وابن النديم والشهرستاني وابن خلدون وغيرهم كثيرين . كذلك يكثر الحديث من المزدكية في المصادر المسيحية وكل ذلك ان يشير الى شيء انما يشير الى اهمية هذا الحدث كبير في تاريخ الدولة الساسانية .

تنقسم المصادر التي نتحدث عن مزدك في موقفها من الحركة الى فئتين ، وعلى الرغم من اتفاقهما في القول باباحة المال والنساء بين الناس لكنهما يختلفان في عرض اسباب ذلك وفريق ثالث يكتفي بذكر هذه الخاصية في الافكار المزدكية دون عرض لاسبابها . يقول الطبري عند حديثه عن المزدكيين " قالوا ان الله انما جعل الارزاق في الارض ليقسا العباد بينهم بالتآسي ولكن الناس تظالموا فيها ، وزعموا انهم يأخذون للفقراء من الاغنياء ودون من المكثرين على المقلين وانه من كان عنده فضل من الاموال والنساء والامتنعة فليس هو باوا بها من غيره . فافترس السفلة ذلك واغتنموه وكانوا مزدك واصحابه وشابعوهم " ومثل هذا الرأي د على لسان الشهرستاني فذلك مما يؤكد ان اسبابا رئيسية دفعت بالمزدكية لرفع شعاراتهم ت الطابع الاشتراكي او الشيوعي وبرزها حالة الفقر المدقع والاستغلال البشع الذي تعرضت اغالبية المجتمع الايراني .

ترد اشارات متواترة في المصادر الى ان المزدكية تستند مذهباً سمه درست دين اي دين الحق ، وترتبط الدعوة اليه بشخص اسمه بندنس يذكر انه انشق عن مانوية ويبدو ان هذه الافكار لقيت رواجاً وظرفاً على عهد قباد وعلى يد زعيمها الجديد مزدك ، الذي غطت شهرته على اسم صاحب الدين الاصلي بندنس او بندنس - زرادش . وتختلف الروايات ايضا في

امر مسقط رأسه . فأما انه ولد في اصطخو او تبريز ، كذلك لا تتوفر معلومات عن سبل اتصال مزدك بقباز . ولكن بعض الروايات تؤكد بان مزدك نجح في اقناع قباز خلال فترة قحط شديد مر بایران بان يعلن ان من يمنع الماء والطعام عن الناس يقتل ، وعلى الرغم مما في هذه الرواية من طابع اسطوري ، لكنها تشير الى ان نجاح افكار مزدك كانت بسبب تفاقم بؤس الطبقات الفقيرة وبخاصة في وقت المجاعة ، في نفس الوقت الذي كان الارستقراطيون يخزنون فائضا من الاموال والامتعة والخيرات انضوى قباز تحت لواء الدين الجديد واصدر بعض التعليمات والقوانين التي تنسجم مع فلسفة الفكر المزدكي ، وكانت هذه القوانين في مجملها تقصد تحسين احوال الفقراء والحد من ثراء وجشع الاغنياء . ولكن هل كان انضواء قباز تحت لواء المزدكية ناجما عن قناعة فكرية بفلسفة الدين الجديد ، او انه اعتمدها وسيلة لمحاربة اعدائه في الداخل من عظماء الدولة ورجالاتها ؟ وعلى الرغم من الاختلاف القائم بين الباحثين في الاجابة على هذا السؤال ، ولكن يلاحظ ان كثيرا من اخلاقيات الملك قباز تتفق مع تعليمات المزدكية وهي الرأفة والرحمة والمعاملة الانسانية لاعدائه وهي اخلاقيات تتنافى مع سلوك ملوك ايران ولنا في معاملة قباز لاخيه جاماسب د خير دليل على ذلك .

ومع هذه الملاحظات ، يبقى التفسير الثاني وهو ان ميل قباز للمزدكية كان لاغراض سياسية مرجحا وقويا فقد اراد قباز بالاستناد الى جماهير المزدكيين الواسعة ان يصفي حسابه مع الارستقراطية الايرانية ورجال الدين الزرادشتي الذين اذلوا ملوك ايران وقللوا من شأن الدولة وهيبتها وتلاعبوا بمقدراتها ، ولذلك ايضا نجد الارستقراطية الايرانية تجمع صفوفها وتبدأ هجومها فتنتجح في عزل قباز وتودعه السجن وتعين اخيه جاماسب د ملكا بدله على عرش ايران . لكن قباز نجح في الهرب من السجن ولجأ الى الهياطة اصدقاءه القدامى ، الذين ساعدوه بجيش كبير ينصره في استرجاع عرشه .

ان هذه الضربة الشديدة التي تلقاها قباز والتي مرت بسلام ، دفعته لاعادة النظر في موقفه من الصراع مع الارستقراطية الايرانية ، ويبدو ان حب الذات تغلبت عليه اثر عودته ثانية الى عرش ايران ، فأثر موقف المتفرج في الصراع بين المزدكيين والارستقراطيين ، وقد تأكد هذا الموقف لقباز من عدم تعرضه لجميع الذين ساءموا بعزله وسجنه وعلى رأسهم اخوه جاماسب ، فلم يعاقب احدا بل صالحهم جميعا وكأنه اراد ان يشعر الارستقراطية الايرانية بتراجعها عن تأييد المزدكيين .

ونضيف الى ذلك جميعا ان اصل قباز الملكي ومنايم هذا الاصل الفكرية التي نصب في مصالح الارستقراطية الايرانية دفعته للارتداد عن المزدكية تدريجا ، وهكذا يكتشف لنا سلوك قباز وبخاصة بعد عودته الى العرش ثانية ، الاغراض الدفينة التي دفعت به لتأييد المزدكية وكان

طأ المزدكية الكبير ان صدقته وتحالفت معه ، ولم يعتبروا العبرة والدرس من تاريخ الساسانيين
علاقة المانويين بالملوك على عهدي شابور وبهرام .

والذي نستنتجه من احداث الحركة المزدكية ، هو ان هذه الدعوة كانت في بدايتها فلسفية
بنية ولم يكن اهتمامها بالجانب الاجتماعي كبيرا ، ولكن لكون افكارها ابقضت مكانا من الالم
طبقات المسحوقة والفقيرة في المجتمع الايراني من الفلاحين والعبيد فانها اكتسبت مضمونا
اجتماعيا تعمق يوما بعد آخر مع مزيد من تركيز هذه الافكار ونبات صلاحها العملي لصالح الطبقات
محرومة التي عاشت حياة البؤس والفاقة منذ اجيال طويلة . لذلك يتوقع منها ان يتجاوز خطرها
طبقة الارستقراطية الى الحاكم نفسه باعتبار رأس هذه الطبقة ، ولهذا السبب تحالفت ضدها
الى القوى المضادة ، وتنجحت على ايام كسرى انوشروان من انزال ضربة ماحقة بالمزدكيين .
بعد الكارثة بالمزدكيين في نهاية سنة ٥٢٨ م ومطلع عام ٥٢٩ م . عندما وقعت المزدكيون بهجرة
بد رغبة قباز في توريت العرش من بعده لابنة كسرى وخججه عن كاووس الابن الاكبر والمخلص
مزدكيين .

فدعي المزدكيون لحضور مؤتمر ديني حضره ايضا كبار رجال الدين الزرادشتي ، وتعاون
مهم اسقف نصارى ايران ، ودارت مناظرة في بعض المسائل الفلسفية ويبدو ان المناظرة كانت
خطة مدبرة وكمين اريد من خلالها تجميع زعماء المزدكيين للقضاء عليهم . ويرى انه بسبب
نقص اسئلة اسقف النصارى غلب المزدكيون على امرهم فهم الجند المحيطون بمكان الندوة
شارة من كسرى ولي العهد وقتلوا مزدك وكل من كان معه من اصحابه ثم استبيح دمهم فطوردوا
قتلوا وصودرت اموالهم واحرقت كتبهم .

ويبلغت اعمال المطاردة والقتل والاجتثاث ذروتها على عهد كسرى بن قباز (انوشروان)
الذي لم يكتفي بالتصفية الجسدية لاتباع المزدكية وانما عمد الى اصدار قوانين واتخاذ اجراءات
لمكافحة قصد من ورائها محو آثار الفكر المزدكي من المجتمع الايراني . وسنعود الى هذه الاجراءات
بعد الحديث على عهد كسرى انوشروان وهكذا انتهت حركة اجتماعية رفعت شعارات ذات
ساس ببنية المجتمع الايراني الاقتصادية وكادت لو قدس لها النجاح - الى تغير من وجهة سير

احداث التاريخ لایران ، ولكن اسبابا عديدة ابرزها عدم توضيح افكار المجتمع عامية
نبول مثل هذه الافكار ، يقابله جيروت الاعداء وقوتهم وقدراتهم المادية الهائلة ثم ذلك الدعم
الذي لقيه اعداء المزدكية من رجال الدين الزرادشتي والمسيحي ، لأن في افكار المزدكية ما يعترض
تعليمات الزرادشتية والمسيحية . كل ذلك اوصل المزدكيين الى هذه النهاية المروعة . ولكن
الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في الفكر المزدكي تأصلت في نفوس الطبقات الفقيرة من المجتمع
لايراني ، لذلك بقيت هذه الفئات ارضا خصبة لرواج افكار مماثلة . ويرى بعض الباحثين أن

الخرمية كانت دعوة وأصلت الأفكار المزدكية وتطورت عنها . وقد ظهرت الخرمية اواخر العصر الاموى وبداية العصر العباسي ثم تطورت حركتهم الى ثورة ضد الخلافة العباسية شملت مناطق واسعة من الاقسام الشمالية من ايران الى ان نجح المعتصم في قمعها على يد قائده المشهور الافشين .

نعود ثانية الى تتبع الاحداث السياسية لايران بعد عودة قباذ ثانية الى العرش بمساعدة جيش الهياطلة . فقد استمر قباذ في دفع الجزية السنوية لهم ، مع تحمله نفقات وهدايا الجيش الذي جاء معه لاسترجاع عرشه ، وقد كانت الخزينة تشكو من نقص كبير لذلك طلب قباذ ، امدادات مالية من البيزنطيين بسبب اتفاق سابق بينهما يقضي بحماية الايرانيين للممرات ،

الخرمية فلم يلب البيزنطيون طلبه فاضطره ذلك الى اجتياح بلاد ما بين النهرين وفتح آمد فحصل منها على غنائم كثيرة ، لكنه اضطر لعقد صلح مع البيزنطيين لبفرغ لمحاربة قبائل الهون الذين هددوا الحدود الشمالية لمملكة الساسانيين ، ولكنه مات دون هذه المشكلة .

اشرنا فيما سبق الى ان قباذ اخذ بالابتعاد تدريجيا عن المزدكيين ، ومن ابرز خطواته بهذا الصدد ، حجب ولاية العهد عن ابنه كاووس المؤيد القوى للمزدكيين وتولية ابنه كسرى على عرش ايران . والمسألة الثانية من الزرادشتيين المتحمسين والمسدود اللود للمزدكيين كما عرفنا من استعراضنا السابق كيف نجح كسرى في تدبير خطة المناظرة الدينية التي جرت بموافقة والده ورضاء والتي ادت الى القضاء على المزدكيين واعتلاء كسرى عرش ايران :

الفصل الرابع

عهد الازدهار الاخير

المبحث الاول : كسرى انوشروان (٥٣١ - ٥٧٩ م)

شهدت ايران خلال عهد الساسانيين ثلاثة من الملوك الكفوئين اردشير المؤسس وسابور الثاني وثالثهم كسرى انوشروان ، الذى نحن الآن بصدد الحديث عنه ولكن الفترة الزمنية بين عهدي سابور الثاني وكسرى كانت طويلة اولاً ، وشهدت ايران خلالها احداثاً جسيمة اضررت كثيراً بوحدةها السياسية ونظامها الاجتماعي ودينها الرسمي ، ويشعر المتتبع لاحداث تاريخ ايران ان هذه الامبراطورية غدت تسند لأساس ضعيف ومعرضة للانهييار بين آونة واخرى . لذلك كان لابد من اصلاح الاوضاع السياسية والاجتماعية والتنظيمية .

وبدوا واضحا ان قباذ ادرك حاجة البلاد الى مثل هذا الإصلاح لكنه سلك طريقاً يناقض المتوارث الاجتماعي للسلطات ويخالف الاوضاع العامة المقبولة في عالم ذلك الزمان ، وذلك عندما تبني الافكار المزدكية في مشاريع اصلاحه . فأدى ذلك الى زيادة تفاقم التناقض بين طبيعة الدولة ونظامها وبين ما تهدف اليه الافكار المزدكية فتمزق النظام الاجتماعي بسبب الخلط الذى اصاب بناؤه الاقتصادي ، وتفاقمت الاخطار الخارجية من ضغط الهون والهياطلة ، والداخلية بسبب الصراع المرير بين الطبقات الارستقراطية وارثة المال والارض والسلطان وبين جماهير الشعب الفقيرة من فلاحين وحرفيين صغار وعبيد .

لذلك وجب على كسرى تفادى تدهور البلاد ، ومسك الامور بيد حازمة والبدء باصلاحات اقتصادية وادارية اراد من ورائها تثبيت البناء الاجتماعي للدولة ، وفي الواقع ان كسرى استفاد من كافة الظروف التي شهدتها ايران قبل عهده . فكانت اجراءاته تحاكي النظم المتوارثة وروح العصر . ففي الوقت الذى حافظ فيه كسرى على حقوق وامتيازات الارستقراطية التقليدية ، لكنه استفاد من ضعفها بسبب ما صادفته على عهد قباذ والافكار المزدكية ، فعمد كسرى الى خلق ارستقراطية جديدة موالية اليه وتدين له بالفضل ، استند عليها في تنفيذ بقية خطواته . ولأن الارستقراطية الايرانية شعرت بفضله الكبير عليها قبلت التخلي عن بعض امتيازاتها في السلطة ، واصبحت كلمة كسرى نافذة دون معارضة . فمركز القائد العسكري الاعلى للجيش وهو منصب متوارث ومحصور في عوائل معينة ، وزعه كسرى بين اربعة اقسام ووضع على رأس كل قسم منه في بعض الاحيان رجلاً لا يمت بصلة الى العوائل التقليدية التي كان رجالها يترفعون على هذا المنصب لذلك ، وبسبب نجاح خطوات كسرى ، فقد بلغت ايران مستوى سياسياً وعسكرياً

رفيعا ، وازدهرت الحياة فيها ، وقوى بناؤها الداخلي ، وهابها الاعداء وهكذا استطاع نظام الحكم السياسي ان يبقى لفترة اخرى على الرغم من الصعوبات الكبيرة التي واجهها بعد عهد كسرى . ولكن هذا المجد والازدهار الذي بلغته الدولة في عهد كسرى بني على طموحات وآمال الجماهير الفقيرة التي ابقضتها افكار مزدك ، كما بني على اشلاء الالاف الضحايا من طبقات الشعب الفقيرة بسبب ما لقبته من سوء المعاملة ومن قسوة الحاكم .

المبحث الثاني اصلاحات كسرى

بدا كسرى عهده بتصفية مزدك وزعماء حركته في الخطة المدبرة التي اشرنا اليها سابقا في موضوع المناظرة ، وواصل تصفية الافكار المزدكية واتباعها فقتل منهم خلقا كثيرا واحرق كتبهم وصادر اموالهم ، كما راد الاموال التي سيطر عليها المزدكيون الى اصحابها وامر ان كل امرأة غلبت على نفسها ان يؤخذ الغالب حتى يفرغ مهرها ويرضي أهلها وتخير المرأة بين البقاء معه او ان كانت لزوج سابق ردت اليه ، ويروى ايضا ان المرأة المغتصبة ان لم تكن من طبقة الغاصب فطلاقها منه واجب ، وأنكح بنات العوائل التي تضررت ، ومات اولياء امورهم وجعل جهازهم من بيت المال ، كما زوج شبابهم من بيوتات الاشراف وامرهم بملازمة بلاطه ليستعان بهم ، وهكذا اوجد كسرى طبقة من الارستقراطية تدب له بالولاء والطاعة ، وامر باستصلاح الاراضي وكري الانهار واعادة بناء الجسور والقناطر . واعد الارستقراطية الايرانية المتضررة بكل ما يمكنها من الوقوف على اقدامها ثانية وبشكل قوي ، فاعانها بالاموال والماشية .

وانصرف كسرى لتنظيم شؤون الارض وضرائبها وطريقة جبايتها ونسبتها بحيث جعل لها علاقة بنوع الغلة وموقع الارض . واختار كسرى رجالا اكفاء عرفوا بالتزاهة واوكل اليهم جباية الضرائب . كذلك غير كسرى نظام الضريبة الشخصية ففرسه على من يتفاوت عمره بين العشرين والخمسين سنة من الرجال واستثنى منه اهل البيوتات والمرازية (رؤساء الفرس) والاساورة (المقاتلون) والكتاب ومن كان بخدمة الملك . ويعني ذلك ايضا دعما لمراكز الارستقراطية الايرانية الاقتصادية والمعنوى ، وجعل جباية الضرائب في اوقات ثابتة من السنة .

ولكن كسرى ، كما اشرنا استفاد من الاوضاع السيئة التي كانت تعيشها العامة والتي كانت وراء ثورتها على عهد قباد تحت لواء المزدكية ، فرفع ضريبة الرأس عن الفقراء واعفى من تضررت ارضه بسبب الآفات من الضريبة لتلك السنة وطلب من عماله ان يكتبوا اليه عن الاراضي المتضررة بسبب الآفات ليراقب بنفسه اية تجاوزات قد تلحق باصحاب تلك الاراضي من سوء تطبيق قوانين الضرائب ، وكان في هذا كله مدفوعا لرتق عيوب النظام الاقتصادي الذي كان وراء ثورة المزدكيين .

وكما اشرنا فيما قبل من ولاء الارستقراطية الايرانية ورجال الدين لكسرى وجد هذا الملك في ذلك فرصته ليجعل من هذه الطبقة تابعة له ضعيفة لا تقوى على التصدى للحاكم ، كما وقع على عهد بعض الملوك من قبله ومن اجل اضعاف مركزهم ، حول بعض واجبات رئيس الوزراء الى كبير موظفي البلاط ، وبالتالي قلص من صلاحياته ودائرة نفوذه .

وتحول كسرى نحو الجيش والنظام الحربي عامة في ايران وادخل فيه تغييرات اساسية واراد من وراء التغييرات التي ادخلها تحويله لاداة قوية حديثة وطبعة بيده لتقوية سلطانه في الداخل وتحقيق مطامعه في الخارج . فنال التغيير في الجهاز الحربي الجنود واسلحتهم وقادتهم . فاولى اهتماما كبيرا بالأساورة (الفرسان) الذين يشكل القوس والسهم عدتهم الرئيسية في الحروب وجل الفرسان من اسر النبلاء الصغيرة والفقيرة وكانت العادة ان تصرف هي بنفسها على عدتها العسكرية فأمر كسرى لهم بالمال والدواب والجراية لتقويتهم ، وربما لاستمالتهم الى جانبه عند الحاجة بوجه اسر النبلاء الكبيرة .

لذلك أصبحت هذه الفئة من الجند تمثل مرتبة رفيعة في الجيوش الساسانية من عهد كسرى الاول ، واصبح لها رئيس واحتل بعضهم مناصب رفيعة في الدولة كما حدث للقائد الذي فتح اليمن وهو من الفرسان فعينه كسرى واليا عليها .

وحارب كسرى بعض الامم التي يسميها بعض الكتاب العرب باسم (البارز) و (صول) او (جول) وغيرهم من الامم ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وابقى على بعضهم مستعبدا منهم في تحصيناته العسكرية على الحدود مثل قلعة (دريند) .

واخيرا توجه الى منصب (الاصبهذه) (ايران - سباهذ) قائد الجيش الاعلى ففرقها كسرى بين اربعة منهم اصبهذه المشرق وهي خراسان وما ولاها واخر للمغرب وهي من العراق حتى حدود الدولة البيزنطية والثالث لنيمروز وهي بلاد اليمن والرابع لاذربيجان وما ولاها وهي وهي بلاد الخزر .

وهكذا اغيد بناء مجد ايران من جديد لتقف على قدمها قوية منيعة ويستند فوق هذا البناء ملك دان له الجميع بالتأييد راخين او مجبرين . فعندها وجد كسرى نفسه في وضع عسكري وامني داخلي يؤهله بتحقيق طموحاته واعادة ايران لاياها المجيدة على عهد أردشِير

المبحث الثالث : اعمال كسرى العسكرية وفتح اليمن :

كانت المنازعات بين الفساسنة وعرب الشام المواليين للروم ————— وبين المناذرة عرب العراق المواليين للفرس سببا تذرع به كسرى لشن هجومه على الروم البيزنطيين فاستولى

سنة ٥٤٠ م على الرها ومنتج وحلب ودخل انطاكية عنوة وكانت افضل مدن الشام ، فاستولى على كنوزها وثرواتها وسبى اهلها واسكنهم مدينة بناها لاجلهم اسمها الرومية جنب المدائن ، اعلنت الهدنة بعد سلسلة طويلة من المعارك ووقف القتال سنة ٥٤٥ م ، لكن الحرب تجددت ثانية حتى ابرم اتفاق صلح نهائي سنة ٥٦٢ م واستمر لمدة خمسين عاما ، عندها وجد كسرى الفرصة سانحة لتصفية حساب ايران القديم مع الهياطلة فقد كانت ايران تنوء باعباء الجزية السنوية التي تدفعها للهياطلة وتشعر ازاها بالموقف الذليل ففي نفس سنة الصلح مع بيزنطة رفض كسرى من تسديد الجزية السنوية وتحالف مع قبائل تركية تسكن وراء نهر جيحون لضرب الهياطلة وكانوا انذ متمركرين بين نهري سيحون و جيحون ونجح الحليفان في انزال ضربة ماحقة للهياطلة وتقاسما ممتلكاتهم .

ونجح كسرى في ايقاف زحف قبائل تركية اخرى من اطراف القوقاز وعمد الى تقوية قلعة دريند لتبقى سدا موقعا امام القبائل البربرية التي تهدد الحدود الشمالية للبلاد . وبلغت الامبراطورية الساسانية ابعد المدى في البلاد العربية فقد ضمت اليمن اليها سنة ٥٧٠ م وحلت بذلك محل الاحباش في اليمن ، وتروى المصادر العربية ان حملة الفرس على اليمن كانت بسبب توسط سيف بن ذى يزن الحميري عند النعمان بن المنذر والى الحيرة الموالي للفرس طالبا المعونة من كسرى ، وتروى هذه المصادر ان الحملة التي ذهبت لفتح اليمن عن طريق البحر ورسست السفن في ارض عدن ونجح العرب بمعونة الفرس في طرد الاحباش . ولكن الاحباش عاودوا فتح اليمن ، فارسل كسرى اليهم جيشا للمرة الثانية ونجح في الاستيلاء على اليمن وطرد الاحباش وجعلها ولاية فارسية يحكم من قبل امراء فرس مباشرة .

ولم يكن امام البيزنطيين ، بسبب اتساع دولة الفرس وتعاظم نفوذها الا ان يفكروا بمجاراتها دبلوماسيا ، وفي نفس الوقت تحركوا سياسيا لتشكيل قوة معادية للساسانيين فتبادلوا السفراء مع بلاد الخاقان التركي الذي كان يحكم التخوم الشرقية لايران وعززوا علاقاتهم مع بعض شيوخ اواسط آسيا لكي يحكموا الطوق من صوب الحدود الشمالية الشرقية على الامبراطورية الساسانية كما انهم دعموا الاحباش الذين نجحوا ثانية من احتلال اليمن كما اسلفنا ، ووطدوا علاقاتهم بالعرب ، وكانوا يقصدون احكام الطوق الجنوبي الغربي على الدولة الساسانية بدأ الترك تحرشهم بالحدود ، ولكن مناعة التحصينات اوقفتهم عند حدهم وشهدت ارمينية اضطرابات حرضت عليها الابدى البيزنطية ، ولم تكن هذه التحركات خافية على ملك الملوك الفارسي ، لذلك تحرك صوب الحدود الغربية واجتاح ارض ما بين النهرين مصطدما بالقائد

البيزنطي جستنيان الذي مني بهزيمة منكرة امام كسرى - وجيوشه . ولكن بسبب انتصارات الجيش البيزنطي اللاحقة وخاصة استيلائهم على سنجار دخل الطرفان مفاوضات صلح جديدة . وعندها مات كسرى سنة ٥٧٩ م . دون ان يطلع على نتيجة المفاوضات .

المبحث الخامس : الحركة العلمية والفلسفية على عهد كسرى .

وقبل ختام حديثنا عن كسرى الاول (انوشروان) نشير الى جانب مما عرف به هذا الملك من عدل ورحمة ، فقد اطنبت المصادر الايرانية والعربية التي نقلت عنها بذكر القصص والروايات التي تؤكد حبة للنظام والعدل ورفع الحيف عن الضعفاء من جور الاقوياء ، ولكننا نعرف من بين ثنايا هذه القصص عن النفوذ الكبير والثروات الهائلة التي تكسدت في ايدي النبلاء ورجالات الدولة فالملك ساند الارستقراطية الايرانية وعزز مكانتها ودعمها ماديا ومعنويا الى ان بلغت على عهده اعلى المستويات ، ولكنه في نفس الوقت رفض جشع بعضهم وغرورهم وحبيهم للتسلط خوفا من تفاقم نفقة الفقراء وحتى يتجنب نظام الملك هزات كمثل ما حدث في ثورة الفقراء على عهده قباز .

فأختار لهذه الاسباب ، موظفين اكفاء معروفين بالنزاهة واستمر في مراقبة اعمال عماله وموظفيه في الاقاليم .

ويفهم من بعض المصادر ان كسرى خفف من نظام العقوبات الذي كان ساريا فيما سبق وبخاصة عقوبة الاعدام التي كانت تنزل بالخارجين عن الدين فأمر بسجنهم ومحاولة اعادتهم الى دينهم بالارشاد والتوجيه ، ولكن ينفذ حكم الاعدام بهم في حالة اصرارهم على رفض العودة الى جادة الصواب ، ولكنه لم يتورع لحظة في ازالة اشد العقوبات الصارمة اذا وجد في ذلك ضرورة لحفظ نظام حكمه . ولدينا من امر تنكيه بالمزدكيين بالجملة مثال على ذلك كما يذكر انه خفف من عقوبة السارق والمغتصب بحيث جعل تنفيذ العقوبة لا يعيق صاحبها من ممارسة نشاطاته الحياتية ، فبدلا من عقوبة قطع الايدي قصرها على تير الانف والاذن .

وفي المصادر المتوفرة اشارات عديدة تؤكد روح المراوغة والدهاء السياسي الكبير الذي تميز بها كسرى ، كما انه لم يتورع من قصد كل السبل بما فيها الملتونة لتحقيق اهدافه . كذلك كان منفردا في رأيه لا يعير ادنى اهتمام لاراء رجال الدولة والعلماء المختصين الذين كانوا يحيطون به ويرى الطبرى رواية عنه تعكس تسلطه وظلمه ، مفادها انه بعد ان وضع نظام ضريبة الارض جمع رجال دولته وموظفي قصره ، وعرض عليهم الامر وسألهم رأيهم ، فلم يجبه احد . فكرر سؤاله ، فاجابه واحد من الكتاب بشكل لم يوافق هوى كسرى ، فأمر بضربه حتي الموت ،

فأعلن البقية رضاهم عن خطوات الملك . ولا جل تفرده بالحكم قتل اخاه كاووس الذي نالته
على العرش وقتل بعد ذلك جميع اخوته وابنائهم .
ومن جانب اخر نرى بعض المصادر المتوفرة اهتمام كسرى بالعلم والفلسفة وتشجيع اهلها
وعاينهم حتى لو كانوا على غير ملته وكان هو بنفسه يتلقى دروسا في الفلسفة على طبيب وفيلسوف
يوناني ، كما كان يحضر بعض المناقشات الفلسفية في اصل الكون والطبيعة كمسائل تناهت الدنيا
عنها . وكان بلاطه موثلا لكثير من الفلاسفة السريان والرومان واليونان الذين اضطهدوا في بلدانهم
بسبب موقفهم الفلسفي المعارض لاراء الحكام ، وكان معظمهم هارب من وجه الدولة البيزنطية
كما ساعد كسرى على انتقال علوم الهند الى ايران وبخاصة في الرياضيات وكتب الحكمة .
وينسب ترجمة كتاب كليلة ودمته الى الفارسية على شكل كسرى . ثم ترجم الى البربرانية والمريية
وكان ابن المقفع مترجم هذا الكتاب من الفارسية الى العربية .

وبسبب هذا الانفتاح العلمي والفلسفي الذي شهدته ايران على عهد كسرى زاد عدد المتعلمين
كما تم التأكيد على قواعد الاخلاق والسلوك اكثر من الالتزام بقواعد الدين ، واخذت بذور الشك
تنمو تدريجيا لترزع اركان الديانة الزرادشتية التي لم يبق لها نفوذها القديم في عقول الناس وقد
كان فصح المجال لمناقشة المسائل الفلسفية في الدين الزرادشتي سببا وراء تغلغل هذه الشكوك
وانتزع الثقة من نفوس كثير من الناس بجدوى الدين الزرادشتي الذي لم يعد بساير التطبيقات
العلمية للحياة . وننقل في ادناه جدالا فلسفيا دار بين احد رجال الزرادشتيين وبين احد رجال
الدين المسيحي ، تتوضح من خلاله تخلف الفكر الزرادشتي عن مستوى تطور الفكر الفلسفي
قال الموبذ للمسيحي : نحن لا نعتبر النار الهة ، ولكننا نعبد الله بواسطتها كما تعبدونه بواسطة الصليب
« فاجابه المسيحي ، وكان زرادشتيا مرتدا يفرقه تفصيلا الأفيستا » قارنا عليه بعض النصوص التي
يورد فيها ذكر النار على انها آله فقال الموبذ وقد ضاق ذرعا بالامر وهو يحاول التسلل من الموضوع
نحن نعبد النار لانها من نفس طبيعة اهورامزدا « قال المسيحي في ردء أفي النار كل ما في
أهورامزدا « اجاب الموبذ » نعم « فقال المسيحي « ان النار تلتهم النجاسة وروث الخيل وكل ما
تلمس ، واذا فان اهورامزدا يلتهم كل هذا لانه من نفس الطبيعة « فغلب الموبذ على امره وسكت
وهكذا سمحت حرية تعاطي الفلسفة مناقشة بضعة مسائل دينية كانت تستوجب عقوبة الاعدام
فيما سبق من عهود الدولة الساسانية وهكذا فان ما بلغته الدولة الساسانية من رقي وازدهار وشهرة
في عهد كسرى لم يكن في واقعه اكثر من صحوة موت ، فان مظاهر الاصلاح الاداري والعسكري
والمالي لم يكن يقصد من ورائه سوى حماية العرش والمتريع عليه ، اما الواقع الاقتصادي والاجتماعي
للالغالية العظمى من جماهير ايران ، فقد بقيت ترزح تحت كابوس الظلم والفقر والتعاسة ، وحتى

لواصاها بعض التخفيف بفعل اجراءات كسرى ، لكن جذوة الامل التي فجرتها المزدكية في نفوسهم ، جعلتهم لا يكثرثون لمثل هذه الاجراءات بل يطمحون للمزيد .

المبحث الخامس : المدائن

وينسب الى كسرى انوشروان هذا بناء الايوان الكبير في العاصمة المدائن والذي يعرف بايوان كسرى في مدينة طيسفون التي مر بنا خبر تأسيسها كمعسكر للمجندين في العهد الفارسي الفرثي السابق ولكن يحتمل ان يكون بناء الايوان اسبق من عهد كسرى انوشروان ، ويرجح ان يكون بناؤه على عهد شابور الاول ، ولكن بسبب - اللقب الذي اطلقه العرب على الملوك الفرس وهو لفظة كسرى - وجمعه اكاسرة مثل لقب قيصر وقيصرة للملوك الروم ، كان سبب التسمية وبذلك يكون معنى ايوان كسرى ايوان الملك .

وقد بلغت المدائن العاصمة اوج عظمتها وازدهارها واتساعها على عهد كسرى انوشروان وتعرف المدائن لانها مكونة من خمس الى سبع مدن تقع على جانبي نهر دجلة لا تبعد الواحد عن الاخرى الا مسافة قليلة ، وترجع بداية اتخاذها كعاصمة للفرس الساسانيين الى عهد اردشير مؤسس الدولة ثم توالى بناء المدن المجاورة احداها بعد الاخرى على عهود الملوك الساسانيين الذين اعقبوه كما تعرف ان كسرى انوشروان بني مدينة في المنطقة ذاتها لاسرى انطاكية من الروم سميت بالرومية (روميكان) قيل انها خططت وبنيت على غرار انطاكية حتى اذا ما ادخل الاسرى الروم اليها ذهب كل منهم الى دار خاصة به وجدها في محلها وبشكلها وتقسيماتها واقدم المدن في المدائن هي طيسفون (من تيسبون الفهلوية) ثم سلوقية التي جدد بنائها وسكنها الفرس . . . وتقع طيسفون شرق دجلة وبرز أثارها القائمة الى يومنا هذا بقايا القصر الملكي المعروف بطاق كسرى . وهو بناء مهيب شيد بالطابوق والجص قوامه ايوان مستطيل الشكل يغطيه طاق معقود بالآجر ، ارتفاع وسطه ٢٩ م وعرضه ٨٠ / ٢٥ م وطوله ٤٣ م ، فهو بهذه الابعاد يعد اكبر طاق مشيد بالآجر والجص وصل اليها من العمارة القديمة . ويحيط بالايوان من الجانبين جداران يرتفعان بارتفاعه ، يمثلان الواجهة الامامية للقصر تزينتهما أقواس على شكل دخلات غير نافذة تشبه الابواب المصمتة . وكان الجانب الايمن من الجدار الامامي للايوان قائما حتى سنة ١٨٨٨ م عندما صوره احد السياح المهتمين بالآثار ، ويبدو انه سقط بعد هذا التاريخ ، بينما بقي الجدار الابر قائما اليومنا هذا . ويمثل هذا الطاق مجلس الملك على كرسي العرش ليتصل فيه بوزرائه وموظفيه ويلتقى بسفراء ووفود الدول الاجنبية وكانت جدران الايوان موشحة بالسجاد والقماش الفاخر

وبعضها كان مزينا بصور الاحداث التي تعظم الملك وتظهر قدراته ، ومنها صور بالالوان لمعركة انطاكية التي انتصر فيها الفرس على الروم ، ونقل كسرى منهم كثيرين اسكنهم مدينة خاصة بناها لهم سميت بالرومية كما اسلفنا وقد جئنا وصف بديع دقيق سطره شاعر عربي بسارع هو البحتري عن ايوان كسرى . وعن صورة معركة انطاكية التي يبدو أن أقساماً منها بقيت سالمة الى زمن البحتري ، ومما يجدر ذكره عن المدائن انها اتخذت عاصمة او مدينة ملكية منذ عهد البارثيين الذي سبقوا الساسانيين في حكم ايران والعراق وبلدوانه لاسباب استراتيجية وعسكرية ، نقل اردشير مقر حكمه من اقليم فارس الى بلاد وادي الرافدين واتخذ من المدائن عاصمة لحكم الامبراطورية الساسانية .

وبقيت هذه المدينة عاصمة لهم الى ان فتحها العرب المسلمون حيث كانت على يدهم نهاية الدولة الساسانية (٦٣٧ م) وقد شهدت بلاد العرب حدثا جليلا في اواخر ايام كسرى انوشروان ذلك هو ميلاد الرسول الاعظم محمد (ص) في عام الفيل ، ويرجح ان يكون ذلك ما بين سنة ٥٧٠ - ٥٧٣ م .

الباب السادس

بدايات الضعف

الفصل الاول

بسرود الزعماء المسكرين

المبحث الاول: عهد هرمز الرابع وعلاقته ببهرام

أعقب كسرى في حكم ايران ابنه هرمزد الرابع الذي تميز عهده بازالة الحيف عن الفقراء وتحامله على الاقوياء لذلك كان يستحق لقب عادل ، اكثر من كسرى انوشروان ، ويبدو ان سلوكه هذا في انصاف المظلومين من عامة الشعب على حساب اهل البيوتات والاشراف جلب ضده حقد الارستقراطية الايرانية وفكروا بخلعه .

وتبين من بعض الروايات الفارسية التي نقلها المؤرخون العرب والتي تعبر عن وجهة نظر النبلاء والاشراف الذين كما يبدو تعرضت مصالحهم ومركزهم الى الخطر تبين منها نفي صفة العدل عن هذا الملك ، بسلوكه المعادى لهم وحماية للفقراء والمعدمين وهذا يؤكد ميل هذا الملك صوب التخفيف من وطأة الجور الذي لحق بهذه الطبقات الفقيرة من المجتمع . ومن مواقفه الحميدة منع عدوان رجال الدين الزرادشتي على المسيحيين .

ويبدو ان موقف الملك هذا يستند المساعدات التي قدمها مسيحيو ايران ضد خصومه ، البيزنطيين ولكن تسامحه في امور الدين جلبت عليه نقمة رجال الدين فشكلو حلفا بالتعاون مع الارستقراطية الايرانية تعمل وتستغل الفرصة للايقاع به ولكن علينا ، ابتداء من نهاية عهد كسرى انوشروان ان لا نحسب لرجال الدين حسابا كبيرا كقوة مؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية فقد خذل رجال الدين الزرادشتي وفقد مواقفه القوية بسبب تنشيط حركة العلم والفلسفة على عهد كسرى انوشروان ، وهذا ما اشرنا اليه سابقا ، وهكذا فقد رجال الدين مكانتهم السابقة ولم يسترجعوها حتى نهاية عهد الدولة الساسانية .

ونذكر آخر حرب بين الفرس والروم على عهد كسرى وهي الحرب التي انتهت بمفاوضات مات خلالها كسرى انوشروان فلم يشجع هرمزد على نجاح المفاوضات لانه ادرك انها تجري دون تكافؤ بسبب انتصار البيزنطيين الاخير في معركة سنجار على والده .

المبحث الثاني : نجاح حركة بهرام وتتويج كسرى أبرويز

وفي عهد هرمزد الرابع لمع نجم قائد عسكري من اسرة نبيلة يدعى بهرام ولقبه (جوبين) (الرجل الخشي) وكان فارسا مغوارا اكتسب شهرة عظيمة بسبب انتصاراته العسكرية على الهون في الشمال والترك في الشرق وكان محبوبا من جنوده كما يسمح له نسبه النبيل ليطمح بالوصول الى اعلى المراتب في الدولة . ولكن بهرام هذا مني بالهزيمة امام البيزنطيين فعزله هرمزد عن قيادة الجيش . فكان امر لم يرضاه بهرام ولا الارستقراطية الابرانية التي تسنده ، فاعلن الثورة ضد الملك ونال في عمله هذا تأييد جنوده وكثير من النبلاء . ويرى ان بهرام سلك نقودا باسم كسرى ابرويز ابن هرمزد ووزعها في المدائن ليزيد من بلبلة الاوضاع وليهيء الاجواء لتنفيذ مخططه الذي كشف عنه بسرعة وهو الاستيلاء على السلطة فاستغلت الارستقراطية التي ضمرت الحقد والكراهية لهذا الملك الفرصة واقت القبض عليه وسجلته ثم سملت عينيه ونادت بابنه كسرى ابرويز ملكا على ايران (برويز - المظفر) فتوج كسرى الثاني سنة ٥٩٠ م وقتل هرمزد بعد ذلك بقليل .

ولكن بهرام لم يكن يريد هذه النتيجة ، فواصل زحفه على المدائن متذعرا بحجة حماية الملك هرمزد والعمل لعودته لعرش ايران وقتل كسرى ابرويز وعندما شارفت جيوش بهرام على اسوار المدائن ، فر كسرى من العاصمة لمعرفة الاكيدة بانه لا قبل له بصدد بهرام وجنده ، وذهت الى البيزنطيين طالبا العون من امبراطورها موريق . وعند ها فوجيء الناس بتجرا بهرام وطلب العرش لنفسه مدعيا بكونه من اسرة الاشكانيين (وهي الاسرة الحاكمة على عهد الدولة الفرثية) فوضع التاج على رأسه وسلك نقودا باسمه . فانقسم النبلاء الى فريقين ، وهاجر بعض المعارضين الى اذربيجان .

واجتمع في اذربيجان تدريجيا كافة المعارضين لحكم بهرام القصير الاجل ، وخاصة النبلاء الذين اعترضوا على رجل من طبقتهم ارتقاء العرش ، بينما العرش محصور في عائلة خاضعة تستمد بعض خصائصها من الرعاية الآلهية لاهورامزدا ، وهكذا كان موقف معظم رجال الدين . .

المبحث الثالث : نجاح كسرى في استعادة العرش

وقبل الامبراطور موريق مساعدة كسرى وامده بجيش اخذه الى اذربيجان فاجتمع حوله مؤيدوه في نفس الوقت الذي اخذ مزيدا من النبلاء يتخلون عن بهرام واخيرا نجح كسرى في استعادة عرشه وانهزم بهرام والتجأ الى بلاط ملك الترك ثم قتل من بعد ذلك بقليل وكسرى بد

في قتله ، بقي الحذر الشديد يحيط بالعلاقة بين الملك كسرى الثاني والعظماء من ناحية ورجال الدين من ناحية أخرى ، فالعظماء هم الذين خلغوا أباه وقتلوه ، ولهم الفضل الكبير في اعادته للعرش . لذلك بدأ بتصفية حشبه معهم خوفا من تفاقم خطرهم فبدأ بخاليه اللذان ساهما بخلع أبيه وقتله ، فقتل احدهم بعلل واهية تذرع بها مما تسبب في ثورة الثاني في اقليم خراسان فلاقى نفس المصير المحتوم ايضا ..

اما رجال الدين فكانوا حذرين بسبب أفكار الملك المتفتحة وعدم تعصبه للدين الزرادشتي وربما كان لبقائه في بلاد البيزنطيين عدة سنوات سبب في ذلك كما كان لزواجه النصرانية شيرين أثر لا يستهان به موقفه الديني . ولكن كما اشرنا فيما سبق فان رجال الدين فقدوا قدرتهم على المبادرة ومسك زمام الامور .

المبحث الرابع : الحروب بين الفرس والبيزنطيين

وقد استغل كسرى مقتل الامبراطور البيزنطي موريق ذريعة لشن الحرب على بيزنطة ، فنجح الجيش الفارسي في غزو الرها وانطاكية ودمشق وبيت المقدس ، وبلغ الجيش الفارسي غزة والاسكندرية وبذلك تحققت للدولة الساسانية ولاول مرة حدود لم تبلغها الا على عهد الاخمينيين وفي صحوة موت حقيقية نجح كسرى ابرويز ببناء دولة مترامية الاطراف شملت بلاد الترك فسي الشرق ومناطق شمال الهند جنوبا والى الاسكندرية غربا حتى بلغ الجيش الساساني ابواب القسطنطينية . ولكن الامبراطور البيزنطي هرقل نجح في ايقاف زحف الجيش الفارسي ثم حول الحرب عليهم ، فطردوا من آسية الصغرى واذربيجان وارمينية وتقدم هرقل الى ما بين النهرين ونجح في محاصرة المدائن التي هرب منها ملكها الجبان ليأمن على حياته وفي الوقت نفسه رفض عرض الصلح الذي تقدم به هرقل ولم يمكث في المدائن زمنا طويلا بل تركها في حالة اضطراب عظيم بسبب تقدم الجيش البيزنطي واستمرار حرب لا طائل للفرس بها ، وذهب الى احدى مدن المدائن القريبة وبه اردشير (سلوقية) وأقام مع عشيقته شيرين ، فتسبب موقفه هذا في نقمة قادة الجيش واعلان الثورة عليه ، ونقل رغما عنه الى المدائن ليبيت في امروراة العرش ، وخلقت هذه النقطة من جديد خلافا بين اولاده ، ونجح اخيرا احدهم المدعوقباد والملقب بشيريه ، بعد ان تحالف مع بعض النبلاء والاشراف ، وفاوض هرقل على شروط للصلح فتوج ملكا على ايران وقتل في اثناء هذه الحوادث كسرى ابرويز نفسه .

وهكذا اختفى من على مسرح الاحداث رجل نال من الشهرة والعظمة اكثر مما يستحق وقبل ان نطوي صفحة من تاريخ الساسانيين على عهد كسرى الثاني الثاني ابرويز ، يجدر بنا الالتفات

ما خلفه عهد هذا الملك فهو على الرغم من كونه مرحلة جوفاء في حقيقتها لكن مظاهرها الخارجية تشير الى كثير من جوانب التراث الايراني التي حفظت لنا من ايام كسرى الثاني .
فقد نجح كسرى في تجميع ثروات وكنوز كبيرة بسبب نجاح حملاته العسكرية الاولى .
كما اسلفنا وتحول حب المال تدريجيا في نفس الملك الى جشع غريب ادى به الى سلوك شتى
سبل لتكنيزها فزاد في بؤس وافقار الشعب وكان لا يتورع من ارتكاب ابشع الاعمال ضد
اقرب الناس اليه طمعا في ماله اوللشك فيه . كما لم يدم تعاطفه مع المسيحيين حيث انقلب
عندهم اثناء حربه مع هرقل .

ان هذه الاموال الطائلة التي جمعها كسرى في خزانته لم ينفقها في الشؤون ذات النفع
لعام وانما صرفها على تطمين رغباته وحياة البذخ واللهو التي عاشها . فقد صرف على بناء
صوره بشكل خيالي ومنها قصره دستكرد (دستگرد) وقصر شيرين الذي
يروى انه شيده لعشيقته شيرين وتعكس لنا الاعمال الفنية والعمارة المنحوتة على الحجر في
طاق بستان الاموال والجهود العظيمة التي صرفت من اجل ذلك وتحفظ لنا الروايات
الفارسية والعربية الشيء الكثير من نفائس هذا الملك التي توضح اسرافه الكبير ، منها الشطرنج
المنحوت من الباقوت الاحمر والزمرد ، وتاج الملك وحده يشير الى ذلك البذخ ففيه ستون من
من الذهب الابريز وكان موضعا باللاكي التي تحاكي بيض العصافير والياقوت الرومانية التي
ضي منها الظلام وكان يعلق في الايوان بسلسلة ذهبية ذراعها سبعون ذراعا ومثل ذلك سريسر
العرش واثائه وملابسه والسجاجيد التي كانت من الحرير الموش بالذهب ، ويبدو ان كثير من هذه
المواد القريبة في عهدها من الاسلام شاهدها المسلمون ودهشوا لها فجاء وصفها تفصيلا

اما الحيرة فقد ضعف شأنها بعد زوال حكم المناذرة ، واهلها معظمهم من العرب النصاري الذين لم يقاوموا خالد بن الوليد عندما قدم لفتح العراق . واخذ الاندثار يدب فيها تدريجيا بعد انشاء الكوفة ، ولكنها بقيت مدينة معروفة حتى زمن العباسيين . وتقع اطلالها على نحو ١٠ كم جنوب غرب الكوفة .

ومن الامور الجديرة بالذكر ان الرسول (ص) بعث في سنة هجرته السادسة بكتاب الى كسرى ابرويز يدعوه فيه للاسلام كما بعث الى العديد من عماله العرب في اطراف العراق وادناه نص كتاب رسول الله (ص) .

بسم الله الرحمن الرحيم

من رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وان محمد عبده ورسوله واني ادعوك بدعاء الله واني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم وان توليت فانما اثم المجوس عليك . قيل فلما قرأ كسرى الكتاب مزقه ورمى به الى الارض ورفض الدعوة ، ولما بلغ النبي هذا الخبر قال بان الله سيمزق ماله كسرى كما مزق كتابنا . ولكن دعوات الرسول الى بعض عمال كسرى لاقت نجاحا وتأيدا ، واولهم المنذر بن ساري عامل كسرى على البحرين ، ويبدو ان معظم القبائل العربية تعاطفت مع الدعوة الاسلامية حتى لو لم تعتنق الاسلام بسبب كون دعائها عرب اوليا وسبب الخلاف الكبير الذي دب مؤخرا بين الساسانيين وبين العرب وبخاصة المناذرة الشيبانيون كما اصاب العرب الخاضعين لحكم الفرس الكثير من الجور والظلم والابتزاز الذي تعرض له المجتمع الابرائي على ايدي حكامه في اواخر ايام الدولة ، لذلك نشدوا الخلاص عن طريق الدعوة الاسلامية .

الفصل الثاني

المناذرة والساسانيون

وربما كان من نتائج جشع كسرى وجهه للمال ان اصطدام بقوة العرب في الحيرة وهم العرب المواليون للساسانيين ، فكــــــان ذلك اول اصطدام حقيقــــي بين العرب والفرس ، كما كانت نتيجته ستة مؤشرا له دلالاته بالنسبة لمستقبل الدولة الفارسية

المبحث الاول : (المناذرة وعلاقتهم بالساسانيين)

وترجع علاقة العرب بالفرس الى اواخر ايام الساسانيين ، حيث نجحت بعض القبائل العربية من تعزيز مواقعها في الاقسام الغربية من نهر الفرات مع ازدياد ضعف الدولة الفرية ومن هذه القبائل التنوخيون . فعمد زعمائهم الى التعاون مع زعماء الساسانيين ، وقد ادرك الساسانيون الفوائد المرجوة من تحالف هذه القبائل المتاخمة لحدودهم الغربية ، فاعترفوا بسلطانها على المنطقة ، بينما وقفت قبائل اخرى من التنوخيين موقفا معاديا للساسانيين ومنهم قضاة ، فشدد الفرس عليهم مما اضطروهم للهجرة الى اطراف الشــــام .

وآل امر عرب العراق الى عمر بن عدى الذى يعد مؤسس اسرة آل لخم او آل نصر التي ينحدر منها ملوك المناذرة وسار على سياسة سلفه في التعاون مع الساسانيين ، واتخذ الحيرة مقرا لزعامته وقد تحولت الحيرة الى عاصمة المناذرة منذ ذلك الحين ولوقع الحيرة اهمية تجارية وسترراتيجية كبيرة نظرا لوقوعها على نهر الفرات وعلى اطراف الصحراء وبذلك ميكت بزمam الخطوط التجارية والبرية والمائية وكان المناذرة يسعون لمد نفوذهم على القبائل العربية وتتلقون العون والدعم في عملهم ذلك من البلاط الساساني ، وبلغت العلاقات بين الحيرة والساسانيين اوج قوتها على عهد ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس حيث كانت كتيبة من الفرسان الفرسيين ترابط في معسكرة وتساند حملاته وغزواته . وينسب الى هذا الملك بناء الخورنق .

وبلغت الصلات أشدها عندما دفع الملك الساساني يزدجرد (ابنه بهرام (كور) ليتربى وليشأ في رعاية النعمان (او ابنه المنذر بن النعمان على رواية الطبري) وابرز حدث من ايام بهرام انه وصل الى العرش بحماية ودعم المناذرة وهذا يعكس لنا مدى القوة التي بلغتها الحيرة بحيث قابلتها الارستقراطية الايرانية بالخضوع والاذعان وسلمت الامر الى بهرام .

وكانت الديانة النصرانية سريعة الانتشار في اقليم الجزيرة بين بعض القبائل العربية

كذلك قوى نفوذها في الحيرة ويروى ان المنذر بن ماء السماء نفسه تنتصر وكانت زوجته هند نصرانية .
وبدوان انتشار النصرانية في الحيرة لم يضير الساسانيون في اواخر عهد كسرى أنوشروان ، خاصة
ونحن علمنا بعض الشيء عن تفتح ذهنية هذا الملك ومنحه الحرية الدينية وتشجيعه لحركة العلم
والفلسفة كما سبق الاشارة الى ذلك عند الحديث عن عهد كسرى أنوشروان .

ونذكر من امراء الحيرة المشهورين ابو قابوس النعمان بن المنذر الذي صادفت ايام ولادته
على الحيرة حكم كسرى الثاني ابرويز ونبين من بعض القصائد لمشاهير شعراء العرب كالذياني
المدخل البشكري وطرفة بن العبد وكانوا من رواد بلاط النعمان والمقربين اليه وهي القصائد التي قالوها
في مدح النعمان مدى عظمة بلاطه وثرائه وسعة نفوذه الذي بلغ منطقة طيء والبحرين . ولكن
العلاقة بين النعمان وبين كسرى ساءت الى حد بعيد ، لاسباب يختلف المؤرخون في سردها ،
منها ان النعمان رفض مصاحبة كسرى عندما فر من المدائن الى بلاد الروم اثر هجوم بهرام عليه
كما رفض تزويجه من احدى بناته وبدوان لبعض زعماء طيء ، وبينهم وبين المناذرة عداوة سابقة
بسبب احتلال مقاطعتهم من قبل النعمان ، كان لهؤلاء يد في الخلاف بين النعمان وكسرى ، خاصة
اذا ما عرفنا النتيجة وهي عزل النعمان وتولية أبياس بن قبيصة بن طيء واليا على الحيرة ، وربما
يكون لتزوات الملك وجهه في جمع الاموال ومعرفته بشراء بلاط النعمان سببا وراء الخلاف الذي
تذرع به كسرى فطلب - حضور النعمان امامه ، فاضطر النعمان الى ايداع امواله وسلاحه واهله
عند هانيء بن مسعود الشيباني خوفا عليها من حقد كسرى فلما وصل المدائن امر كسرى بسجنه
تعيين أبياس بن قبيصة من طيء بدله ، وكان ذلك الحدث اي سجن النعمان ووفاته بالسجن
نقل الحكم من المناذرة في الحيرة اشارة الى زوال ملكهم ، فكان ذلك بمثابة زوال الحاجز
الذي حتمى الدولة الساسانية في قرون حكمها ، حيث واجهت العرب بعد ذلك وجهها لوجه
 واصبحت يد العرب طليقة في الحدود والاراضي الساسانية في العراق .

ويروى ان كسرى ابرويز بعث الى هانيء يطلب منه تسليم ما ائتمنه عليه النعمان فرفض
هانيء وتوقع الحرب واستعد لها ، وبشكل ذلك اول تحدي علني من قبل العرب لقوة الدولة
الساسانية وينجح العرب على الرغم من عددهم القليل من انزال ضربة موجعة بالجيش الساساني
في معركة ذي قار (وهو موضع ماء ينزله بنو شيبان في اطراف بادية الحيرة) وخرج منها العرب
ناافرين فزاد من تعزيز الثقة في نفوسهم فتجرات قبائل اخرى للهجوم على بلاد الساسانيين .
وكانت حرب ذي قار امتحانا عسيرا اذاقت الفرص المهانة ، مقابل اعتبارها حربا استطلاعية
ومقدمة للفتوحات الاسلامية ، ولاهمية هذه الحرب يروى ان الرسول قال عنها عندما سمع
باخبارها « وهذا يوم انتصف به العرب من العجم » .

الفصل الثالث

بروز القائد شهريراز

المبحث الاول : بروز القائد شهريراز

تميز عهد كسرى على الرغم من مساوئه وعلاقات الضعف البادية عليه ، ببعض مظاهر العظمة والقوة السابقتين . كما انه استطاع الى حد ما تخفيض وطأة الارستقراطية الايرانية ، ولو انه لم ينجح الى الحد النهاية ، حيث اقلع العظماء والنبلاء في الثورة عليه وسجنه وقتله ونصبوا قباذ الثاني المعروف باسم شيرويه بدلا عنه . ولكن حدث موت كسرى الثاني زعزع ثقة الناس بالاسرة الحاكمة واطلق العنان للمغامرين واصحاب المطامع . ومما زاد في تفاقم الاوضاع وتدهورها السريع ، انه لم يستلم السلطة رجل قدبر يستطيع تفادى السقوط او تأجيله . وقد عمد شيرويه الى فتح ابواب السجن الرهيب « قلعة النسيان » فاطلق سراح من فيه رغبة منه في التقرب الى الناس ، ولكنه من جانب آخر قتل جميع اخوته خوفا من تأمرهم عليه في المستقبل بحجة مقتل ابيهم ولكن حكمه لم يستغرق وقتا طويلا فقد مات مسموما بعد ستة شهور . ومما يجدر التنويه به ان وباء الطاعون اجتاح البلاد في عهده وزاد من تفاقم الاوضاع وسوءها .

فنصب ابنه الصغير اردشير الثالث ملكا على عرش ايران ، وبسبب صغر سنه اوصوا بحضائنه لموظف كبير ليدير شؤون الدولة بدله الى ان يكبر . ولكن احد القادة العسكريين ، وكان لامعا في عهد كسرى بروز واسمه شهريراز (شهريار) فسار الى المدائن يؤازره بعض عظماء المملكة فقتل الملك الصغير ونصب نفسه ملكا على البلاد اسوة بهرام جوبين وبسطام فيما قبل ولأنه لم يكن من افراد الاسرة الحاكمة فعارض فعلته بعض عظماء المملكة وعلى رأسهم زعماء اصطخر فنجحوا في قتله بعد ان حكم اقل من سنة وبويع بالعرش لكسرى الثالث ولكنه قتل قبل حفل التتويج فتوجت بوران ابنة كسرى بروز على عرش ايران .

وذلك لعدم وجود ذكر من ابناء بروز بسبب قتلهم جميعا على يد شيرويه . وكانت هذه الاحداث اشدنا بضعف امر الفرس ووهن سلطانهم - وشاع في الارض ان الدولة بدون ملك فشجع ذلك بعض القبائل العربية الغربية ، فخرج رجالان من بكر بن وائل احدهما المثني بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قطبة العجلي ، واخذوا بالاغارة على الدهاقين ، وكان المثني

يغير من ناحية الحيرة وسويد من ناحية الأبله (جنوب البصرة بقليل) وكان ذلك على ايام خلافة ابر بكر و يروى ان المثنى كتب الى ابي بكر يعلمه بوضع الفرس واضطراب امرهم وسأله ان يمدده بالجيش .

اما الوضع في المدائن ، فقد اعقبت أزر ميدخت اختها بوران على عرش ايران ولم تحكم غير بضعة شهور لان قائد خراسان سار صوب المدائن متحايلا على الملكة بحجة خطبتها يريد من وراء ذلك الاستيلاء على العرش ، ولم تستطع الملكة رفض طلبه صراحة لقوته ، لكنها تحاللت عليه وقتلته ، وعندها تحرك القائد رستم ابن المقتول صوب المدائن واستولى على العاصمة وعزل الملكة وسمل عينيها .

بلغ من سوء وضع الملوك وقصر مدة حكمهم ونهاياتهم المؤلمة اننا لا نعرف عنهم احيانا سوى اسمائهم ، كما يبدو ان حكمهم لم يكن شاملا لجميع البلاد بل في اقسام منها ، لذلك تولي عرش ايران في ظرف اربع سنوات حوالي عشرة ملوك . حتى اصبح افراد البيت المالك يهربون الى المناطق النائية ويختفون عن اعين الناس حتى لا يطلبون للجلوس على العرش لانه تحول الى كرسى موت للجالسين عليه .

واخيرا عثر في اصطخر على الامير يز دجر بن شهريار بن كسرى ، وكان يعيش مختفيا في اصطخر مسقط رأس العائلة المالكة الساسانية ، فبايعه عظماء اصطخر وتوجوه في بيت نار اردشير في اصطخر وتوجهوا به صوب المدائن واجلسوه على العرش وكان يسانده في ذلك احد اكبر عظماء عصره رستم وهكذا بدأ حكم آخر ملك ساساني وهو يز دجر الثالث الذي ورث كيانا مهزوزا اخذ بالانهيار ، فواجه هذا الملك بشجاعة نادرة لا الاوضاع السيئة في الداخل فحسب وانما غارات منظمة قوية تقوم يوحدتهم الايمان بدينهم ويزيد من اندفاعهم الرغبة في نشره .

اصبحت الامبراطورية الساسانية في اواخر ايامها دولة بالاسم فقط وانما الواقع كانت مجموعة من الولايات يحكمها امراء مستقلون بعضهم عن بعض وعن السلطة المركزية ومما زاد في الطين بله ان النظام العسكري الذي ابتدعه كسرى أنوشروان وقسم فيه منصب القائد العسكري العام الى اربعة اقسام ، حول هؤلاء القادة بمرور الزمن الى حكام لا يقلون خطورة في بعض الاحيان عن الملك ، كما زادت محاولات البعض منهم للسيطرة على العرش .

عند الفتوح الاسلامية كانت تسع عشرة ولاية لها ولايتها المستقلة ولهم القابهم الخاصة ومنها ولايات هامة في الدولة الايرانية مثل سمرقند وخوارزم وهرارة والطالقان وكابل وطخارستان وغيرها ، وهذه من دون شك اشارة واضحة الى تفكك الدولة وضعفها وليس ذلك فحسب ، بل ان استقلال هذه المقاطعات قلص من واردات الدولة المالية وقدراتها العسكرية بالاضافة الى بث روح الفرقة

ومحاولات الاستئثار بالحكم على حساب الآخرين ويبدو ان العرب المسلمين كانوا مطلعين على مجريات الامور الداخلية في الدولة الساسانية فوجه الخلفاء الراشدون جل اهتمامهم صوب بلاد فارس وممتلكاتها .

المبحث الثالث : معارك التحرير

ولنا في رسالة المثني بن حارثة الى ابي بكر دلالة على ذلك . فكتب ابو بكر لخالد بن الوليد ان يسير الى الحيرة لمحاربة الفرس وان يضم اليه المثني ومن معه ، ثم ابدل خالد بقائد آخر بقسي والمثني بن حارثة يغيران على ارض السواد ويحدثان - المزيد من الفوضى والارتباك في صفوف الفرس . وكان الاصطدام العسكري الواسع بين الطرفين على عهد الخليفة عمر عندما بعث اليهم بالرجال بقيادة ابي عبيد بن مسعود الذي قتل في موقعة الجسر على نهر الفرات وقتل كثير غيره من المسلمين ، وتشير المصادر العربية الى ان الحارثة اشار على ابي عبيدة بعدم عبور الجسر فلم يعز كلامه انتباها ، فحوصروا وقتل منهم كثيرون ، ولكن المثني استلم راية المسلمين بعد مقتل ابي عبيدة ونجح في صد الفرس ومكن المسلمين من عبور الجسر والابتعاد في البراري .

فبعد عمر الارية لجريز بن عبدالله البجلي ، وانظم اليه المثني ايضا ، فغربوا الحيرة واكثروا من غاراتهم وكان ذلك على عهد الملكة بوران التي ارسلت ضدهم جيشا واجه صمودا واستبالا عظيما انكسر على اثره وانسحب الى المدائن ، فزادت نتائج هذه المعركة من معنويات العرب كثيرا ، فكثرت غاراتهم على السواد وشتتوا كثيرا من مسالح (تحصينات الحدود) الفرس .

كذلك بعث عمر بن الخطاب بالمساعدات من الرجال الى سويد بن قطبة البجلي وكان على رأسهم عتبة بن غزوان فنجحوا في فتح الأبله ، فكتب الى عمر « اما بعد فان الله وله الحمد فتح علينا الأبله ، وهي مرتقى سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين واغنمنا ذهبهم وفضتهم وذرايرهم وأنا كاتب اليك ببيان ذلك ان شاء الله ثم توالى بعد ذلك انتصارات المسلمين على المدن الجنوبية من البصرة الى حدود واسط وكثرت وفود المسلمين الى هذه المناطق فزاد عددهم وقوى نفوذهم ، فأرسل عمر ابا موسى الاشعري الى البصرة لينتخذها مقرا للمسلمين ويخطها ويبنى المسجد فيها .

وهكذا تحول خطر العرب هذه المرة الى أكثر من اغارات على تخوم الامبراطورية لغرض الكسب الرخيص كما اعتقد واعتاد الفرس على مثل ذلك من قبل ، بل كانت هذه المعارك بداية لهجوم كاسح اطاح بالدولة الساسانية . فلما استفحل امر العرب وتوالى انتصاراتهم وكثر تعرضهم للفرس والمدن والتحصينات جيش يزدرج جيشا عظيما عقد لواءه للقائد المحنك رستم . وسار رستم بجيشه صوب القادسية على مقربة

من الحيرة ، وعندما بلغ يخبر سير رستم الى عمر ، سير الى العراق سعد بن ابي وقاص على رأس (٢٠) ألف محارب يسار بهم سعد حتى وافى القادسية وتقابل الجيشان دون التحام يجنوس احدهم معسكر الآخر لمعرفة اسراره وعدته . ووافى سعدا وهو في القادسية نجدات من الشام وغيرها وفيهم سنديد العرب فنشب القتال ونشبت معركة ضروس دامت ثلاثة ايام كان النصر النهائي فيها حليف المسلمين وقتل القائد رستم وانهزمت فلول الجيش الفارسي لائذة الى المدائن . فكان وقع هذا الانتصار عظيما على الطرفين ، فقد زاد من معنويات المسلمين وشجع كثيرا من القبائل العربية للانضمام تحت لوائهم . بينما كانت الضربة خيبة امل كبيره للفرس وخاصة بعد مقتل رستم احد اكبر رجالهم .

يمكننا اعتماد معركة القادسية فاتحة سلسلة من المعارك اللاحقة التي شكلت سلسلة من انتصارات العربية التي اوصلت النصر المحقق للمسلمين .

المبحث الرابع : دخول المدائن :

سار سعد على رأس جيشه الممتلئ زهواً واقداما اثر انتصاره في القادسية صوب المدائن وكان في ذلك ينفذ امر الخليفة عمر ، وكان سيرة للمدائن يمثل خطة عسكرية موفقة ، حيث تمثل بالمفهوم العسكري مرحلة استثمار النصر دون ان يتركوا للعدو فرصة تجميع قواه والاستعداد للمواجهة . وعندما اطبق المسلمون على المدائن طلب يزدرج رد التفويض ، فارسل سعد اليه وفدا برئاسة المغيرة بن شعبة فاستقبلهم يزدرج بخطاب فيه كل معاني الخيلاء والضعف في آن واحد ووعدهم بالمال ان هم رجعوا عن حربهم ، ولكن شروط المسلمين كانت حاسمة فخيروا الفرس في واحد من ثلاثة طرق اما الاسلام او الجزية او الحرب فرفض يزدرج وانفض الوفد الاسلامي الى معسكرهم يستعدون للقتال . ولما شعر يزدرج بعزم العرب على مهاجمته وتحركهم فعلا صوب مدينة وبه - ردشير سلوقية ومخاضرتها واحتلالها وكان ذلك في سنة ٦٣٧ م (٥١٦) ترك الملك عاصمته هرب آخذا معه ما اخف من امته واموال .

كان هرب يزدرج مشجعا للعرب لعبور دجلة على خيلهم ودخل سعد العاصمة شبه المهجورة دون مقاومة تذكر ، فدخل الى القصر ومنازل كسرى وهاله ما وجد فيها من متاع وريشاش ثاثر ونفائس لم يستطع يزدرج ان يأخذها معه .

وسارع سعد بارسال قوات تلاحق فلول الجيش المنهزم بعد ان بلغته اخبار تجمعهم في المولاء ، فانزل المسلمون ضربة موجعة بالجيش الساساني المتجمع في جلولاء فقتل منهم كثيرون لاذ بالفرار من بقي على قيد الحياة ملتحقا بملكه الذي ذهب الى جهات ارمينيا يجمع جيشا انحاء ايران يحاول بواسطته استرجاع عرشه .

كانت محاولات يزديجرد كضرب في الصخر ، وعلى الرغم من تنبه الولاة والامراء والنبلاء للخطر المحدق بهم ، ولكن عوامل الفرقة والتشتيت التي اطنبت في اواخر ايام الدولة الساسانية حالت دون نجاحهم في الوقوف صفا واحدا . وعلى الرغم من ذلك فيقدر عدد الجنود الذين جيشهم يزديجرد لمواجهة العرب بحوالي (١٥٠) الف رجل وجمعهم في سهل نهاوند في ايران ، كذلك استعد المسلمون لهذه المعركة : واسند عسـ قيادة الجيش التي النعمان بن مكران ، وبعد شهرين من الاستعدادات في عام ٦٤٢ م - (٢٢ هـ) شهد سهل نهاوند معركة ضارية حامية الوطيس استبسل فيها الطرفان ، ولكن الفرس انخذلوا فيها امام قوة العرب وصمودهم وشجاعتهم تسندهم في مواقفهم هذه المعنويات العالية التي اكتسبوها من منازلة الفرس في المعارك السابقة والانتصار عليهم ، فقتل قائد الفرس ، وترك يزديجرد امر الجيش والدولة ليدافع عنها حكام الاقاليم المرازية والولاة المحليين ، وقد صمد بعضهم بوجه العرب ولكن دون طائل ، ففتحت اقاليم همدان والري واذريجان وأرمينية وهرب يزديجرد الى جهات الشرق مختفيا فيها ، ولكنه اغتيل بالقرب من مرو عام ٦٥١ م (٣١ هـ) وعند هذا التاريخ تنتهي قصة الامبراطورية الساسانية الذي دام حكمها نيفا واربعة قرون (٢٢٦ - ٦٥١) .

ومن هذا التاريخ ايضا اصبحت ايران بمعظم اقسامها تابعة للدولة الاسلامية فهاجرت الى بعض جهاتها قبائل عربية وبنت فيها بعض المدن ، واصبحت قاعدة للاسلام منذ ذلك الحين .

الباب السابع
بعض جوانب المدنية الايرانية
على عهد الساسانيين

الفصل الاول

المجتمع الايراني على عهد الساسانيين

المبحث الاول طبقات المجتمع

ينقسم المجتمع الايراني منذ فترات تاريخه القديم الى عظماء وعامة او بمعنى حديث سادة وعبيد . وكان العظماء او السادة يتوزعون في سبع اسر متميزة على رأسها عائلة الساسانيين الحاكمة ، وبالتالي كانت الوظائف الرئيسية الكبرى يتوزعها أبناء هذه العوائل السبع . فمنهم الملك ورجال الدين وقادة الجيش وحكام الولايات والكتاب وكان زعماء هذه الاسر متساوين للملك في الاصل ولهم حق لبس التاج ولكن بحجم اصغر من تاج الملك . كما ان الوظائف كانت محصورة بنظام شبه وراثي في هذه الاسر .

وكانت هذه العوائل تتوارث امتيازاتها منذ ايام الفرثيين وقد اقر النظام الجديد للدولة

الساسانية لها بهذه الامتيازات . وحدث ان تجاوز الملك بعض هذه الامتيازات كما حدث على عهد كسرى انوشروان الذي فرق مركز القائد العام الى اربعة قيادات ولكن امتيازات الاسرة الحاكمة كانت مصونة بهالة دينية . لذلك فشل اقوى العظماء من ارتقاء العرش مثل بهرام

جويشن .

ولم تكن وظائف الدولة الرئيسية محصورة بين افراد هذه الاسرة وانما كانت معظم الاراضي الايرانية موزعة فيما بينهم ، كما كان الملك باعتباره رئيس الاسرة الاولى منهم يمتلك حدودا واسعة لا تعرفها من الاراضي والممتلكات التي تستثمر لصالحه . وبسبب البناء السياسي الجديد للدولة الساسانية فقد كان زعماء هذه العوائل خاضعين الى سلطة الدولة المركزية سواء في الخراج او الجزية وبإداء الخدمة العسكرية وعلى الرغم من بقاء بعض الامتيازات الاجتماعية محصورة في ايدي أبناء هذه العوائل لكن ما اصاب هذه الاسر التي تمثل الطبقات العليا في المجتمع الايراني من ضعف وخسارة لكثير من مواقعها بفعل انتشار افكار الديانتين المانوية والمزدكية . افاد بعض حكام ايران مثل قباد وكسرى الاول انوشروان بتخليص الدولة من التزاماتها ازايمهم بخصوص الوظائف الحساسة ، حيث كانت مصلحة الدولة وسلطانها المركزية تتنافى مع الاسلوب الوراثي القديم .

ويمكننا استناداً الى المصادر المتوفرة ومنها كتاب الآقستا والمصادر العربية أن نقسم المجتمع
الايرواني الى الطبقات التالية : -

١ - فئة رجال الدين وعلى رأسهم المويذان مويذ وهو كاهن الدولة الاعلى للدين الزرادستي وقاضي
القضاة .

٢ - فئة رجال الحرب وعلى رأسهم ايران سباهيد وهو القائد الاعلى للجيش في ايران والذين
اصبحوا منذ عهد كسرى انوشروان اربعة قادة كل واحد منهم على قسم من انحاء الامبراطورية .
وكان معظم القادة العسكريين البارزين من الاسر النبيلة الكبيرة والتي منها الاسر السبع
المتنازة التي على رأسها أسرة الساسانيين وكانوا يعرفون تحت اسم « واسبوران » (الزعماء) .

٣ - فئة الكتاب وعلى رأسهم كبيرهم دبيريذ .

٤ - فئة ازاد هان : الاحرار او العامة وتشمل الفلاحين والحرفيين كما ينضوى تحت لواء
هذه الفئة بعض صغار النبلاء الذين ينتشرون في انحاء الامبراطورية ويشغلون الوظائف
المختلفة في ادارات الاقاليم .

لكن هذا التقسيم يمكن حصره في حدود طبقتين رئيسيتين مع الاعتراف بوجود تمايز
في الحقوق والامتيازات لكل منهما ، وهي الطبقة العليا وتشمل العظماء والاشراف والنبلاء الذين
يبدأون بالملك ورؤساء الاسر السبع وكبار موظفي الدولة ، والطبقة الثانية تشمل الغالبية الساحقة من
افراد المجتمع ، وتشمل الفلاحين والحرفيين والعبيد .

المبحث الثاني : التقسيمات الادارية والعسكرية :

ويكثر في المصادر العربية ذكر العظماء ويراد بهم اصحاب الوظائف العالية في الدولة والذين
ينتمون الى الاسر السبع الممتازة او الاسر النبيلة الاخرى ومنهم كبير الوزراء (هزاريذ) او الوزير الاول
وهي وظيفة انحدرت الى الساسانيين من العهد الاخميني . وهويد الملك اليميني في ادارة شؤون الدولة
ومن القابه امين البلاط الملكي . وكان ينوب عن الملك عندما يكون الاخير في مهمة ، ويدير

المفاوضات الدبلوماسية ويستشير الملك في كافة الشؤون . ان رجلا بهذه المكانة المهمة في الدولة يجب ان تتوفر فيه صفات المعرفة والحكمة وبعد النظر ، ومثل هذه الصفات ، اعتقد الحاكمون في ايران - انها حكر على ابناء العليقات العليا .

وقد تآثر المسلمون بمنصب كبير الوزراء الساساني ، وكان يسمى بالوزير الذي كان له السلطان التام الذي للخليفة شريطة ان يعلم الخليفة باجراءاته . ومع ذلك فقد كانت امتيازات رئيس الوزراء محددة دون حدود امتيازات الملك ، فليس له ان يورث احدا من بعده في منصبه ولا يحق له رفض امر ملكي او تبديله . وقد اصابته اجراءات كسرى - أنوشروان مركز رئيس الوزراء ببعض التغيير صوب تقليل وتحديد صلاحياته وتحويل بعض مهامه الى غيره من موظفي البلاط . وقد كانت اجراءات كسرى جميعا تنحصر نحو تحديد نفوذ الموظفين الكبار ، كرئيس الوزراء والقائد الاعلى للجيش الذين سبق لهم ان ضيقوا الخناق على الملوك حتى بلغ بهم الامر الى سلبه صلاحيات تعيين خلفه في بعض الاوقات ، ولما كانت الفرصة متاحة امام كسرى بعد احداث الدعوة المزدكية لكسر شوكة الطبقة الارستقراطية ، فبدأ بتقليص اظافرهما عن طريق ممثلها في الحكم وهم فئة كبار موظفي الدولة .

ومن التقسيمات الادارية التي تحدثت الى الساسانيين من عهد الفرثيين تقسيم - المملكة الى اربعة اقسام رئيسية شرق وغرب وشمال وجنوب ، حيث وجد هذا التقسيم صدى من لدن كسرى أنوشروان ، واصبحت الاقسام تحمل اسم مرزبان ويحمل المسؤول الاداري عنها لقب شاه . كما عين الملوك الساسانيون من ابنائهم واخوانهم ملوكا على بعض الاقاليم فكان لقبهم ملك أرمينية او ملك كرمان . بينما بقي لقب ستراب مقتصر على حاكم المدينة وبعض المناطق المحيطة بها . تعد وظيفة رجال الدين ، الوظيفة الخطرة الثانية في التسلسل الاداري للدولة الساسانية ، وينتمي هؤلاء في الاصل الى قبيلة ميدي ، وكانوا يعتبرون انفسهم موكلين دون غيرهم بخدمة الآلهة . واعتبروا انفسهم متساوون في المركز مع العائلات النبيلة الكبيرة . وغالبا ما تعاونوا مع النبلاء ضد الملك وبسبب طبيعة النظام الاوتوقراطي لايران الساسانية ، وبسبب كون الديانة الزرادشتية ديسن الدولة الرسمي منذ ايام اردشير ، وهوابن بابك بن ساسان الكاهن الاعلى لبيت ناراصطخر ، لذلك كان دور طبقة رجال الدين في الحياة العامة والخاصة كبيرا وخطيرا . فيستشيرهم الملك والموظفون الكبار في كثير من الشؤون ويبدونهم ايضا القضاء والاشراف على المحاكم بالاضافة الى اشرافهم على جميع الشؤون الدينية من شعائر ومراسيم . وكانوا يمثلون طبقة غنية جدا بسبب ممتلكاتهم الواسعة والغرامات الدينية التي كانوا يستحصلونها وبعض الضرائب لذلك اكتسبوا بسبب ذلك اهمية متزايدة ، كما برزت اهميتهم بسبب استقلال شؤونهم عن مناي اي جهة اخرى في الدولة .

ولهذه الفئة من المجتمع تقسيم يعتمد المراتب الكهنوتية ، وسبب كونها مرتبطة بالديانة الزرادشتية ، فلا نعرف تفاصيلها . لكننا نعرف الموبد وهو رجل دين كل منطقة من اقسام الامبراطورية ولهم رئيس هو « الموبدان موبد » الذي ظهر لأول مرة على عهد اردشير ، والذي يبدو ان اردشير اوجده ليلائم التنظيم السياسي الجديد للدولة . وكانت للموبدان موبد الكلمة الفصل في كل ما يتعلق بأمور الدين وشؤونه النظرية والعملية .

اما رجال الدين الذين يتولون تنفيذ الشعائر الدينية في معابد النار الزرادشتية فعرفوا باسم الهرابذة ولهم رئيس هو الهربذان هربذ ، وكانت اهميته وشخصيته تلي شخصية الموبدان موبد . ومن الامور الهامة التي كانت باشراف رجال الدين هي شؤون التعليم والتوجيه الاخلاقي للشعب ، ولهم وحدهم الحق في تداول علوم ذلك العصر .

يلي رجال الدين في المرتبة الاجتماعية والوظيفية ، رجالات الجيش او ما يسمون - بطبقة رجال الحرب ، وكان قادة الجيش وقائدهم الاعلى من الطبقات العليا في المجتمع الايراني وكانت زعامة الجيش في يد واحدة الى ان تولى كسرى انوشروان امر تقسيمها الى اربع قيادات ، وببدوانه قصد من وراء ذلك تقليل اهمية وعظيمة القائد الاعلى بالنسبة الى السلطة ، واذا نجح كسرى في اجرائه هذا الى بعض الوقت فانتا نعرف من مطالعتنا السابقة لاحداث التاريخ الساساني ، كيف حول هؤلاء القادة العسكريون الى خطر محقق بالسلطان نفسه .

وكان القائد العسكري العام ضمن مستشاري الملك ، ولكن بسبب خطورة مركزه وخاصة في وقاات الحرب ، لذلك نجد تدخلا من كبير الوزراء او من الملك نفسه في شؤون القيادة العليا للجيش ومن الوظائف العليا في الجيش ايضا وظيفة المرزبان الذي نعرفه من أواخر الدولة الساسانية يحاكم العسكري والاداري لبعض الولايات ومن الوظائف العسكرية رئيس الحرس الملكي ، وكانت تتبعه فرق من المشاة على شكل شرطة وجلادين يضعهم تحت تصرف موظفي الاقاليم .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن قادة الجيش في السلم الاجتماعي ان نتحدث ايضا عن لجيش الايراني ووحداته ونظامه الحربي وسلاحه .

كان النظام العسكري الذي ورثه الساسانيون من الاشكانيين القرثيين يعتمد على وحدات من جنود تتبع حكام الاقاليم . حيث كانوا يستنفرون اثناء الخطر او الحروب الخارجية . وليس من صعب ان تقدر ضعف هذا الاسلوب في المهمات العسكرية الكبيرة التي بدأها اردشير .

لذلك ادمجت هذه الوحدات العسكرية في جيش منظم يخضع الى قيادات فرعية وعليا يكون طبيعيا على شعب مثل الايرانيين توارثوا القيم القروسية ومجدوها ان يجعلوا للفرسان دورا اساسيا في الجيش الايراني (اسواران) وكان معظمهم من النبلاء ويلبسون الدروع الحامية في الحرب

بحيث لا تبرز من اجسامهم الا نقاط قليلة ، وكانوا يتسلحون بالسهم او الحراب يختار الملك من بين هؤلاء الفرسان فرقة قوامها عشرة الاف رجل توكل اليهم بعض المهمات الخطيرة في الحرب . فعملهم يشبه الاعمال الانتحارية التي تقوم بها فرق خاصة كالصاعقة ، في الجيوش الحديثة وكانت فرق الفرسان تتقدم الجيش الايراني وتعتمد نتيجة المعارك على قوتهم وصمودهم وكان الملك عندما يحارب ينخرط بينهم كرئيس للفرسان في المعركة يليهم في الاصطفاف العسكري للحرب فرق القبالة حيث كانت القبلة بحد ذاتها في اشكالها المخيفة ورائحتها النتنة واصواتها المخيفة تحدث رعبا وارتباكاً في جيوش الاعداء .. ثم يلي هؤلاء جمهرة غفيرة من المشاة وهم من الفلاحين البؤساء الذين كان ارتباطهم باصحاب الارض يجبرهم على الخدمة العسكرية فسي مناطقهم في اوقات السلم لحفظ الامن وتنفيذ اوامر حكام الولايات كما يساقون الى الحرب العامة عندما يتطلب الامر ذلك . وعموما كانوا يتميزون بدروهم الضعيفة واسلحتهم الفقيرة التي كان منها احيانا عدتهم الزراعية كالفاس .

وكان الجيش الساساني يعتمد فرقا من الشعوب المجاورة الحليفة وكانت فوائدهم في المعارك تفرق فوائد المشاة من الايرانيين ويحتمل ان بعض هذه الفرق كانت تستأجر من بعض الامم المجاورة لايران ، وكانت بعض هذه الفرق المساندة تحارب - راكبة اي كالفرسان الاساورة الايرانيين . وكانت للفرق راياتها المميزة كما كان لبعضها شارات خاصة كما كان للجيش علم اوراية في الحرب وكان لبقائها مرتفعة خفاقة اثر في نفوس المقاتلين .

وتبين لنا الصور والمنحوتات الساسانية الشيء الكثير عن اسلحة الساسانيين مثل الرماح والسيوف والخناجر ، ولكن يبقى القوس والسهم في مقدمة اسلحة الفرسان .

وتطور الساسانيون في استخدام آلات تهديم الاسوار والمجانيق والابراج المتحركة وعرفوا استخدام المواد المحرقة لصد آلات حصار اعدائهم .

وكان الملك عندما يصطحب الحملة يرفع على عرش يحيط به مجموعة من الخدم والحراس الراكبين والراجلين ومهمتهم الدفاع عنه حتى الموت ، وكان القائد العام للجيش يحمل على هذا العرش في حالة غياب الملك يراقب عن كثب سير المعارك ، وكان مجموعة من رجال الدين يصاحبون الجيوش . ومن اساليب الساسانيين العسكرية انهم لا ينسحبون امام العدو الا ويتلفون كل شيء خلفهم كحرق المزروعات او باغراق الارض ليجعلوا تقوم الاعداء اكثر صعوبة .

ومما يشير الى وجود جيش منظم بافراده وقيادته واسلحته هي الاشارات الى حفظ العدة العسكرية في اوقات السلم في مخازن خاصة للسلاح يشرف عليها موظف مسؤول كان عليه ان يكون مستعدا لتسليمها عند الطلب . كذلك كانت خيول الفرسان تحت رعاية خاصة كما نشير

علينا شروط وظيفة هي مؤدب الاساورة الذي كان يأخذ على عاتقه تعليم ابناء الاساورة حمل السلاح واصول الحرب ليعدهم اعدادا جيدا للحرب . وكانت الدولة تصرف على الجند والقادة مرتبات بالاضافة الى مأكلهم وملبسهم . كما يكافئون بعد الانتصار في المعركة .

ويبدو ان التقليد القديم الذي غيره كسرى أنوشروان كان يقضي ان يحارب الفارس دون جزاء وعليه ان يصرف على سلاحه من ماله الخاص .

كذلك تطورت اسلحة الجيش على عهد كسرى واصبح الفارس بالاضافة الى دروعه يحمل سيفاً ورمحاً وقوسين بوتريهما وثلاثين نشابة .

ونظرا للتطور الذي اصاب الجيش . وتوزيع مركز القائد العام الى اربعة رياسات فقد نال الفرسان على عهد كسرى حظوة كبيرة ، واصبح لرئيسهم مقاما رفيعا في بلاط الملك ، كما اصبح رئيس الفرسان واليا على اليمن بعد فتحها على عهد كسرى ويعود له الفضل في اعتماد الاسرى أو ابناء الامم المغلوبة في شؤون الحرب .

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية والتنظيمات الادارية

المبحث الاول : موقع ايران بالنسبة للتجارة العالمية :

شكلت ايران منذ القدم حلقة الوصل بين العالمين الشرقي والغربي ايام الساسانيين وبعد ان بلغت حدود الامبراطورية مسافات شاسعة تمتد من بلاد ما وراء النهر شرقا والى العراق غربا ومن سواحل بحر قزوين فأذربيجان وأرمينية شمالا والى كابل (افغانستان) وكرمان جنوبا ، ادر كنا خطورة موقع الامبراطورية ، حيث كان لزاما على التجارة العالمية التي تنتقل بين شطري العالم القديم الشرقي والغربي وسواء انتقلت بطرق برية او مائية ان تمر بالاراضي الايرانية ، ولا يخفى ما كان لهذا الامر من اهمية كبيرة على تطور الدولة الساسانية وازدهارها ، كما ان دور التجارة وطرقها يوضح ابعاد الكثير من المعارك الدامية التي خاضها الساسانيون لتوطيد سيطرتهم مثل حملاتهم على أرمينية وأذربيجان وبلاد ما وراء النهر واقليم خراسان ومناطق في شمال الهند واخيرا اليمن .

وايران الساسانيين بلاد مترامية الاطراف مختلفة التضاريس والخصائص الطبيعية لذلك شملت اقسامها مناطق تميزت بثرواتها الطبيعية كاشجار مناطق الجبال المثمرة او اشجار الاخشاب وقدرات بعض الاقاليم على الزراعة الواسعة كاقليم خراسان وسواحل بحر قزوين وبلاد مديا (شرق جبال زاكروس) واخيرا اقليم فارس وعبيلام . كما احتوت الارض الايرانية على كثير من الخيرات الطبيعية كالا حجار الجيدة مثل انواع المرمر والاحجار الكريمة مثل الفيروز والنحاس وغيرهم من المعادن .

لذلك شكلت ايران من خلال ثرواتها الذاتية ، بالاضافة الى استحواذها على مناطق

مجاورة تتميز بثروات معينة ، واخيرا بسبب حركة تجارة الترانزيت التي برز منها

في اواخر ايام الدولة الساسانية الخط التجاري الشهير المعروف باسم خط الحرير الذي يقدم من اقاصي الشرق من الصين صوب سواحل البحر الابيض المتوسط فلهذه الاسباب مجتمعة احتلت ايران في قديم تاريخها مكانة اقتصادية مرموقة وبسبب هذه القدرات الاقتصادية العالمية نجحت بعض التنظيمات السياسية ان ترقى الى مصاف الدول المعظمة والامبراطوريات في تاريخ العالم القديم ، مثال ذلك الامبراطوريتين الاخمينية ووريشتها الساسانية .

المبحث الثاني : الزراعة والصناعة والتجارة :

كانت الزراعة عماد الحياة الاقتصادية وركنها الاساسي في بلاد ايران ولا ادل على ذلك من ان اسم الموظف المالي الكبير في الدولة اي وزير المالية ، يفترن برياسة الضريبة العقارية اي ضريبة الارض ، كما بجب لفت الإنتباه الى الحركة التي هزت ايران من جذورها على عهد قباد ونقصد بها الحركة المزدكية تعرضت في مبدأ برنامجها الاصلاحي موضوع الارض وحالة العاملين عليها . كذلك فعلت الحركة المضادة للاصلاح المزدكي ونقصد بها اصلاحات كسرى أنوشروان معالجة موضوع الارض وما يتعلق بها من ملكية وضرائب .

واذا كان المجال هنا لا يسمح بالاسترسال في الحديث عن الزراعة ، ولكننا نقول بعض الحقائق الاساسية المتعلقة بالموضوع .

كانت الاراضي الزراعية قسمة ضيزى بين الغالبية العظمى من الشعب وبين الطبقة العالية . حيث كانت الاراضي مقسمة بين الملك وافراد الطبقة الارستقراطية من افراد الاسر السبع الرئيسية والنبلاء ، وكان الزارع الحقيقي يرتبط بالارض من خلال عبودية مطلقة لملكها او عبودية مخففة ترتبطة بالارض وهذا النوع هو الذي نعرفه باسم الاقطاع .

وكانت الدولة تجبي ضريبة الارض (الخراج) من خلال مجموعة من الموظفين المائنين الذين يرتبطون بوزير المالية او كبير الوزراء ، ولدينا اشارات كثيرة تشير الى فساد هؤلاء الجباة وقسوتهم مما اثقل الامر على كاهل الطبقات الفقيرة من الفلاحين . ويمكننا ان نستنتج ان ضرائب الارض التي شرعها كسرى أنوشروان كانت تجبي لصالح الخزينة يضاف اليها حصة مالك الارض نفسه ، حتى اننا نقرأ في بعض المآثر ان الفلاح كان يعاقب بقسوة اذا امتدت يده الى ثمار ارضه قبل تسديد ضريبة الملك وحصة سيد الارض ، ويبدو ان الحالة هذه خففت بعد ان حولت الضريبة الى نقدية وليس عينية .

وضح لنا من بعض الاشارات التاريخية التي قصد من وراء ذكرها الاشادة بالملوك واعمالهم الحسنة . مبلغ ثقل هذه الضرائب وعيائها القادح وبخاصة على سكان الاقاليم الزراعية الجيدة مثل العراق ، حيث عمد بعض الملوك لاجل استرضاء الشعب والتقرب اليهم ولكبت روح التمرد في نفوسهم مثلاً باعفاء الزارع عما تبقى بذهمتهم من ضرائب متراكمة ، ويروي أنها بلغت حوالي ٧٠ دينار درهم على عهد بهرام الخامس . ولم يكن الفلاحين ملزمون بدفع ضرائب الارض . وانما لفسرية الشخصية وجمع الاموال عند الملوك ، كوجود نقص في اموال الخزينة مع بدء حرب سعة وكذلك اعمال السخرة . اعتمدت الاعمال الزراعية الطرق بدفع البدائية في الحرث والبنار

والحصاد ، وإنما اصاب أراضي الملك بعض التطوير . وقد اهتم الملوك الساسانيون بشؤون الزراعة واستصلاح الاراضي وانشاء السدود ، ونعرف عن استخدام الاسرى ، وخاصة اسرى الشعوب المتقدمة في مثل تلك الاعمال كما فعل شابور مع اسرى الروم ، حيث اوكل اليهم مهمة بناء سد الامبراطور بين سوس وشوشتر .

وتكشف لنا الاعياد السنوية في ايران اهمية الزراعة في حياة المجتمع الايراني على عهد الساسانيين ، فمعظم الاعياد تتصل باعمال الزراعة ومواسمهم ، ولكنها اكتسبت بمرور الزمن صفة دينية واحيطت بمراسيم وشعائر ابعدها عن اصولها الحقيقية . وكان عيد رأس السنة النوروز الاشارة الى احتفائه ببعض خصائص عيد رأس السنة البابلية وخاصة فترته من اشهر السنة وموسمه الربيع . ويمكننا معرفة المزروعات الرئيسية من نظام ضرائب كسرى انوشروان فهي الحبوب كالحنطة والشعير والرز ومن الاشجار النخل والزيتون وكذلك البرسيم (علف الحيوانات) وتشتهر ايران ببعض مناطقها الرعوية التي تربت فيها اعداد كبيرة من حيوانات اللحم كالماشية مثل الغنم والماعز وكذلك الابقار ويمكننا ان نتصور الثروة الحيوانية في ايران من مشاهد الصيد الملكية التي تركت لنا في الاعمال الفنية ك انواع الغزلان والايائل وابقار وحشية وخنازير وبعض الحيوانات المفترسة كالاسود والذئبة والضبع في مناطق ايران .

الصناعة : ولم تكن شهرة الصناعة في ايران تضاهي الزراعة او التجارة ، ولكن على الرغم من ذلك فقد اشتهرت ايران منذ القدم بصناعة السجاد الفاخرة ولا تزال ليومنا الحاضر تعد الموطن الرئيسي لصناعة السجاد اليدوي الفاخر في العالم . وانواع السجاد كثيرة اغلاها المنسوج الحرير والمطرز بخيوط من الذهب والفضة . وكذلك اشتهرت ايران بصناعة الاقمشة الصوفية والحريرية وقد كانت المدن السورية الفينيقية مراكز رئيسية لصناعة الانسجة الحريرية بعد استيراد الحرير عبر ايران من الصين . لكن الملوك الساسانيين شجعوا قيام صناعة نسيج حريري في بلادهم للاستفادة من تجارة الحرير وصناعته ، واشتهرت مراكز النسيج الحريري في سوس وجند يسابور وشوشتر بانتاجها وبيدوا ان الاسرى الروم افادوا الايرانيين كثيرا في صناعة الحرير هذه . ومن المعاملات التجارية بين ايران وجاراتها عرفنا شهرة الكحل الايراني الذي كان طلب النساء الصينيات عليه كبيرا . كما برزت من صناعات الترف لقصور الملوك الكؤوس الفضية النفيسة الدقيقة الصنع المحلاة برسوم تمثل مشاهد صيد الملك او صور حيوانات وطيور او اشكال نباتية ، وقد بقي عدد لا بأس به من كؤوس الفضة هذه تتوزع الآن في المتاحف العالمية تشهد على قدرات عالية للفنان الايراني القديم .

التجارة :

لعبت ايران بسبب موقعها الجغرافي كما اشرنا في بداية الحديث ، دورا كبيرا في التجارة العالمية ، ويشهد على ذلك توزيع نقود الساسانيين الفضية والنحاسية في مناطق واسعة جدا . وكانت معظم التجارة تتبع طرقا برية ، ومن اشهر هذه الطرق الطريق الذي يربط العاصمة الساسانية المدائن بداخلية بلاد ايران ، بعد ان يسر بكرمانشاه وهمدان (اكبتانا الميذية) وعند همدان يتفرع هذا الطريق الرئيسي الى عدة فروع فيسير احداهم ضوب الجنوب ليخترق خوزستان (بلاد عيلام القديمة ثم يصل اقليم فارس وينتهي جنوبا على شواحل الخليج العربي عند (بندر عباس) حاليا وطريق آخر يواصل سيره من همدان ضوب الشمال الشرقي فيمر بتهران وينحاذي في سيره شواحل بحر قزوين خلال وادي كابل ليطل على شبه القارة الهندية ، ليرسي عبر التركستان الى اقصى الشرق ليصل الصين .

وكان الخليج العربي طريقا مائيا نشطا منذ عصور قديمة ، يصل بين العاصمة - المدائن على دجلة وبين الاقسام الجنوبية الشرقية لجزيرة العربية ، كما ان بضائعا وتجارة من الهند واقصى الشرق عرفت طريقها منذ فترات سابقة عبر المحيط الهندي الى البحر العربي ثم الخليج العربي ومنه عبر دجلة والفرات الى العاصمة المدائن . وكانت تجارة القوافل العربية مزدهرة في هذه الفترات التاريخية لذلك بذل الحكام الفرس جهودا كبيرة للسيطرة عليها من خلال حملاتهم العسكرية على مدن القوافل . وكانت تدمر والحضر ونصيبين من العقد التجارية الهامة بالاضافة الى كونها تمثل اطرافا للدولتين العظيمتين آنذاك الساسانية والرومانية . ان سيطرة الفرس على اليمن بالاضافة الى اسبابها الدينية والعسكرية تمثل بوضوح رغبة الفرس في السيطرة على منافذ الملاحة البحرية العالمية وقد كانت اليمن متطلقا لتجارة الشرق البحرية وتجارة الغرب البرية

(القوافل) بالاضافة شهرة منتجاتها وثرواتها ومن المواد الرئيسية في تجارة الترانزيت الفارسية الى الغرب هي الخزير الخام - الصيني ، وقد عمد الفرس في فترة لاحقة بتصنيعه في بلادهم والتحكم باسعاره ، مما دفع الدولة البيزنطية من اجل كسر احتكار الفرس لصناعة الخزير ، ان تتعلم غرس اشجار التوت في بلادها فاستغنت عن استيراده من ايران وغيرها . ولما شهدت تجارة المروز (الترانزيت) الايرانية نقل بضائع شرقية الى الغرب ، فان كثيرا من البضائع الغربية وجدت طريقها الى الصين في الشرق ولاجل تنظيم مستلزمات التجارة ، عنى الفرس الساسانيون برصف الطرق واقامة الحراسة عليها وبناء محطات الاستراحة وتزويدها بالخيول والموظفين . وكانت هذه الطرق بالاساس تخدم حركة الموظفين الحكوميين والبريد

الملك الذي بواسطته تم مسك زمام الامور في ارجاء الامبراطورية بيد قوية . مما يشهد على تطور التجارة واعمالها ، وخاصة الاعمال المصرفية ظهور ما يسمى بالحوالات (الكمبيالات) في هذه الفترة . وقد لعبت مؤسسات اليهود المالية في بابل دورا في المعاملات المصرفية .

الفصل الثالث

الديانة

المبحث الاول : نبذة عن الافكار الدينية الايرانية القديمة .

عرفت بلاد ايران افكارا دينية تسربت اليها من عصور ما قبل التاريخ وكان
الافكار الدينية على الرغم من اشتراكها في الخطوط العامة لكنها تتميز بعضها عن بعضها تبعا
لانفصال اقاليمها والشروط الحياتية الخاصة بكل اقليم .
وتعرف الديانة القديمة في ايران باسم الديانة (المزدية) ، حتى ظهر في حدود القرن
السابع ق . م . رجل يعرف باسم زرادشت او زراثشتر كما ورد في كتاب افستا دعا لـديانة
مزدية معدلة مطورة عربت نسبة اليه باسم الديانة الزرادشتية . ونظن ان زرادشت
ولد في اذربيجان شمال غرب ايران ولكنها انتشرت ولاقت قبولا واسعا اول الامر في مقاطعات
ايران الشرقية في نواحي بلخ حيث هاجر اليها زرادشت وكان لحسن العلاقة بين زرادشت وبين
امراء المقاطعة اثرا كبيرا في انتشار مذهبه حتى عم جميع البلاد . وقد قتل زرادشت
في احدى الغارات التي قامت بها شعوب آسيا - الوسطى على الحدود الشرقية للمملكة الفارسية
وبعد وفاته اقترن التبشير بالزرادشتية ومعرفة رسومها وشعائرها بطائفة من الايرانيين عرفوا باسم
المجوس وهم الذين اصبحت المناصب الدينية حكرا عليهم ولكن القرآن الكريم والعرب اطلقوا
لفضة مجوس على اتباع الدين الزرادشتي عامة . وكلمة مجوس معربة عن كلمة مكوسيا
البهلوية ، وهي في الفارسية القديمة مكوش ، وفي لغة الافستا مكاو ، وفي الفارسية الحديثة ،
باسم مع ، ومع لقب كان يلقب به رجال الدين القديم في ايران قبل زرادشت وقد تسرب
كثير من عقائدهم الى الزرادشتية كتقديس العناصر الاربعة (النار والتراب والماء والهواء) . وقد
اشتهرت طائفة رجال الدين هؤلاء باعمال السحر والاتيان بغرائب الأمور ، وهذه الشهرة هي
السبب في ان كلمة مع اقترنت في اليوناني بمعنى السحر والشعوذة ومنها اتت كلمة
(**Magicien, Magic**) في اللغات الاوربية الحية والزرادشتية تدعو الى
العمل الطيب والقول الطيب والفكر الطيب وابعض ما تراه - الكذب ، كما ترى في المواقع
الاقتصادية للناس مواقع اذلية يجب عدم تبديلها أي انها حكمت بالمبدأ الطبقي للمجتمع
والذي يجب عدم تخطيه وقد اصاب الزرادشتية تحول خطير بعد ان تبناها ذارا الاول واعتمدها

بارسميا للدولة ، ويروي ان ويشناسب او هيشتاسبيس والد دارا كان من اول انصار زرادشت .
 لك شاعت الزرادشتية في ارجاء الامبراطورية الفارسية الاولى (الاخمينية) واصبحت
 دينا للكتاب المقدس في الزرادشتية دستور القضاء وتنظيم العلاقات الخاصة بين الناس .
 ولكن الديانة الزرادشتية اصبحت ببعض التحليل اثر زوال حكم الاخمينيين السياسي
 اثرت الثقافة اليونانية وزعيمتها الفلسفة في مجمل الفكر الايراني على العهد السلوقي والبارثي ،
 على الرغم من كون الزعماء البارثيون كانوا زرادشتيين لكنهم لم يغيروا شأن الدين اهمية كبيرة
 لم يعرف عنهم التعصب للزرادشتية ، فبقيت كثير من المقاطعات في الدولة البارثية تعيش
 مركزية في ادارتها ودينها وبلدوا بعض ملوك الدوائف الآخرين (ولجاشن البارثي) ادرك
 للدين من اهمية في تلافي تداعي المملكة وتوحيد الناس وشجدهمهم ، لكن التنفيذ الحقيقي
 عادة هبة الدين الزرادشتي ليران وربطه بشؤون الملك ثم على عهد اردشير الملك الساساني

بحث الثاني : الزرادشتية والحركات الدينية المناوئة

فكان ثاني امر خطير تداركة اردشير بعد ان فرغ من تصفية خصومه ونشر لواء سلطانه
 بران ، ان توجه ضوب الدين لأحياءه وليتخذ منه سنداً في حكمه . فمن رأيه ان الدين
 توأمان لا استغناء لأحدهما عن الآخر . فأمر كبير الموابذة على عهده تنسيران يجمع نصوص
 تا وشروحه . والمعروف ان الاسكندر عمد الى حرق اقسام من كتاب الزرادشتيين المقدس
 معاف معنويات الفرس وثشتيت وحدثهم وجعل هذا الكتاب الذي جمعه وصنّفه تنسراساسا
 زرادشت الذي اصبغ الدين الذي يدين به الملك والشعب والمجوس ان الافستا هو الكتاب
 ي لزرادشت ، وهو مجموعة مؤلفة من خمسة اجزاء او كتب مستقلة يختلف تاريخ
 لها واقدم قسم منه يرجع الى عصر زرادشت نفسه وهويشتمل على اقواله وتعاليمه التي جمعها
 بعده تلاميذه واتباعه الاولون وهونوها . ثم اضيف اليها ما وضعه فقهاء الزرادشتية القدامى
 الاحكام والتقاليد الدينية وهكذا استكمل بالتدريج اقسامه الخمسة وظهر بشكل كتاب ديني
 كان ولا يزال معول القوم في عبادتهم واحكام دينهم . اما تاريخ تدوين افستا فلا يعرف
 الا ان من المعلوم ان كتاب افستا كان مكتوباً على عهد الدولة الاخمينية وكانت توجد منه
 ثمان احداهما محفوظة في مخزاة الملك باصطخر عاصمة البلاد التي تقوم خرائبها
 في جنوبي ايران قرب مدينة شيراز ، والثانية في بيت النار الكبيرى بمدينة شيراز بأذربيجان
 زرادشت . ولكن كثيراً من فصوله واجزاءه تبعثرت عقب حملة الاسكندر واصبح الكتاب

الجديد الذي جمعه تنسر ابان العهد الساساني يضم حوالي (٣٤٨) فصلا وهو يعادل ثلث الكتاب الاصيلي فجعلوه اسما للدين زرادشت

وكان المجوس وهم الفئة المهيمنة على شؤون الدين الزرادشتي وقد اختلفت فيما بينها وتفرقت في شؤون دينها ، فعقد لهم مجمعا دينيا اختار من بينهم سبعة موابدة وجعل لهم رئيس هو الموبدان موبذ ووزعهم على انحاء الامبراطورية . وكانت لغة الاوستا قد اصبحت قديمة صعبة التداول والفهم . فندب بعض رجال الدين بوضع شروح وتفسيرات لها فكان ذلك التفسير الثاني بعد تفسيرات زرادشت نفسه لكتابه المعروف باسم زند فسمي التفسير الجديد بالزند ، ، (١)

وهكذا اصبحت فكر الدولة الرسمي قولا وعملا وكانت فكريا تخدم مصالح العائلة المالكة والارستقراطية الكبيرة في المجتمع الايراني . كما نال المجوس من رجال دين الزرادشتية مكانه مرموقة وامتيازات لاحصر لها على العهد الجديد .

وقد شهد المجتمع الايراني حركات فكرية ذات طابع ديني على عهدي شاپور الاول وقباذ تمثلت الاولى في الديانة المانوية في حركة مزدك وتعاليمه ذات الطابع الاجتماعي الاقتصادي . وعلى الرغم مما تركته هاتين الحركتين في مجمل التطور الفكري لايران لكن الزرادشتية بقيت الدين الرسمي للدولة الساسانية حتى اواخر ايامها .

ومثلما أثرت المانوية والمزدكية ، اثرت الديانة المسيحية في الفكر الايراني تأثيرا بليغا ، وانعكست الصراعات الفكرية بين المسيحية والزرادشتية على صور اضطهادات دامية تعرض لها المسيحيون الايرانيون في بعض فترات التاريخ الساساني .

وكان جل الصراع الفكري بين الزرادشتية والديانات الاخرى يخفي وراءه مصالح الحاكمين الذين تدعمهم الزرادشتية بفكرها وبيّن مصالح الطبقات الاخرى الذين وجدوا في تعاليم الديانات المعارضة سبيلا لاعتناقهم من تسلط الطبقات الحاكمة وجورها . ولكن حكمه التطور قضى تدريجيا على عنفوان الزرادشتية ، وكان كسرى انوشروان الذي بدأ في مطلع حكمه كزرادشتي متعصب ، كان من اول مشجعي المناهضة الفكرية الدينية بين رجال الدين الزرادشتي وبين اساقفة المسيحية كما شجع الفلسفة والعلوم وفي ذلك كله تخريب الاساس الفكري الزرادشتي . وبلغ الامر من اضطراب مواقع الزرادشتية حتى تركها بعض رجالها مثل الموبدان بزرجمهر . وقد اظهر بعض الذين ترددوا في ترك الزرادشتية ، اضطرابهم وقلقهم الذي قادهم

١ - تراجع احدث دراسة عن الزرادشتية المصدر التالي : الدكتور محمد مهدي : زرادشت وأصول الديانة الزرادشتية ، الدراسات الادبية : : اصدار قسم اللغة الفارسية في الجامعة اللبنانية . السنة الرابعة الاعداد

٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ص ١١٧ - ١٣٨ .

الى طريق تشاؤمي في نظرهم الى الحياة والواقع ، وكان ذلك حال الفيلسوف الايراني ورجل الدين الزرادشتي برزويه وربما يكون في الاسطر التالية التي نقبسها على لسانه مثلاً يوضح المكانة التي بلغت الزرادشتية من نفوس بعض المفكرين ، فلما وقع ذلك في نفسي اشتبه علي امر الدين . اما كتب الطب فلم اجد فيها شيء من الاديان ذكراً يدلني على اهداها واصوبها واما الملل فكثيرة ليس منها شيء الا وهو على ثلاثة اصناف قوم ورثوا دينهم عن اباائهم وآخرون اكرهوا عليه حتى ولجوه فيه وآخرون ينتفون الدنيا وكلهم يزعم انه على صواب وهدى وان من خالفه على خطأ وظلالة والاختلاف بينهم كثير في امر الخالق والخلق ومبتدأ الامر ومنتهاه وما سوى ذلك ؟ ومن مؤشرات ضعف الزرادشتية في اواخر ايام الدولة الساسانية ، انتشار المسيحية في ايران وازدهار كنائسها وأسقفياتها ، حتى لقب ملك ايران كسرى أبريز بالملك النصراني بسبب تشجيعه اياهم ومنحهم الحرية الكاملة . وليس خاف على احد ما لاهمية انتشار الديانة المسيحية في ايران اثر في انتشار الاسلام الذي يتفق مع المسيحية في فكرته الاولى وهي التوحيد . وهكذا تحولت عقوبة الاعدام بحق من يخرج عن دينه ويكفر بتعاليمه على عهد الاكاسرة الاوائل الى عقوبة اخف بكثير ابتداء من عهد كسرى أنوشروان لا تتعدى الحبس مع الارشاد بعدد المدة التي دينه ثم يبلغ الامر اخيراً بارتداد بعض رجال الدين عن دينهم مثل بزرجمهر الذي ذكرناه سابقاً .

ويظهر الديانة الاسلامية وانتشارها في ايران اخذ ظل الزرادشتية بتقلص بالتدرج واصبح الزرادشتيون فئة ضئيلة الشأن قليلة العدد في اواخر القرن الاسلامي الاول ، وبعدها ، اخذت فئات من الذين احتفظوا بدينهم القديم يهاجرون الى المناطق الشرقية ، ثم هاجروا من هناك صوب الصين والهند ولا تزال جالية الزرادشتيين في الهند محافظة على ديانتها وطقوسها ويقرب عددها من ١٨٠٠٠٠ نسخة يعرفون باسم پارسي ، كما توجد في ايران جالية زرادشتية ايضا

ولكنها قليلة العدد تنتشر في اطراف مقاطعة كرمان وفي طهران ولها كامل الحقوق الدينية . نكتفي بهذا القدر من الحديث عن الزرادشتية ، كما نكتفي بما اشرنا اليه في حديثنا من عهدي سابور وقياد الذي ضمناه حديثاً عن المانوية والمزدكية ، قاصدين من وراء ذلك اعطاء صورة سريعة لديانة ايران على العهد الساساني .

الفصل الرابع

اللغة والكتابة (١)

المبحث الاول : اللغة الايرانية

ترجع معلوماتنا عن اللغة الايرانية الى المخلفات المدونة القليلة التي تبدأ مع عهد دار من اواائل العهد الاخميني ، وبخاصة تسجيلاته التذكارية في نص بهستون قرب كرمنشاه . فهي وغيرها من النصوص الايرانية القديمة تمثل مصادرنا الوحيدة لمعرفة اسرار اللغة الايرانية القديمة .

اما عن اللغة الايرانية قبل العهد الاخميني ، فالصعوبة في اقتنائها أكبر بسبب نـسـد المـصـادر ، واضطرار الباحثين للاعتماد على دراسات لغوية مقارنة في بقايا اللغات الهند واورية التي تنتسب اليها اللغة الايرانية ، ولا يسعنا في هذه المقدمة الا ان نؤكد انه على الرغم من الدراسات الكثيرة التي تصدت لموضوع اللغة الايرانية في عصورها القديمة لكن الموضوع لا يزال في بدايته ويكتفه الغموض والتعقيد من جوانب عديدة . ولكل لغة لهجات تملحها ضرورة التطور التاريخي وتباعد الشقة بين الناطقين بها مع كثير من العوامل البيئية المتمايزه . وينطبق ذلك على اللغة الايرانية .

ففي الاقليم الجنوبي الغربي من ايران ، الاقليم الذي سماه اليونان (فارس) عاشت اللغتان الميديه والفارسية ايام الاسرة الفارسية الاولى وتقصد بهم الاخمينيين ثم اعقبتهم اللغة الفرثية على عهد الاسرة الاشكانية . ثم شهد الاقليم نفسه انتشار لغة على عهد الدولة الساسانية في القرن الثالث الميلادي وهي فارسية الساسانيين التي تعد وريثة الفارسية القديمة الاخمينية بعد ان امترجت بعناصر لغوية فرثية من الشمال وصغدية من الشمال الشرقي . ولم تسلم اللغة الفارسية الساسانية من تأثير لغة غزيرة المادة والمفردات هي العربية ، حيث تبيين من الايرانية الحديثة المعاصرة امتزاج عناصر هذه اللغات الأربع ، حيث نستطيع ان نفرز بينها من خلال الدراسة اللغوية الدقيقة . وبخصوص التأثيرات التي تعرضت لها اللغات الايرانية ، نشير الى اللغة الأرامية ، وهي من اللغات السامية ، حيث شاع استعمالها منذ

(١) نجيل القارى لمعرفة تفصيلات اوسع عن اللغات الايرانية وصلاتها فيما بينها ومراحل تطورها كذلك مرحل

تطور الفارسية الساسانية وسليتها الحديثة وتأثيرها وتأثيراتها الى المرجع التالي (تراث فارس بإشراف ابري
الفصل الثامن ص ٢٢٣ - ٢٥٧ القاهرة - ١٩٥٩

كذلك : ارثر كريستن : ايران في عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧ ص ٣١ فما بعد .

تراث قديمة في اجزاء واسعة من اسيا الصغرى ، كما اننا نعرف انها كانت لغة الدواوين الملكية الأخمينية . وكذلك ترك الخط الارامي أثره الكبير في تاريخ ايران القديم لانه بسبب سهولة التعبير الواضح والسهل والسريع عن طريق المسمارية التي كتب بها الاخمينيون وهو الخط الذي قُبِسَوه عن المسمارية العراقية ، انتقلوا في خط كتابتهم الى الخط الابجدي الارامي وما الخط بهلوي الا صورة مستقاة من الأبجدية الأرامية . لذلك فقد كان لانتشار اللغة والخط الاراميين اثرهما البارز على اللغة الايرانية .

كذلك بلغ تأثير الأغريق ثقافة ولغة وكتابة شاؤا بعيدا على عهد الملوك الاشكانيين ، حتى تلقب بعض ملوكهم بالقباب يونانية وعند مطالعة النصوص الاخمينية القليلة ومقارنة مفرداتها باللغة الابرائية الحديثة ندرك بوضوح مبلغ التطور الذي اصاب الابرائية خلال معصور مع محاولة محافظتها على الاصل . اما عن سبب كثرة الألفاظ العربية في النصوص معاصرة ، فسببها تقريب اللغة من أذان السامعين ومنحها حرية التعبير السريع ، لأنه باستطاعة الكاتب ان يدون دون الاعتماد على الفاظ ومفردات عربية ، لكنه بحكم التطور وطبيعة الحياة تكون المفردات اقوى تأثيرا اكثر الكاتب المعاصر من المفردات العربية .

ومن بين ملامح التطور الحديث للغة الابرائية اختصار مقاطع الكثير من المفردات

فمثلا اختصرت عبارة أقمها رادي ومعناه (له) الى (اورا) في الفارسية الحديثة وتشكل بعض نصوص الأوستا القديمة المتبقية مادة مهمة في دراسة اللغة الابرائية شاف الى النصوص السابقة . وبسبب التشابه الكبير بين كثير من الالفاظ والمفردات وحالات عمل في ازماته المختلفة ، بين الهندية القديمة والابرائية القديمة ، ساعد من دون شك على دراسة اللغة الابرائية وثم معرفة الصلة بين الهندية والابرائية ، واشترائهما في الاصل بحيث يتعين في دراسة احدهما بالآخرى وصولا الى الاصول الاولى للغة الهند واوريية

كما تساعد النصوص التي وصلتنا من عهد ايران الوسيط ونقصد به الفترة الممتدة بين نهاية الدولة الاخمينية وبداية الاسلام ، تساعد هذه النصوص سواء كانت الفارسية او الفريية التي تتمثل في الكتابات الملكية وما تركه اتبع زرادشت وماني ، واحيانا من تركة اتباع الكنيسة بتلك اللغة ، تساعد جميعها في معرفة تفصيلية باللغة الابرائية . ففي نصوص مانوية ثبت باللغة الفارسية البحتة مع استثناء بعض المصطلحات التي احتلتها الكتابة السريانية بخط عصر ماني) وكذلك النصوص المانوية الفريية البحتة تعكس الطابع الابرائي البحت للغة . على الرغم من كثرة المصادر التي تتيح لنا دراسة اصول اللغة الابرائية ، لكننا لانزل نجابه كثير من الصعوبات امام بعض المواد من النصوص الزرادشتية (البهلوية) .

وترجع اسباب هذه الصعوبة الى خط تدوين البهلوية (النصوص الزرادشتية) فهي على

الرغم من اعتمادها صور الحروف الابدجية الآرامية ، لكنها اختصرت من (٢٢) حرف ساكن في الآرامية الى (١٤) حرف ساكن في البهلوية كما احدث بعض التغيير في شكل الحرف الهجائي الارامي ، ففي النصوص البهلوية حروف ساكنة يمكن قراءتها بطرق مختلفة وبالتالي يضطر الباحث للاستعانة بأدلة وشواهد خارجية لمعرفة حركة الحرف المقصود في كل حالة .

وتنشأ الصعوبة الثانية في قراءة هذه النصوص من اعتمادها طريقة تسمى (هزوارشن) التفسير استخدام الفاظ ارامية بجثة في الكتابة ولكن عند القراءة تقرأ بالفاظها الايرانية مثلا يكتب (بسرا) وتقرأ (كوشث) بمعنى لحم . وقد تركت هذه الطريقة اثارها في بعض النصوص الصغيرة وبخاصة في النصوص البوذية ، بعكس ذلك فان كافة النصوص المانوية سواء منها بالفارسي او الفارسي تخلو من هذه الطريقة .

ان الفارسية والفريزية لهجتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا وهما قريبتان من الفارسية الحديثة ويعرفان بالبهلوية الساسانية التي هي لغة الكلام في الجنوب الغربي لایران (فارس) وكانت ايضا اللغة الرسمية على عهد الساسانيين ، واللغة الاخرى هي البهلوية الاشكانية وهي اللغة الرسمية للملك الاشكانيين وتمثلها اليوم مجموعة من اللهجات العامة تنتشر في ولايات بحر الخزر واقاليم كاشان واصفهان وجرجان . وفي التوزيع الجغرافي تعرف الاولى بلغة الجنوب الغربي والثانية بلغة الشمال او الشمال الغربي . ولكن اللغتين الصغدية والخنتية تمثلان صورتين مختلفتان عن ذلك كثيرا . ويتم الاعتماد في التوصل لقراءة النصوص الصغدية ، على اللغة

الصغدية الحديثة التي يجري الحديث بها في وادي يغناپ ، (يغنوب في بامير) ، واهنية الصغدية الحديثة بالنسبة للقديم ، كأهمية الفارسية الحديثة التي سبقتها ويرى بعض الباحثين ان الصغدية كانت شائعة الاستعمال مع بدايات العصر المسيحي في بلاد تمتد من حائط الصين حتى سمرقند ، وكانت لغة دولية لفترة طويلة في اسيا الوسطى ، وعن طريق هذه اللغة انتقلت الكتب المانوية والبودية الى الشعوب التركية .

ولكن لم يعرف ما يمثل اللغة الخنتية (١) التي ترجع احدث نصوصها الى القرن العاشر الميلادي - في الوقت الحاضر .

ان اللغة الصغرية في اصول الفاظها ايرانية ، ولكنها ابتعدت بمرور الزمن بسبب التطور الذي اصاب اللغة الايرانية الغربية ، حتى بلغ البعد بينهما ان الصغد احتاجوا كتباً لغوية لشرح الكلمات الفارسية والفريزية في نصوصهم المقدسة .

(١) وهي لغة كانت سابقا لغة الحديث في مملكة ختن التي تقع في جنوب غربي كاشغر . ولهذه اللغة مرحلتين مميزتين ابوضوح احدهما اقدم من الاخرى .

ومن اللغات القريبة العلاقة باللغة الصغدية - اللغة الخوارزمية ، لكننا لا نعرف الكثير عنها سوى انها ترجع الى القرن الحادي عشر الميلادي .

ولكن على الرغم من ذلك ، فان كثيرا من التشابهات قائمة بين اللغتين الايرانية والصغدية وخاصة في بعض الالفاظ وهذا يشير الى اصول المشتركة لكل من اللغتين . ونورد في ادناه تفصيلا ملخصا للغات الايرانية في مراحلها المختلفة مع المصادر التي تخلفت لنا لما عن كل لغة .

(١) العصر الاقدم او الايرانية القديمة وتمثل في :

أ - الفارسية القديمة في نقوش وكتابات الاخمينيين .

ب - المبدية التي بقيت منها اسماء اعلام وبعض الكلمات في النصوص الآشورية واليونانية والفارسية القديمة .

ج - النصوص الأوستية . ويرجح ان يكون اقليم خوارزم موطنها الاصلي .

(٢) العصر الوسيط او الايرانية الوسيطة . وتمثل في :

أ - نصوص فارسية فرثية من فارس الساسانية وآسيا الوسطى .

ب - نصوص صغدية من آسيا الوسطى وفي الجبال الواقعة قرب سمرقند الخوارزمية .

وجائنا ايضا مقتطفات منها في مخطوطات عربية فقهية وتاريخية ترجع الى القرن الحادي عشر الميلادي .

ج - نصوص ختية من ختن في آسيا الوسطى دونت في الفترة الواقعة ما بين القرنين الرابع والعاشر الميلاديين .

(٣) المرحلة الحديثة او الايرانية الحديثة وتمثل في :

أ - الفارسية وهي اللغة الشائعة في فارس وقد دخلتها الكثير من العناصر الفرثية والصغدية .

ب - الكردية في فارس والعراق وتركيا

ج - البلوخية في بلوچستان

د - البشتوية لغة أفغانستان الرئيسية

هـ - الوكهية وغيرها من لغات جبال البامير

و - الصغدية الحديثة وهي لغة الحديث في وادي يغنا ببالقرب من سمرقند .

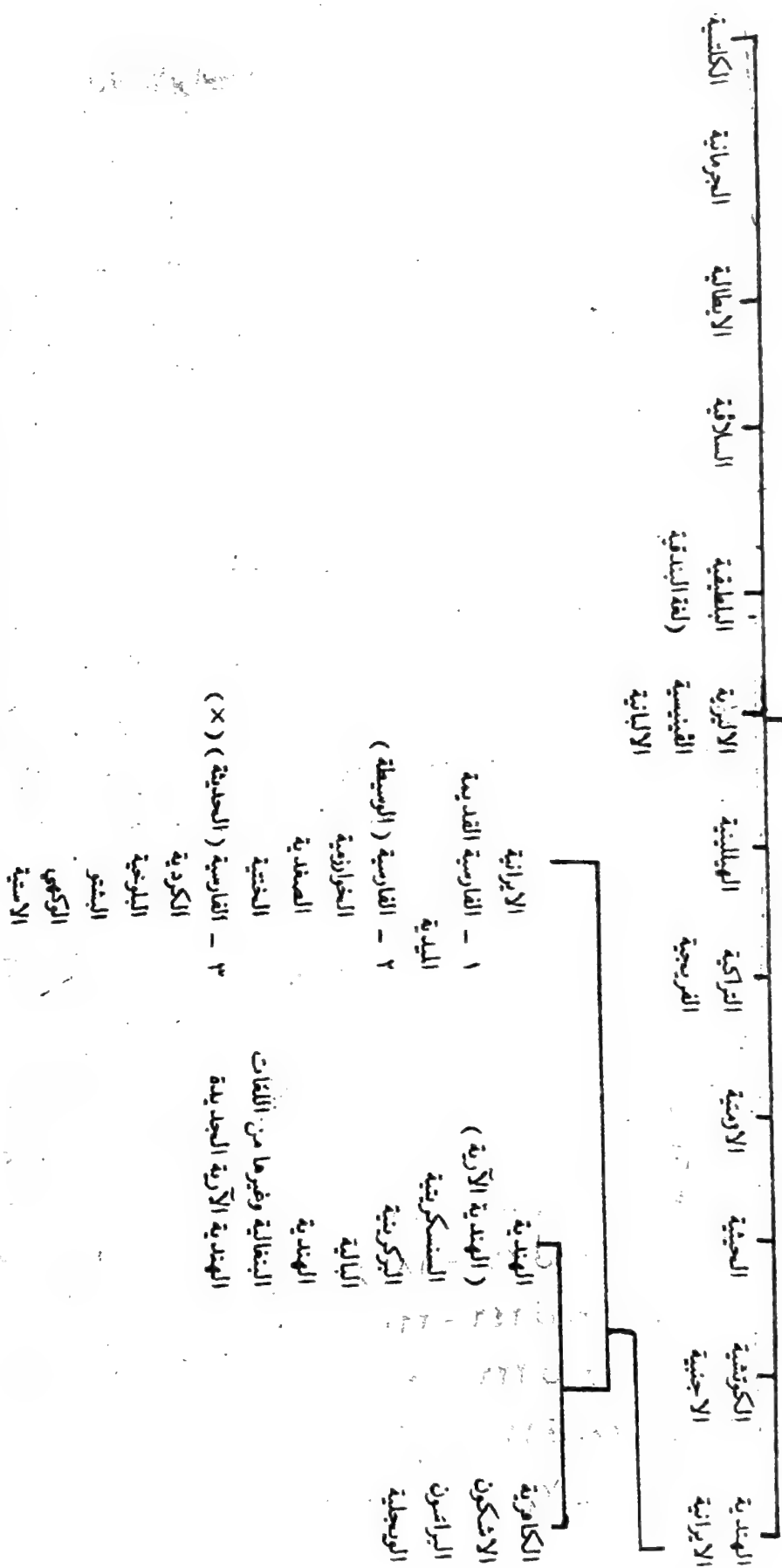
ز - الأستية ويجري الحديث بها في القوقاز .

يضاف الى ذلك لهجات محلية عديدة يتحدث بها في فارس واذريجان السوفيتية

وأتماماً للفائدة نثقل في أدناه مخططاً يبين أصول اللغة الفارسية وعائلتها ولهجاتها ونعدد

فروعها .

ایمان و تقویٰ



(x) لقد حرصنا النظر في الحديث عن اللغة الايرانية استعراض تطورها ولهجتها في الايرانية الحديثة لانها ترتبط بدراسة تاريخ ايران في المصدر الاسلامي ، وهو خارج نطاق هذا الكتاب .

سلاسل الملوك الايرانيين

١ - الملوك الاخمينيون :

١ - كورش الاول	(٦٤٠ - ٦٠٠ ق . م)
٢ - قمبيز الاول	(٦٠٠ - ٥٥٩ ق . م)
٣ - كورش الثاني	(٥٥٩ - ٥٣٠ ق . م)
٤ - قمبيز الثاني	(٥٢٩ - ٥٢٢ ق . م)
٥ - بارديا	(٥٢٢ ق . م)
٦ - دارا الاول	(٥٢١ - ٤٨٦ ق . م)
٧ - اخشورش الاول	(٤٨٥ - ٤٦٥ ق . م)
٨ - ارتخششتا الاول	(٤٦٤ - ٤٢٤ ق . م)
٩ - دارا الثاني	(٤٢٣ - ٤٠٥ ق . م)
١٠ - ارتخششتا الثاني	(٤٠٢ - ٣٥٩ ق . م)
١١ - ارتخششتا الثالث	(٣٥٨ - ٣٣٨ ق . م)
١٢ - ارسيس	(٣٣٧ - ٣٣٦ ق . م)
١٣ - دارا الثالث	(٣٣٥ - ٣٣١ ق . م)

٢ - الاسكندر الكبير والسلوقيون :

الاسكندر الكبير (٣٣٦ - ٣٢٣ ق . م)

الملوك السلوقيون .

١ - سلوقس الاول نيقاطور	(٣١١ - ٢٨١ ق . م)
٢ - انطيوخس الاول سوتر	(٢٨١ - ٢٦٠ ق . م)
٣ - انطيوخس الثاني ثيوس	(٢٦٠ - ٢٤٦ ق . م)
٤ - سلوقس الثاني	(٢٤٥ - ٢٢٦ ق . م)
٥ - سلوقس الثالث سوتر	(٢٢٥ - ٢٢٣ ق . م)
٦ - انطيوخس الثالث	(٢٢٢ - ١٨٧ ق . م)

- ٧ - سلوقس الرابع (فيلوقاطر)
 ٨ - انطيوخس الرابع (أبليقانس)
 ٩ - انطيوخس الخامس
 ١٠ - ديمتريوس الاول (سوتر)
 ١١ - الاسكندر بلاس
 ١٢ - ديمتريوس الثاني (نيقاطور)
 ١٣ - انطيوخس السادس (ديونيسيرس)
 ١٤ - انطيوخس السابع (سيدنيس)
 ١٥ - سلوقس الخامس
 ١٦ - انطيوخس الثامن
 ١٧ - سلوقس السادس
 ١٨ - انطيوخس الحادي عشر
 ١٩ - قليب الاول
 ٢٠ - ديمتريوس الثالث
 ٢١ - انطيوخس الثاني عشر
 ٢٢ - انطيوخس التاسع
 ٢٣ - انطيوخس العاشر
 ٢٤ - انطيوخس الثالث عشر
 ٣ - الملوك القرثيون (الارشاقيون)

(السنة الاولى من العهد القرثي = ٢٤٧ ق . م)

- ١ - ارشاق
 ٢ - تيريداتس الاول
 ٣ - ارطبان الاول
 ٤ - فريافا طوس
 ٥ - فراهاطيس الاول
- (٢٤٨ - ٢٥٠ ق . م)
 (٢٤٨ - ٢١١ ق . م)
 (٢١١ - ١٩١ ق . م)
 (١٩١ - ١٧٦ ق . م)
 (١٧٦ - ١٧١ ق . م)

(١٧١ - ١٣٨ ق. م.)

(١٣٨ - ١٢٨ ق. م.)

(١٢٨ - ١٢٤ ق. م.)

(١٢٣ - ٨٨ ق. م.)

(٩١ - ٨١ ق. م.)

(٨٠ - ٧٦ ق. م.)

(٧٦ - ٧٠ ق. م.)

(٧٠ - ٥٧ ق. م.)

(٥٧ - ٥٤ ق. م.)

(٥٧ - ٣٧ ق. م.)

(٣٧ - ٢ ق. م.)

(٣٠ - ٢٥)

(٢ ق. م. - ٤ م.)

٤ - ٦ م

٨ - ١٢

١١ - ٣٨

٣٦

٣٧

٣٨ - ٥١

٣٩ - ٤٧

٥١

٥١ - ٧٨

٧٨ - ١١٥

٨٠ - ٨١

١٠٩ - ١٢٨

١١٧

١٠٦ - ١٤٧

١٢٨ - ١٤٧

١٤٨ - ١٩٢

٦ - مثيرداتس الاول

٧ - فراهاطس الثاني

٨ - ارطبان الثاني

٩ - مثيرداتس

١٠ - جوارر الاول

١١ - اورود الاول

١٢ - سناطرق

١٣ - فراهاطس الثالث

١٤ - مثيرداتس الثالث

١٥ - اورود الثاني

١٦ - فراهاطس الرابع

١٧ - تيريداتس الثاني

١٨ - فراهاطاسس

١٩ - اورود الثالث

٢٠ - اونون الاول

٢١ - ارطبان الثالث

٢٢ - تيريداتس الثالث

٢٣ - كينامس

٢٤ - جوتارز الثاني

٢٥ - وردان

٢٦ - اونون الثاني

٢٧ - ولغاش الاول

٢٨ - فاقور الثاني

٢٩ - ارطبان الرابع

٣٠ - خسرو (اوسرويس)

٣١ - فرتما سقاتس

٣٢ - ولغاش الثاني

٣٣ - مثيرداتس الرابع

٣٤ - ولغاش الثالث

٢٠٧ - ١٩١	٣٤ - ولغاش الرابع
٢٢٢ - ٢٠٧	٣٦ - ولغاش الخامس
٢٠٨ - ٢٢٦ م	٣٧ - ارطبان الخامس
	٤ - الملوك الساسانيون

٢٤١ - ٢٢٤	١ - اردشير الاول
٢٧٢ - ٢٤١	٢ - شابور
٢٧٣ - ٢٧٢	٣ - هرمزد الاول
٢٧٦ - ٢٧٣	٤ - بهرام الاول
٢٩٣ - ٢٧٦	٥ - بهرام الثاني
٢٩٣	٦ - بهرام الثالث
٣٠٢ - ٢٩٣	٧ - نرسي
٣٠٩ - ٣٠٢	٨ - هرمزد الثاني
٣٧٩ - ٣٠٩	٩ - شابور الثاني
٣٨٣ - ٣٧٩	١٠ - اردشير الثاني
٣٨٨ - ٣٨٣	١١ - شابور الثالث
٣٩٩ - ٣٨٨	١٢ - بهرام الرابع
٤٢٠ - ٣٩٩	١٣ - يزدجرد الاول
٤٣٨ - ٤٢٠	١٤ - بهرام الخامس
٤٥٧ - ٤٣٨	١٥ - يزدجرد الثاني
٤٥٩ - ٤٥٧	١٦ - هرمزد الثالث
٤٨٤ - ٤٥٧	١٧ - فيروز
٤٨٨ - ٤٨٤	١٨ - بالاش
٤٩٧ - ٤٨٨	١٩ - قباذ الاول
٤٩٩ - ٤٩٦	٢٠ - مغتصب العرش
٥٣١ - ٤٩٩	٢١ - قباذ الثاني

1911

1912

1913

1914

1915

1916

1917

1918

1919

1920

1921

1922

1923

1924

1925

1926

1927

1928

1929

1930

1931

1932

المراجع العربية

- أرثر كريستنسن : ابران في عهد الساسانيين . ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧
 أريرى : تراث فارس . القاهرة ١٩٥٩ .
 عهد اردشير : تحقيق وتقديم د . احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٦٧
 كتاب تنسر : ترجمة د . يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٦ .
 و. و. تارن : الاسكندر الكبير قصته وتاريخه ترجمة زكي على القاهرة ١٩٦٣ .
 ابن النديم : كتاب الفهرست مكتبة خياط بيروت .
 طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (جزاء) بغداد ١٩٥٤ .
 موريوس كروزيو : تاريخ الحضارات العام (مترجم) دار عويدات بيروت
 حمزة الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض والانباء .
 ياقوت الحموي : معجم البلدان : دار صادر بيروت ١٩٥٦ .
 فزاد سفر ومحمد علي مصطفى : الحضرة مدينة الشمس - وزارة الاعلام ١٩٧٤ .
 مجلة الدراسات الادبية : السنة الرابعة الاعداد ٢ - ٣ - ٤ - ١٩٦٢ - ١٩٦٣ بيروت
 الشهرستاني : الملل والنحل (جزاء) دار المعرفة بيروت طبعة ثانية ١٩٧٥
 ابن الاثير : الكامل في التاريخ (١٢ مجلد) دار صادر بيروت ١٩٦٥ .
 جواد علي المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١٠ اجزاء) مكتب النهضة - بغداد
 محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - دار الارشاد بيروت
 (١٩٦٦)
 الاخبار الطوال - دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٠
 الدينوري :

المصادر الأجنبية

1. The Cambridge Ancient History, I, part 2 (1971), chap XXV ff., Volume, XI.
2. R. Ghirshman, IRAN (Penguin Books, 1954, 1961).
3. - - - - , Iran: Parthians and sassanians (The Arts of Mankind , 1962).
4. Herzfeld, Iran in The Ancient East (1941).
5. Percy Cykes, History of Persia 2 Vols (London 1969)
6. Richard N.Frye: The Heritage of Persia London 1962
7. History of Herodotus.
8. Fischer Weltgeschichte, Griechen and Perser, Band 5, Frankfurt am Main (1965).
9. Dandamaev - Pahl, Persien unter den ersten Achameniden, Wiesbaden (1976).
10. G. Widengren, Die Religionen Irans stuttgart (1965).

المواقع الأثرية في المنطقة والبلد والمناطق المجاورة

